التاريخ الأندلسي

مواقف وعبر

الأستاذ المساعد الدكتور

رياض أحمد عبيد العاني

الجامعة العراقية / كلية الآداب

دار دجلة ناشرون وموزعون

www.dardjlah.com

التاريخ الأندلسي
مواقف وعبر

التاريخ الأندلسي
مواقف وعبر

الأستاذ المساعد الدكتور

رياض أحمد عبيد العاني

الطبعة الأولى

2015



رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية (2014/12/5681)

956.06

العاني، رياض أحمد

التاريخ الأندلسي مواقف وعبر/ . رياض أحمد العاني- عمان: دار دجلة للنشر والتوزيع، 2014.

(ص)

ر.أ: (2014/12/5681)

الواصفات: / التاريخ الإسلامي/ / الأندلسي/

أعدت دائرة المكتبة الوطنية بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية.

2015



المملكة الأردنية الهاشمية

عمان- شارع الملك حسين- مجمع الفحيص التجاري

تلفاكس: 0096264647550

خلوي: 00962795265767

ص. ب: 712773 عمان 11171- الأردن

E-mail: dardjlah@ yahoo.com

www.dardjlah.com

ISBN: 9957-71-471-0



﴿ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾

صدق الله العظيم

"سورة يوسف: من الآية 76"

الاهداء

- الى الرحمة المهداة، نبينا وحبيبنا محمد ﷺ وآله وصحبه أجمعين.
- الى الوالدين رحمهم الله وفاءاً وعرفاناً بالفضل العظيم.

المحتويات

العمران الأندلسي

بغداد وأثرها على الأندلس من الناحية الفكرية

هجومات النورمانيين على الأندلس

المقدمة

بعد أن استقرت الفتوحات العربية الإسلامية في شمال إفريقيا في نهاية القرن الثاني الهجري (الثامن الميلادي)، وعبر العرب المسلمون إلى شبه الجزيرة الآيبيرية سنة 92هـ/ 711م، فاتحين على عهد الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك (86- 96هـ/ 705- 715م)، ونجحوا في القضاء على دولة القوط الغربيين وكانوا طوال عهدهم يعملون على تثبيت السيادة العربية الإسلامية في هذه البلاد الجديدة، وحاولوا الانتقال بالفتح خلف جبال البرت غير أنهم لم يفلحوا بتحقيق كل تطلعاتهم في ضم بلاد غالة إلى جناح الدولة العربية الإسلامية، الى ان انتهت الاندلس بعد انحسر وجودهم في مملكة غرناطة (635-897هـ/ 1237-1492م)، وانتهت بذلك دولة الاسلام في الاندلس.

أن الأندلس قد تركت أثراً في الغرب في القرون الوسطى، وذلك لأهميتها كمعْبر للاتصال الفكري وانتقال التراث الحضاري العربي الإسلامي. وتركت آثارها حيث تُلاحظ الآثار العربية في إشبيلية وقرطبة وغرناطة. فلا عن ذلك التلاقح للحضارات اللاتينية والعربية جنباً إلى جنب في جو يسوده التعايش والسلم والتسامح، وانه معبّر عن النهضة الفكرية والعلمية عند الحكام فضلاً عن دور العلماء في الحياة السياسية والإدارية والاجتماعية.

فوجدنا أن الاندلس ميدان خصب للدراسات العلمية لم تتصد لدراسة جوانب منه إلا بحوث علمية قليلة فهو بحاجة إلى مزيد من الدراسات العلمية والأكاديمية. لقد أثار اهتمامنا دراسة التاريخ الاندلسي كثيرا وذلك لانها تلقي

الضوء على أبعاد وأعماق هذا الاحتكاك بين الشرق الإسلامي والغرب، فضلاً عن هذا التمازج الحضاري بين الديانات السماوية الثلاث ليعبر عن حضارة الاندلس (أسبانيا المسلمة) بجميع مميزاتها وخصوصيتها والذي طبعها بهذا الطابع الشرقي الذي لا تستطيع ان تنفك منه بسهولة حتى الوقت الحاضر، وكما جاء على لسان (الدكتور بدرو مونتايت) الأستاذ بجامعة مدريد في مؤتمر مدريد الأول عام 1976 حيث قال: "أسبانيا ما كان لها ان تدخل التاريخ الحضاري لولا القرون الثمانية التي عاشتها في ظلّ الإسلام وحضارته وكانت بذلك باعثة النور والثقافة إلى الأقطار الأوربية المجاورة المتخبطة آنذاك في ظلمات الجهل والأمية والتخلف". ويعد كتابا لمجموعة دراسات حيث غرناطة واحوالها العامة، كما تناولنا بحثا عن التعايش السلمي في الاندلس، وكذلك تضمن الكتاب بحثا عن الاثار الكبرى الباقية في الاندلس حيث مسجد قرطبة، ومأذنة اشبيلية، وقصر الحمراء في غرناطة، ثم اتجهنا الى الجانب الفكري حيث اثار بغداد على الاندلس، فضلا عن تناولنا في دراسة مستقبلة عن خطر خارجي متمثلا بالنورمان على الاندلس.

وأسأل الله تعالى، ان يثبت اقدامنا على الايمان، ويهدينا سواء السبيل، ويلهمنا الهداية والرشاد، ويتقبل اعمالنا بقبول حسن، ومنه التوفيق والسداد.

الأحوال العامة في مملكة غرناطة

(635-897هـ/1237-1492م)



الأحوال العامة في مملكة غرناطة

(635-897هـ/1237-1492م)

تتناول هذا الدراسة موضوعاً من الموضوعات التي لم تحظ بعناية الباحثين لأسباب متعددة لعل اكثرها اهمية قلة المصادر المتاحة امام الباحث في هذا المجال ولا سيما فيما يتعلق بمرحلة القرن (التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي)، ان غرناطة هذا الفردوس المفقود كان قطراً فريداً في دولة الاسلام، اهله مزيج من عناصر اوربية واخرى شرقية، وحضارته ثمرة تمازج فكري بين الشرق والغرب على نحو قلما نجد له مثيلاً في كل بلاد الاسلام ولهذا تاريخه عميق تنفرد بخصائص ومميزات فريدة. وغرناطة بلاداً على جانب كبير من الأهمية وولاية عظيمة من الولايات الاسلامية. وقد اتسمت بسمات العظمة والجلال باستنباط المعارف والعلوم وبثها في اقطار المعمورة وأنحاء العالم ونشروا لواء الحضارة على الربوع الاوربية التي كانت ترزح تحت ظلمات الجهل والانحلال والظلم والاستبداد فانتقلت بالقارة الاوربية من براثن الانحطاط الى أوج الرقي والازدهار.

أولاً: التسمية والموقع

1. تسمية غرناطة

اختلفت المصادر في تحديد تسمية غرناطة، وافضل ما ورد في المصادر العربية وما أكده المختصون والمحدثون. وما قاله الجغرافيون العرب: أن غرناطة، أغرناطة بفتح أوله وسكون ثانية بمعنى رمانة بلغة الأندلسيين[1] ولذلك يشار إليها في المصادر العربية المبكرة بحصن الرمان[2] وسميت لحسنها[3].

ويرى زيبولد مثل هذا الرأي حيث يقول أن اسم غرناطة يرجع إلى عهد الرومان وأنه مشتق من الكلمة الرومانية (cranata) ومعناها الرمانة، وقد سميت بذلك لكثرة بساتين الرمان التي تشتهر بها[4].

ونقل محقق كتاب الاحاطة في أخبار غرناطة، رأياً للمستشرق الأسباني سيمونث، يقول فيه، أن الاسم يرجع إلى عهد القوط وأنه مزيج من كلمتين (ناطه) و(غار) الاولى اسم لقريه قديمه كانت تقع على مقربه من مدينة ألبيرة، والثانية وهي التي أضافها المسلمون، فصارت غرناطة، أو أن البربر هم الذين أطلقوا عليها هذه التسمية عند نزولهم بها، وهو اسم لإحدى قبائلهم[5].

لكن هذا الرأي ضعيف لان أسم غرناطة كان موجودا قبل الفتح العربي الإسلامي للأندلس، وهي قرية صغيره تابعه لمدينة ألبيرة، فقد أشارت بعض الكتب العربية أن العرب الفاتحون للأندلس، إن ألبيرة كانت هي المدينة الرئيسية قبل غرناطة، ثم أصبحت غرناطة منذ القرن الخامس الهجري، قاعدة الولاية، ثم غدت عاصمة للمملكة التي سميت باسمها[6]، وقيل أنها تشبه الرمانة المشقوقة لموقعها وأقسامها على التلين، فتبدو منازلها الكثيفة وسط هذا المشهد كالرمانة المشقوقة[7].

2. الموقع والحدود

تقع مملكة غرناطة في الجزء الجنوبي الشرقي من الأندلس[8] منحدرة وراء نهر الوادي الكبير حتى ساحل البحر المتوسط[9].

وحدودها الجنوبية، تبدأ من جزيرة طريف غرباً، حتى المرية شرقاً، ويحدها من الشرق مدينة لورقة في ولاية مرسية ويحدها من الشمال مدينة جيان ومن

الشمال الشرقي مدينة لورقة ومن الشمال الغربي مدينة قرطبة، ويحدها من الغرب مدينة اشبيلية ومدينة مورور وارض الفرنتيرة وولاية قادش[10].

إن هذا الموقع المتميز لمدينة غرناطة منحها مزايا كثيرة تفضلت بها على غيرها من المدن حتى وصفها ابن الخطيب الغرناطي بأنها: "سنام الأندلس وقاعدة الدنيا، وقراره العليا، وحاضرة السلطان، وقبة العدل والإحسان، لا يقابلها في داخلها ولاخارجها بلد من البلدان، ولا يضاهيها في اتساع عمارتها، وطيب قراراتها، وطن من الأوطان، ولا يأتي على حصر أوصاف جمالها وعد أصناف جلالها قلم البيان"[11]، أما ابن بطوطة فقد وصفها" قاعدة بلاد الأندلس وعروس مدنها، وخارجها لا نير له في بلاد الدنيا "[12].

أما موقعها بالنسبة للأقاليم فقد عدها ابن سعيد- صاحب كتاب المغْرِب في حُلى المَغرب- من الأقليم الرابع ذي المناخ المعتدل[13]، بينما عدها ابن الخطيب الغرناطي من الإقليم الخامس فقال "وهذه المدينة من معمور الإقليم الخامس"[14].

تتكون غرناطة من ثلاث ولايات، ولاية المرية في الشرق، وولاية غرناطة في الوسط وفيها العاصمة غرناطة، وولاية مالقة في الجنوب والغرب[15].

وكانت هذه المملكة تضم مدناً وقرى كثيرة لعل أهمها: المرية ومالقة ووادي أش وبسطة والمنكب وشلبونية ولوشة وبرشانة وبرجا واندرش وبلش ورندا فضلاً عن منطقة جبل طارق والجزيرة الخضراء وطريف[16]، وكانت غرناطة تبعد عن قرطبة مسافة خمسة أيام[17].

ولشبهها بدمشق الشام لقبت بدمشق الأندلس[18]، ذلك بأنها كانت مليئة بالخضر والفواكه الطيبة والثمر، وقد كثرت فيها البساتين والكروم والجنان حتى

بلغ عدد هذه الأخيرة المائة في القرن الثامن الهجري (القرن الرابع عشر الميلادي)، وفقاً لما ذكره ابن الخطيب[19]، ولعل أشهر هذه الجنان: جنة العريف، وجنة ابن عمران، ومدرج نجد ومدرج السبيكة.

وغرناطة المدينة التي كانت تضم في قسمها الشرقي متنزه السبيكة، وقصر الحمراء، وعدة أرباض يسكنها وجهاء القوم. كانت تضم في قسمها الغربي القصبة وربض البيازين[20]، وهو أكبر أحياء غرناطة وأوفرها عمراناً كان يشتمل على أكثر الأسواق التجارية، وفيها يقوم الجامع الأعظم[21]، وهو من أبدع الجوامع وأحسنها منظراً، أحكم بناءه، وقام سقفه على أعمدة حسان وجرى داخله الماء[22]، وكان لغرناطة ثلاثة عشر باباً منها باب ألبيرة، وهو أفخمها، وباب الرملة، وباب الفخارين... وكانت مساجدها لاتحصى[23].

ثانياً. نشأة المملكة

1. أصل بني نصر

تقتضي المنهجية العلمية ونحن نتحدث عن نشأة مملكة غرناطة أن نشير ولو بنبذه مختصرة عن اصل بني الأحمر مؤسسوا المملكة.

فقد أجمعت المصادر التاريخية على أصالة وعراقة نسب بني نصر (بني الأحمر) وأشارت إلى انهم ينحدرون إلى نصر بن قيس من أحفاد سعد بن عباده الخزرجى الأنصاري، أحد كبار صحابة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وسيد قبيلة الخزرج الأنصار بالمدينة المنورة، مما يضفي على بني نصر (بني الأحمر)- سلاطين غرناطة- عراقة في النسب والمجد[24].

جاء بنو نصر إلى بلاد الأندلس عقب الفتح الإسلامي لها، معززين لراية الإسلام، راجين رضا الرحمن وقد دخلوا في خدمة البلاد وتقلبوا في وضائفها وبخاصة قيادة الجند[25]، واستقروا فيما بعد بحصن ارجونه أحد حصون قرطبة[26].

2. تكوين المملكة

نتيجة لضعف أمر الموحدين في الأندلس وكثرة الفتن الداخلية فقد زادت الأطماع الداخلية والخارجية في السيطرة عليها واقتسام أجزائها[27] وهذا مما أدى إلى ازدياد الخوف من العدو الأسباني حيث عدت موقعة العقاب*، أول وهن حل بالموحدين، حيث لم تقم لهم بعد ذلك قائمة[28]، وأمام هذا الضعف الذي أصاب الموحدين أخذ العدو يجتاح القواعد الأندلسية الواحدة تلو الأخرى[29].

فاهتزت المشاعر الوطنية والدينية لدى بعض قادة الأندلس ووجهائها، وانبروا لمواجهة الأسبان والوقوف في وجههم وإنقاذ ما تبقى من بلادهم من خطر الاحتلال الأجنبي. فظهر ابن هود **، وأبن الأحمر*** مطلع القرن السابع الهجري، وعمل كل منهما لإنقاذ البلاد. ولكن الظروف الداخلية خدمت ابن الأحمر أكثر مما خدمت أبن هود وهذا ما أفاد الأول في تأسيس مملكة عرفت باسم مملكة غرناطة أو مملكة بني الأحمر أو مملكة بني نصر[30]، وإزاء هذا الوضع المضطرب، لابد أن تظهر محاولات من اجل الحفاظ على ما تبقى من الأرض، وإيقاف زحف العدو.

وجاءت أول محاولة لهذا الغرض من أبى عبدالله محمد بن يوسف بن هود الجذامي[31]، وكانت بداية ظهوره في التاسع من شهر رجب سنة 625هـ/ 1228م، في نفر يسير من جنوده في العميرات[32]، فكثر اتباعه، والتف حوله

الناس بسرعة[33]، ثم تمكن بعد قليل من السيطرة على مرسية، وأعلن نفسه أميراً عليها، وتلقب بالمتوكل على الله[34].

ولم تمض على ذلك فترة طويلة حتى تمكن ابن هود من ان يفرض سيطرته على معظم بقاع الأندلس حيث تملك أشبيلية 629هـ/ 1231م[35]، وقرطبة631هـ/ 1231م[36]، والمرية وغرناطة، ومالقة، 635 هـ/ 1238م[37].

وكان أبن هود رجلاً شجاعاً كريماً، إلا انه كان قليل المبالاة، متسرعاً تغلب عليه الخفة، وكثيراً ما كان يدخل المعارك قبل ان يكمل استعداده[38]، ونتيجة لذلك هزم في العديد منها، وأهمها هزيمته سنة 627هـ/ 1230م أمام فرديناند الثالث ملك قشتالة، في ظاهر ماردة، كان نتيجتها سقوط ماردة[39].

لكن ابن هود لم يكن وحده منفرداً برئاسة الأندلس، فبينما كان يثبت أقدامه شرق الأندلس وجنوبها[40]، ظهر أبن الأحمر في أرجون من حصون قرطبة[41]، وأخذ البيعة لنفسه سنة 629هـ/ 1231م، وأطاعته جيان وشريش[42]، وتمكن أيضاً من انتزاع اشبيلية وقرطبة من يد ابن هود، لكن سرعان ما تخلتا عنه ورجعتا إلى طاعة ابن هـود[43].

وتحالف ابن الأحمر مع ملك قشتالة الذي تمكن بمساعدته من احتلال قرطبة سنة633 هـ/ 1235م والتي كانت تحت سيطرة ابن هـود[44].

وفي رمضان سنة635هـ/ 1238م، دخل ابن الأحمر غرناطة بدعوة من أهلها[45] بعد ان قتلوا عامل ابن هود عليها[46].

أما ابن هود فقد قتل في العام نفسه في مؤامرة دبرها عاملة على المرية محمد بن عبد الله الرميمي[47]، عند ذلك قرر ابن الأحمر السيطرة على المرية، وطرد ابن

الرميمي منها، وتحقق له ذلك عندما غادرها متوجهاً شطر تونس لاجئاً عند أميرها أبي زكريا الحفصي[48].

وسيطر ابن الأحمر بعدها على مالقة[49]، وهكذا تمكن ابن الأحمر من تأسيس مملكة غرناطة، التي سبق لنا تعيين حدودها.

وفي منتصف العام 635هـ/ 1238م سيطر السلطان محمد بن نصر على غرناطة ووضع أسس دولته الجديدة من هذه المدينة العريقة، وضرب السكة، ورفع عليها راية بني نصر (بني الأحمر)، وخط عليها شعاره المشهور (لا غالب إلا الله) ولقب بالغالب بالله، وبأمر المسلمين[50]، فضلاً عن ما يحمله من ألقاب مشهورة[51]، ولأجل إرساء حكمه التزم الأمير محمد بن نصر قاعدة في الحكم أتفق عليها حكماء العرب والعجم وهي: 'لا حكم إلا بالرجال، ولا رجال إلا بالمال، ولا مال إلا بالعمارة، ولا عمارة إلا بالعدل والسياسة'[52].

استمر حكم ابن الأحمر إلى سنة 671هـ/ 1272م، وعلى عهده سقطت العديد من المدن الأندلسية. فقد تمكن خايمي الأول ملك أراغون من انتزاع بلنسية من يد أبى جميل زيان بن مردنيش سنة 636هـ/ 1238م[53]، وفي سنة 643هـ/ 1246م عقد ابن الأحمر مع فرناند الثالث ملك قشتالة صلحاً تنازل بموجبه عن مدينة جيان المحاصرة[54]، ومن بين شروط الصلح توقف القتال بين الطرفين مدة عشرين سنة، وأن يحتفظ السلطان محمد بن نصر بكل أراضيه وأن يعترف ابن نصر بالولاء والطاعة للملك فرديناند الثالث، ويحكم بلاده باسمه وبظله، وأن يتعهد السلطان محمد بن نصر بدفع جزيه سنوية إلى الملك فرديناند الثالث قدرها مائه وخمسون ألف قطعه ذهبية، وايضاً بمعاونة الملك كلما طلب منه العون لمحاربة أعداء قشتالة سواء من قومه أو من غير قومه[55].

ويبدو أن السبب الذي دفع ابن الأحمر الموافقة على هذه الشروط القاسية، هو فشل محاولاته في فك الحصار عن مدينة جيان، وانه لا يملك الوسائل الكافية لمواجهة ملك قشتالة، ثم ان سقوط جيان بيده ربما يكون من نتائجه الزحف على العاصمة غرناطة مباشرة فوجد إن أفضل سبل الخروج من هذا المأزق هو الدخول مع القشتالين في هذا الصلح[56].

وبعد سقوط جيان بثلاث سنوات هاجم القشتاليون مدينة اشبيلية، وفرضوا عليها الحصار، وقدم لهم أبن الأحمر مساعدة عسكرية حسب الاتفاق فسقطت بيدهم[57].

وبسقوط اشبيلية، أدرك أبن الأحمر إن صلحه مع القشتاليين محاط بكثير من المتناقضات. وأن شعور العداء عند القشتاليين تجاه كل وجود عربي إسلامي في الأندلس، لن يتيح لهذه المعاهدة الاستمرار. ووفقا "لهذا التصور السليم راح ابن الأحمر يعمل وفق المثل القائل "سلح نفسك من السلام والبس الثياب الواقية حتى في الصيف"[58].

وقد تمكن ابن الاحمر خلال سنوات صلحه مع مملكة قشتالة من توطيد دعائم دولته، وقضائه على الفوضى والفساد، ومباشرة حساب العمال، ومراقبة مداخيل بيت المال، وإملاء المخازن بالحبوب، وخزائن دوره مالاً وسلاحاً[59]، وهذه من شأنها حسب تصوره تقوي بناء الدولة، وتعزز صمودها وقت المحن. كما ابتنى قصر الحمراء وجعله مقراً لحكمه[60].

وبينما الملك فرديناند يشن حرباً صليبية على بلاد المغرب العربي، لقي حتفه عام650هـ/ 1252م قبل الشروع في طموحه، وخلفه في حكم بلاده الفونسو العاشر (650-681هـ/ 1252-1282م)[61]، وأستمر الصلح على

عهده مع بني نصر (بني الأحمر)، وتمكن القشتاليون من الاستيلاء على سائر المدن والحصون الغربية لبلاد الأندلس[62]، تمهيداً للسيطرة على الجزيرة الخضراء، وجزيرة طريف، ومضيق جبل طارق، من اجل قطع صلة الوصل بين الأندلس وبلاد المغرب، لذلك أضطر سلطان غرناطة محمد بن نصر إلى التخلي عن صلحه الذى جدده مع القشتاليين عام 665هـ[63]، والبحث عن وسيلة تنقذ بلاده من خطرهم فوجد في دولة بني مرين الفتية المنقذ الوحيد لبلاده فأرسل إليهم الغوث فأجبوه إلى طلبه وبدؤوا يرسلون الإمدادات أليه لأنجاده، وقد كان السلطان محمد بن نصر قد ترك وصيته لولي عهده محمد، بأن يجعل بني مرين وقاية لبلاده في النوائب[64].

توفي مؤسس دولة بني نصر محمد أبن الأحمر في جمادى الثانية 671هـ/ 1272م، بعد أن أصيب بجرح بالغ، اثر سقوطه من فوق جواده، فور عودته من إحدى المعارك، التي خاضها ضد بعض الخارجين عن السلطة، الذين حاولوا اقتحام قصر الحمراء لاغتياله، لكنه ردهم على أعقابهم خائبين، وقد كان في عمر يناهز الثمانين، كان قد أعلن البيعة لابنه محمد اكبر اولاده، وبهذا الاجراء اسس لمبدأ الملكية المتوارثة في مملكة غرناطة[65] لاسيما وان المملكة قد استقرت لهم منذ عهده، كما قويت دعائمها إلى حد كبير اثناء حكمه.

ثالثاً: التنظيم الاداري لمملكة غرناطة

اهتم بنو الاحمر بتنظيم مملكتهم في عدة مجالات حيوية مثل الجانب الاداري، والعسكري، والقضائي، من اجل توفير الامن والعدل والاستقرار والقوة للدولة والشعب الغرناطي.

ففي الجانب الاداري نظمت المملكة على اساس الولايات فكانت مكونة

من ثلاث ولايات كبرى يتبع كل ولاية عدد من المدن الصغيرة والحصون والقرى والولايات هي[66]:

1. ولاية المرية: وتضم أندرش، ودلاية، وبرجة، وبرشانة، وألبيرة، والمنصورة.

2. ولاية مالقة: ويتبعها مربلة، ورندة، وأنتفرة، وبلش، وقمارش، وجزيرة طريف، وأرشدونة، والجزيرة الخضراء، وجبل الفتح (طارق).

3. ولاية غرناطة: وتضم غرناطة، ووادي أش، والحامة، ولوشة، وأرجيه، وبسطة، وشلوبانية، والمكر، وحصن اللوز.

هذا ماكان عليه امر التقسيم الاداري لانحاء مملكة غرناطة، وماتبعها من مناطق اندلسية، ولكن هذا التقسيم لم يبق طوال عهد بني الاحمر بسبب ضياع بعض الحصون والمدن منهم واحتلالها من قبل الاسبان، لذلك كانت تضيق حدود الولايات أحياناً بمقدار ماتفقد من المناطق التابعة لها.

وفي ميدان القوة العسكرية أسسوا جيشاً كانت نواته من اقرباء بني الاحمر، ومجموعة من الجنود العرب المحاربين الذين لجأوا الى مملكة غرناطة بعد احتلال مدنهم وديارهم من قبل الاسبان، وكذلك ضم جيشهم نخبة من الجنود البربر، وبرز دور فاعل لجند البربر في الجيش الغرناطي من خلال مشيخة الغزاة التي كانت تمثل نفوذ بني مرين في مملكة غرطاة، فضلاً عن دورهم العسكري المتميز في الدفاع عن غرناطة وفي الحروب ضد الاسبان[67].

وتمثلت قوة الجيش الغرناطي الضاربة في جانبين القوة البرية ومهمتها حماية الحدود الخارجية والاقامة في الثغور والحصون الاندلسية وهي تعد القوة الاساسية الاولى، ولم تصمد مملكة غرناطة هذه الفترة الطويلة، لو لم يكن لها

جيش منظم قوي، والقوة البحرية التي كانت تقيم في شواطئ الاندلس لحمايتها[68].

اما الجانب القضائي فقد كانت له أهميته، وهيبته، وسلطته في حياة المملكة وأفرادها، وتمتع القاضي في ذلك العصر بمكانة عالية، وتعظيم عند الدولة وعند الشعب الاندلسي، لاسيما قالضي الجماعة (قاضي القضاة)، وكان القضاء منظماً وله قواعده، فالتعيين يحصل من قبل السلطان بعد اخذ الرأي فيه من قبل اصحاب المشورة المقربين في جهاز الدولة، وبعد الاختيار يجرى توزيعهم على اقاليم الاندلس لممارسة مهامهم القضائية، بينما كان قاضي الجماعة ينتخب انتخاباً من اوساط القضاة بعد توفر الشروط الاخلاقية وحسن السيرة الاجتماعية ورجاحة العقل والاحترام في الوسط الاجتماعي[69].

رابعاً. الحياة الاجتماعية لمملكة غرناطة.

كانت الحياة الاجتماعية في عهد بني نصر، يسودها العدل والأمن، وترفل بالرفاه، وينعدم فيها التمايز الاجتماعي، كما عرف عن مؤسس المملكة انه كان " يعقد للناس مجلساً عاماً يومين في كل أسبوع، فترتفع إليه الظلامات، ويشافه طالب الحاجات"[70]، وقد اقتفى سياسة حكيمة أخذت طريقها إلى عدد من سلاطين بني الأحمر حتى غدت غرناطة" حاضرة الصقع، وأم المصر... لحصانة وضعها، وطيب هواها ودور مائها ووفرت مدنها، فأمن فيها الخائف"[71]، وكانت من ثمرة هذا المنهج القويم أن تلاحم المجتمع الغرناطي مع سلطته. ومن أهم المقومات الأساسية للحياة في غرناطة:

1. المنزل الغرناطي:

كان المنزل الذي هو أحد المقومات الأساسية للحياة الأسرية في مملكة غرناطة واحد معالمها الحضارية قد نال نصيب وافر من الاهتمام والعناية المبالغة فالبناء واختطاط المنازل كما قال ابن خلدون "إنما هو من منازع الحضارة التي يدعوا إليها الترف"[72].

والمنزل الغرناطي في مملكة غرناطة يصفه ابن الخطيب الغرناطي، بأنه متوسط[73]، ولكن المعلومات الاثارية أظهرت ان هذه المنازل كانت صغيرة، ذات غرف ضيقة جداً[74]، وغالباً مايكون منظرها الخارجي بسيطاً إلا أنها غنية في داخلها بالزخارف والنقوش[75]، كما ان أثاث هذه المنازل كانت بسيطة ومتواضعة[76]، ويعتمد السكان في تدفئتها في موسم البرد على إشعال الفحم[77].

وقد اعتنى الغرناطيون بجمال المنزل وتأثيثه، فكانت جدران غرف النوم تزين بستائر من حرير وتغطى الأرضيه بالسجاد الفاخر خصوصاً منازل الطبقة العليا، أما منازل العامة فكانت جدرانها عارية والأرض مفروشة بالبسط والحصير[78].

والغذاء الذي يعتمده، اغلب السكان، يلخصه ابن الخطيب بقوله: "وقوتهم الغالب البر الطيب عامة العام، والذرة العربية، وفواكهم اليابسة متعددة، يدخرون العنب سليما من الفساد، شطر العام، الى غير ذلك من التين والزبيب والتفاح والرمان والقسطل والبلوط والجوز واللوز، الى غير ذلك مما لاينفذ ولاينقطع مدده الا في الفصل الذي يزهد في استعماله"[79].

وبما ان الحديث لايزال عن خصائص المنزل الغرناطي، فلابد من الاشارة الى المرأة، التي تعد جزءاً مهماً من المجتمع، فالمرأة الغرناطية، تتمتع بدرجة عالية

من الجمال، كما تتميز بخفة الحركات، ونبل الكلام، وحسن المحاورة، كما انها كانت شديدة الاهتمام بمظهرها الخارجي[80].

والمرأة الغرناطية كانت اكثر تحرراً من بقية نساء العالم الاسلامي، حيث هناك العديد من الاشارات، التي تشير الى انها كانت تختلط بالرجال في المناسبات والاحتفالات[81]، وربما يكون سبب ذلك تأثير البلاد المسيحية المجاورة لمملكة غرناطة[82].

2. سبل العيش

كانت الأندلس في عهد بني الأحمر غنية، خصبه، وافرة الضلال والخيرات فقد تنوعت مصادر الرزق وموارد النعمة عند الأندلسيين، من زراعة وصناعة وتجارة ومهن خاصة[83].

وقد اشتهر الأندلسيون بكونهم مزارعين مهرة او من الدرجة الاولى تفننوا بشتى مجالات الزراعة من تنويع في مزروعاتهم وحفر الاقنيه للمياه، والإكثار من أنواع الزراعة، وخاصة الأشجار، كما ان بعض مدنهم اشتهرت بزراعات معينة كالعنب والتين[84].

وامتاز الغرناطيون بحب الصناعة والحرف والفنون واتقان التجارة والمهارة فيها، وتبادل السلع مع جيرانهم في افريقية وغيرها، وعرفوا نظام النقد، وظهرت ملامح النعمة وسعة العيش ووفرة الرزق على ملبسهم ومسكنهم ومأكلهم ومشربهم وديارهم، وكانوا يحسنون استغلال ارزاقهم ويقتصدون في تصرفهم بها بشكل يوفر لهم الرفاه ويبعدهم عن الاسراف والتبذير لهذا كانت حياتهم الاقتصادية منظمة ومرفهة [85].

وقد ظهرت ملامح النعمة، وسعة العيش، ووفرة الرزق عليهم، ولهذا كانت حياتهم الاقتصادية منظمة [86]، ومع ذلك فقد كانوا أهل احتياط وتدبير في المعاش، وقد كانوا شديدين الحرص على مايمتلكون، خوفاً من تعرضهم إلى الحاجة، ولذلك قد يوصفون بالبخل أحياناً [87].

3. الملابس

أما فيما يخص الملابس التي كان يرتديها أهل غرناطة فقد تأثرت هي الأخرى بالبيئة والوسط المترف وهذا ما يؤكده ابن الخطيب، حيث يصف لباس أهل مملكة غرناطة، فيقول" ولباسهم الغالب على طبقاتهم الفاشي بينهم، الملف المصبغ شتاء، تتفاضل أجناس البزز منه بتفاضل الجدات، والمقادير، والكتان، والحرير، والقطن، والمرعزي، والأردية الأفريقية والمقاطع التونسية، والمازر المشفوعة، صيفاً فتبصرهم في المساجد أيام الجمع، كأنهم الأزهار المنفتحة، في البطاح الكريمة تحت ألاهويه المعتدلة"[88].

وكان سكان غرناطة لديهم ولع بتزيين وتطريز ملابسهم، حتى وصل ذلك الى رسم أسمائهم، وعلامات تختص بهم في طراز أثوابهم المعدة للباسهم[89]، وقد تميز اهل الاندلس بنظافة ملابسهم وفرشهم[90].

4. الأعياد.

لقد كان المجتمع الغرناطي يحتفل بعيدي الفطر، والأضحى، كسائر أبناء العالم الإسلامي، ويحتفلون أيضاً بأيام العصيرعند جني محصولي العنب والتين[91]، وفضلاً عن هذه الأعياد كانت هناك العديد من وسائل التسلية والهوايات التي كانوا يمارسونها وتأتي في مقدمتها العاب الفروسية، وأهل مملكة غرناطة الخاصة والعامة منهم كانوا مولعون بهذه الرياضة[92].

وربما يكون سبب ذلك كون بلدهم يعيش في حالة حرب دائمة بسبب مجاورته ثلاث ممالك أسبانية، تتحين الفرص للايقاع به[93]، وقد كان الغناء ايضاً وسيلة من وسائل التسلية لدى الغرناطيون وقد ابدو نحوه ميلاً شديداً[94].

5. عناصرالمجتمع الغرناطي.

تكون المجتمع الأندلسي عبر مراحل زمنية طويلة بدأت منذ الفتح العربي للأندلس وحتى نهاية حكمهم لها، تكون من عدة أقوام تفاعلت وانصهرت واختلطت فيما بينها لتكون مجتمعاً جديداً يحمل في بعض جوانبه مزايا عديدة من أصوله الأولى ومولداً مزايا أخرى بفعل الاختلاط والانصهار في بوتقة المجتمع الأندلسي الجديد، ذلك المجتمع الذي تعددت وتنوعت أصوله القومية والقبلية والدينية والعرقية من عرب وبربر وأسبان وصقالبة ومولدين، وتآخت فيه أديان مختلفة من إسلام، ومسيحية، ويهودية، وهذا التنوع والتداخل للمجتمع الأندلسي ساهم في خلق مجتمع جديد يحمل خصوصية وسمات تميزت عن مجتمعات الأقوام المستوطنة فيه أصلاً[95].

وعرفت الأندلس في عهد بني الأحمر قسطاً من الحرية الاجتماعية والدينية وحدث اختلاط في مناسبات اجتماعية كالحفلات مثلا[96]، وقد تكون المجتمع الغرناطي من عناصر سكانية متعددة وقد قسمنا هذه العناصر على أساس الديانة التي تنتمي إليها، وهذه العناصر هي، المسلمون، النصارى، اليهود.

أ. المسلمون.

ان الغالبية العظمى من سكان مملكة غرناطة، هم من العرب المسلمين، وقدر عددهم في الفترة الواقعة بين عامي (888-890هـ/ 1483-1485م)، بأربعة

ملايين نسمة[97]، وكان معظم العرب الذين استقروا في غرناطة من أهـل الشـام وقد استقر الشاميون بالأندلس على الشكل التالي: جند دمشق وهم أهل كـورة ألبيره وأعمالها من غرناطة وشاط وشبلين وبرمة ودلاية وباغة والقبذاق ولوشـة ويحصب، ثم جند حمص وهم أهل كورة اشبيلية ولبلة، ثم جند الأردن وهم أهل كورة رية وتوصل بوصولهم أهل كورة قبرة وببانة وبلاي، ثم جند فلسطين وهم أهل كورة شذونة والجزيرة، ثم جند قنسرين وهم أهل كورة جيان وابذة وبياسة وبسطة[98].

وكان الكثير من سكان غرناطة مـن أصـول عربيـة فيـذكر ابـن الخطيـب الغرناطي" فنحن الآن نذكر بعض من سير أهله واخلاقهم... أنسـابهم عربيـة... يكثر فيها القريشي، والفهري، والأموي، والأنصـاري، والأوسـي، والخزرجـي، والقحطـاني والحمـيري... وكفـى بهـذا شـاهداً علـى الأصـالة ودلـيلاً علـى العروبـة"[99].

ومنذ أول الفتح استقرت أعـداد كـبيرة مـن البربـر في الأندلـس[100]، في المناطق التي تشبه في طبيعتها المناطق الأصلية التي وفدوا منهـا[101]، وتزايـد عـدد هؤلاء بعد قيام الأمارة الأموية سـنة 138هـ/ 755م، وخاصـة في عصـر دولـتي المرابطين والموحدين[102].

وفي عصر غرناطة ازداد عدد البربـر إذ اصـبح عـدد المقـاتلين مـن البربـر يشكلون جزء من الجيش الغرناطي وفي هذا يقول ابن الخطيب "وجندهم صـنفان أندلسي وبربري... والبربري منه يرجع إلى قبائل المرينيـة، والزنافيـة، والتجانيـة، والمغراوية، والعجيسية، والعرب المغربية إلى أقطاب ورؤوس، يرجـع أمـرهم إلى

رئيس على رؤسائهم، وقطب لعرفائهم، من كبار القبائل المرينية يمت إلى ملك المغرب بنسب" [103]، ووجود هؤلاء كان بموجب تفاهم بين سلاطين بني مرين وسلاطين بنو الاحمر[104].

كما ان سقوط عدد من المدن الأندلسية، بيد الأسبان، أدى إلى لجوء أعداد كبيرة من سكانها المسلمين، إلى الأراضي التي ضمتها مملكة غرناطة[105]، وتشير المصادر إلى أن جاليات إسلامية، من بلاد إسلامية في المشرق استوطنت أيضاً في مملكة غرناطة[106].

ب. النصارى.

وهؤلاء هم سكان البلاد من الأسبان، وقد بقي العديد منهم أثناء الفتح في مناطق سكناهم التي دخلت في حوزة العرب الفاتحين[107]، كما استقر عدد من النصارى في مملكة غرناطة لأسباب اقتصادية[108]، وكان وجود بعضهم نتيجة الأسر في الحروب، حيث استقروا واتخذوا غرناطة موضعاً دائماً[109].

واعتنق بعض النصارى الإسلام، وتقلدوا وظائف مهمة في الدولة، فقد شكلوا أجزاء مهمة من الحرس الخاص لسلاطين غرناطة، والذي يسميهم ابن الخطيب الغرناطي بالمماليك[110]، لقد بلغ بعض الداخلين في الإسلام مناصب عالية في الدولة. فرضوان الحاجب (ت760 هـ/ 1358م)، تقلد الوزارة على عهد السلطان ابو عبد الله محمد الرابع[111]، وقد اتبع كثيراً من النصارى العرب في أساليب حياتهم ولغتهم وثقافتهم حتى عرفوا بالمستعربين تمييزاً لهم عن نصارى المماليك الأسبانية[112].

وكان السلاطين يتزوجون ويتخذون حضايا من النصارى، وقد اكتسب

بعضهن مكانة كبيرة لـدى سـلاطين غرناطـة[113]، ولقـد كانـت غرناطـة ملجـأ للنصارى الفارين من ظلم رجال الدين ورجال السياسة من المماليك الأسـبانيين أو المدن الأندلسية التي سقطت بأيديهم[114].

ج. اليهود.

عاش اليهود في شبه الجزيرة الايبيرية (أسبانيا والبرتغال) قبل الفتح العربي الإسلامي لها بزمن بعيد يرقى إلى العهد الرومـاني، وكـانوا يشـكلون جـزء مـن عناصر السـكان في مملكـة القـوط الغـربيين[115]، وتركـزوا في الحـواظر الكـبرى كطليطلة[116]، وألبيرة، وقرطبة[117]، واليسانه[118].

وكان العرب أثناء فتحهم لشبه الجزيرة الأيبيرية، عنـدما يجـدون يهـوداً في منطقة ما، يضمونهم إلى قصبتها، ويضـعون معهـم جماعـة مـن المقـاتلين للـدفاع عنها[119]، وفي هذا يقول ابن الخطيب ان العرب عندما فتحوا غرناطة "ألفـوا بهـا يهودا ضموهم إلى قصبتها، وصار ذلك سـنة متبعـة متـى وجـدوا بمدينـة يهـودا ضموهم إلى قصبتها مع طائفة المسلمين يسودونها[120]، هذا الموقف الإنساني من العرب المسلمين تجاه اليهود، أدى إلى ازدياد عددهم بشكل كبير في غرناطة، حتى غدت تعرف بإسم- أغرناطة اليهود- لكثرة وجودهم فيها[121].

وفي عصر مملكة غرناطة ظل اليهـود يتمتعـون بكامـل حـريتهم بـدليل ان مملكة غرناطـة، أصـبحت بالنسـبة لهـم ملجـأ للـتخلص مـن اضـطهاد الممالـك الإسبانية، ففي عام 766هـ/ 1364م، لجأت إلى غرناطة ثلاثمائـة عائلـة يهوديـة، هربا من اضطهاد القشتاليين، وفي عام 792هـ/ 389م، شـهدت منـاطق قشـتالة وقونيه، وجزر البليار، حملات اضطهاد اليهـود فلجـأت أعـداد مـنهم إلى مملكـة غرناطة[122].

ومن اهتمامات السلطان إسماعيل الأول (713-725هـ/ 1313-1324م) انه الزم اليهود شارة تميزهم عن غيرهم من رعايا الدول يقول ابن الخطيب الغرناطي "وأخذ يهود الذمة بالتزام سمة تشهرهم وشارة تميزهم، ليوفوا حقهم في المعاملة التي أمر بها الشارع في الطرق والخطاب"[123].

مما تقدم فأن اليهود يشكلون احد عناصر السكان في شبه الجزيرة الايبيرية، وقد لقي اليهود معاملة قاسية وضيق عليهم في العهد الذي سبق دخول الفاتحين للاندلس، فنالوا معاملة جيدة جدا وتسامحاً من قبل المسلمين حتى سقوط الاندلس بيد الممالك الاسبانية.

هذه هي العناصر الرئيسية التي تكون منها المجتمع الغرناطي وبتفاعلها، نتجت شخصية أندلسية- غرناطية-، تتمتع بحيوية العقل، وخفة الروح والتسامح مع الاخر.

ويمكن ان نحدد ابرز ملامح المجتمع الغرناطي الذي تميزت ببعض السمات ذات الاثر الاجتماعي والتي تحمل نوعاً من خصوصية المجتمع الغرناطي منها[124]:

1. ان الفرد الغرناطي الذي ولد وعاش في احضان الاندلس وبيئتها ومجتمعها اصبح لايرتبط باصوله القومية التاريخية وبمجتمع اجداده وبوطنه الاول الا بصلات واهية في اغلب الاحيان فقد اندمج وتفاعل في وسطه الاجتماعي الجديد وصقلته البيئة واكتسب مظاهر سلوكية جديدة بفعل الواقع والوسط الذي يعيش فيه.
2. الميل للعمران والتمدن وقبول الاندماج والتأقلم مع الحياة الجديدة.
3. تسامح ديني وميل للحرية الاجتماعية

4. ظهور انماط جديدة في حياة الاندلسيين ولاسيما في نظام الملبس والسكن والقصور والمساجد والاماكن العامة كالحدائق والساحات.

5. رفاه اقتصادي، ظهر في مختلف مسالك حياتهم.

6. قبول بعض مظاهر التطور في نظام حياتهم استقوه من الاسبان وتأثروا به.

7. لابد من الاشارة كان المظهر الاسلامي هو الغالب على مظاهر حياتهم الاجتماعية وان كانوا يميلون في البعض منها الى عادات الاسبان.

خامساً : الحياة الثقافية والعلمية في مملكة غرناطة.

كانت الاندلس ثمرة تمازج فكري بين الشرق والغرب على نحو قلما نجد له مثيلاً في كل بلاد الاسلام ولهذا تاريخها عميق تنفرد بخصائص ومميزات فريدة، وغرناطة بلداً على جانب كبير من الأهمية وولاية عظيمة من الولايات الاسلامية، وقد اتسمت بسمات العظمة والجلال باستنباط المعارف والعلوم وبثها في اقطار المعمورة وأنحاء العالم ونشروا لواء الحضارة على الربوع الاوربية التي كانت ترزح تحت ظلمات الجهل والانحلال والظلم والاستبداد فانتقلت بالقارة الاوربية من براثن الانحطاط الى أوج الرقي والازدهار، فكانت ادارة الوحدة الثقافية والحضارية فيها، وهذا مما سهل نشر العلم ومشاركة جميع ابناء الاندلس في تقدمه وتنميته وتطويره[125].

ويعد الدين الاسلامي من اهم عوامل ازدهار الحركة الثقافية والعلمية في غرناطة، واصبحت دراسة القرآن والحديث النبوي الشريف وهما مصدرا الشريعة في الاسلام، أساساً لحركة علمية واسعة وباعثاً لنهضة لغوية كبيرة في

المملكة، فاهتم سلاطين غرناطة بالعلوم الشرعية، وقاموا بتشجيع الحركة العلمية والعمل على نموها وازدهارها[126].

وتشير الروايات التاريخية ان المراكز الفكرية ودور التعليم المهمة منتشرة في مملكة غرناطة، واعظم مدرسة بنيت في غرناطة المدرسة اليوسفية عام 750هـ/ 1349م، بناها السلطان يوسف الاول، كما عرفت بالمدرسة العلمية[127].

وعند دراسة الحياة الثقافية الاسلامية في اية حقبة من حقب التاريخ ينبغي اولاً دراسة المكان الرئيس لها وهي المساجد باعتبارها اهم مركز ديني وثقافي، والمسجد هو اقدم مؤسسة اسلامية اسسها الرسول الاعظم (صلى الله عليه وسلم) وتابعه الخلفاء والامراء فيما بعد، وانتشرت فيما بعد المساجد في الاندلس وبضمنها غرناطة انتشاراً كبيراً وقد حفظت لنا مصادر التاريخ الاندلسي اسماء عدد كبير جداً من المساجد في الاندلس[128].

ويعد التعليم جزءاً اساساً من الحياة الفكرية والثقافية يرتبط بها ارتباطاً وثيقاً، حيث انه لايمكن ان يكون الانسان مثقفاً ثقافة تامة قبل ان يكون متعلماً، فالتعليم مرحلة مهمة ومكملة لايمكن فصلها عنها، فعندما يكون الانسان متعلماً ويعرف القراءة والكتابة يستطيع ان ينهل من كنوز العلم والمعرفة من خلال دراسته على يد الشيوخ والعلماء والاخذ منهم ومن الاطلاع على حضارة امته وماخلفته من علوم ومعارف.

وفي غرناطة كتاتيب، وهي الاماكن التي يتعلم فيها الصغار، والشخص الذي يتولى التعليم فيه يسمى بالمكتب او المعلم والكلمتان ذات مدلول واحد حيث يقوم كل منهما بعملية تعليم القراءة والكتابة واللغة العربية وتحفيظ القرآن الكريم، وهي الجزء الاساس من تعليمه[129].

ان اهمية دور الكتاتيب في الحياة الثقافية يأتي من انها كانت عامة وغير مقتصرة على فئة معينة وبامكان أي فرد تعليم ابنائه، ولم يكن لها مكاناً معين تقام فيه، اذ كان بعض المعلمين يقوم بمهمته بالمساجد، ولكن عبث الصبيان الصغار الذين لايحتفظون من النجاسة جعل الفقهاء يمنعون تعليم الصبيان في المسجد، فظهرت الكتاتيب منفصلة عن المساجد وخاصة بتعليم الصبيان[130].

ان العلوم الدينية في غرناطة لم تكن مختلفة عن بقية مدن العالم العربي الاسلامي، فقد تركزت تلك العلوم على دراسة القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، وقد حفز ذلك وجود العقل العربي الاسلامي في الاندلس للاهتمام بذلك وعني الاندلسيين واهتموا اهتماماً كبيراً اذ انهم لايختلفون عن باقي الأمصار الاسلامية من كونه المادة الرئيسة في تعليم المبتدئين[131].

وقد اشرنا الى ان ابن خلدون ذكر ان الاندلسيون يجعلون القرآن الكريم الاصل في تعليم ابنائهم، بل يخلطون من تعليمهم رواية الشعر والترسل والالمام بقواعد اللغة العربية والاجادة في الخط الى ان يخرج الولد من عمر البلوغ الى الشبيبة وقد شد بعض الشئ من العربية والشعر والبصر بهما[132].

وقد لقيت الدراسات اللغوية اهتماماً متزايداً من لدن الغرناطيين بعد ان دخلت الى الاندلس علماً كثيراً من الشعر والعربية والاخبار[133]، مما حدا بالمقري ان يقول" الاندلسيين يقولون للكاتب والنحوي واللغوي فقيه، لانها عندهم ارفع السمات"[134].

واثرت بعض مظاهر الحياة الاجتماعية في النشاط الفكري لادباء الاندلس وتجاوب الشعراء منهم خاصة مع بعض جوانب الحياة وعبروا عنها بشعرهم

سواء كانت تلك الجوانب ذات ابعاد سياسية او اجتماعية او فكرية، ولكن حظ المظاهر الاجتماعية في شعرهم كان أوفرها، كون حياتهم الاجتماعية كانت غنية بمناسباتها وتقاليدها وهذا ماوفر مادة غنية للشعراء[135].

وكذلك شهدت مملكة غرناطة نهضة علمية ايضا، ففي مجالي الهندسة والرياضيات كان من ابرز روادها محمد بن الرقاح المرسي، فكان عالماً كبيراً فضلاً عن كونه مارس الطب، ونبغ في علم الفلك يحيى بن رضوان الوادي أشي الذي وضع قصيدة في هذا العلم بعنوان "المنظوم من علم النجوم" فضلاً عن وضعه رسالة في الاسطرلاب[136]، وكذلك كانت غرناطة فيها نهضة علمية في مجال الطب، حيث برز فيها محمد بن ابراهيم الانصاري الذي يعد من اشهر اطباء عصره وكذلك الطبيب يحيى بن هذيل التجيبي حكيم غرناطة وفيلسوفها، وكذلك ظهرت كتب في مجال الطب في عصر غرناطة ابرزها (تحفة المتوسل وراحة المتأمل) لمؤلفه محمد الشقوري طبيب دار الامارة في غرناطة، وكتاب (تحصيل غرض القاصد في تفصيل المرض الوافد) لمؤلفه الطبيب والشاعر والمؤرخ احمد بن علي بن محمد بن خاتمة الانصاري، وهو كتاب يختص بالوباء الذي عصف بالاندلس الصغرى- غرناطة- عام 749هـ/ 1348م، كذلك هناك عدة كتب طبية لمؤرخ الاندلس لسان الدين بن الخطيب منها: (رسالة تكوين الجنين) و(مقنعة السائل في المرض الهائل)[137].

ولابد من الاشارة الى انه رافق ازدهار الحركة الثقافية والحركة العلمية في غرناطة، ذيوع المكتبات العامة والخاصة التي شملت انفس واجود انواع الكتب، واستمر الازدهار مرافقاً للوجود العربي حتى سقوط غرناطة[138].

سادساً: الحياة السياسية في مملكة غرناطة الداخلية والخارجية.

1. سياسة غرناطة الداخلية(الفتن والاضطرابات).

ان المملكة عبر تاريخها الطويل (635-897هـ/ 1237-1492م)، شهدت أحداثاً وصراعات ونزاعات بين بني الأحمر من جهة، وبين الطامعين في السلطة من جهة أخرى، وعلى عهد غرناطة تولى عرشها احدى وعشرون حاكماً، وقع خلالها ثلاثة عشر انقلاباً، خمسة منها اشتركت بها قشتالة اشتراكاً فعلياً فقد كانت ضالعة في تلك الفتن وصنعتها لتحقيق غايتها الموسومة. وكانت تلك الاضطرابات هدر، بالمال والرجال ومن هذه الانقلابات، أدت إلى اقتسام المملكة إلى قسمين كل قسم تحت يد حاكم.

وكانت أولى الفتن ما قام به بنو اشقيلوله في عهد محمد بن محمد بن يوسف الملقب بالقصبة (671-701هـ/ 1273-1302) بإعلانهم العصيان والثورة وقد استعانوا في سبيل ذلك بالقشتاليين[139].

وتمكن محمد الفقيه وبعد صدامات عسكرية عديدة من القضاء على فتنة بني أشقيلولة، وأجلاهم إلى الغرب، سنة(687هـ/ 1288م)[140].

لقد حدثت فتن واضطرابات كثيرة[141]، في سلطنة غرناطة تركت آثاراً سيئة على الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية أسهمت في الإسراع من نهايتها.

وقد استفاد من تلك الفتن أعداء الإسلام (الممالك النصرانية) فكانوا يؤججونها كلما لاحت لهم بوادرها، فآثارها السياسية خلقت حالة من الإرباك

والفوضى السياسية التي أضعفت السلطة وأسهمت في قلة هيبتها حتى تجرأ أعداؤها إلى الخروج عليها ويشير ابن الخطيب الغرناطي انه في عام (708هـ/ 1308م) تمت الحيلة على محمد الفقيه إذ أحيط به وهو مقعد وذلك ان رجال الدولة فتكوا بوزيره ونصبوا للناس غيره[142]، كما إن بعض الفتن والاضطرابات دفعت بالمتصارعين إلى الاستعانة بالممالك النصرانية مقابل تنازلهم عن مدن، وحصون مقايضة لهذه المساعدة، لقد ولّدت تلك الفتن والاضطرابات آثاراً واضحة على الاقتصاد ومن الأمثلة على ذلك ما ذكره ابن الخطيب الغرناطي في أن مدينة غرناطة بعد حدوث ثورة فيها قصدها السلطان إسماعيل بن يوسف وضيق الخناق على المتآمرين "ضعفت بصائر المحصورين وفشلوا على وجود الطعمة، وتمكن المنعه، ووفور المال، فالتمسوا لأنفسهم ولسلطانهم عهداً، ونزلوا مستقلين إلى مدينة وادى اش... ليلة الثامن والعشرين لشوال عام ثلاثة عشر وسبعمائة... وخلا للسلطان أبي الوليد الجو، وضربت إليه المقادة واطاعة القاصي والداني ولم يختلف عليه اثنان"[143].

أما آثارها على الناحية الاجتماعية بات الناس على اغلب الفترات يعيشون في جو من الرعب والفزع ففقدان الأمن والاستقرار وكثرة الشغب وانقسام واضح إلى فئات تؤيد هذا أو ذاك دون هدف وربما الغاية من اجل النهب والسلب.

كل ما تقدم اضعف السلطة وجعل الغلبة لأعدائها من الممالك النصرانية للإجهاز على آخر معقل أندلسي بيد المسلمين.

2. سياسة غرناطة الخارجية

أ. سياسة المملكة مع بني مرين

اتسمت العلاقة بين دولة بني نصر ودولة بني مرين بالتعاون، خاصة فيما يتعلق بالوقوف في وجه الممالك النصرانية[144].

ونظراً لتلك العلاقة التي كانت تربط الطرفين فقد أوصى أول سلاطين غرناطة محمد بن يوسف (635-671هـ/ 1238-1273م) ابنه محمد الفقيه (671-701هـ/ 1273-1302م) أن يستعين ببني مرين وان يتعاون معهم ويستدعيهم للجهاد في الأندلس[145].

وقد تطور التعاون المغربي الغرناطي إلى اتفاق وضعت بموجبه مجموعات عسكرية مغربية بشكل دائم في مملكة غرناطة[146]، الأمر الذي أدى إلى نزوح الكثير من المجاهدين إلى الأندلس وسميت هذه المجموعة (مشيخة الغزاة) وتولى بنو العلاء قيادتهم وفي هذا يقول المقري "لم يزل ملوك بني مرين يعينون أهل الأندلس بالمال والرجال... وكان عند ابن الأحمر منهم جماعة بغرناطة وعليهم رئيس من بيت ملك بني مرين يسمونه شيخ الغزاة"[147].

وتمكنت الجيوش المغربية والأندلسية المتحدة بقيادة السلطان المريني من إلحاق الهزيمة بالقوات القشتالية، وتكبيدها خسائر فادحة وذلك في عام 674هـ/ 1275م بالقرب من مدينة استجة[148].

وفي عام 733هـ/ 1333م تمكن السلطان محمد الرابع (725-733هـ/ 1325-1333م) وبمساعدة السلطان المريني أبي الحسن علي بن عثمان من تحرير جبل الفتح من الاحتلال القشتالي، ووضع بعد تحريره تحت نفوذ بني مرين[149].

وعلى عهد السلطان أبي الحجاج يوسف الأول (733-755هـ/ 1333-1354م) اشتد خطر القشتاليين على مملكة غرناطة، مما دفع بالسلطان المريني أبي الحسن علي بن عثمان، بالعبور إلى الأندلس على رأس قوة عسكرية كبيرة لنجدة غرناطة، وقد اشتبكت القوات الأندلسية المرينية المشتركة، مع الجيش القشتالي في 741هـ/ 1340م، قرب طريف بمعركة كبيرة تكبد فيها المسلمون خسائر فادحة، وتعرف هذه المعركة باسم واقعة طريف[150].

لذا فإن العديد من سلاطين غرناطة كانوا على اتصال مستمر مع بني مرين يخبروهم بالأحداث أولاً بأول ويستنجدونهم إذا شعروا بحاجة لذلك[151]، لكن هذا لا ينفي ان هذه العلاقة كان نصيبها أحياناً بعض الضعف أو التردد[152]، فعلى عهد السلطان أبو عبدالله محمد الثالث (887-888هـ/ 1483-1483م) الملقب بالمخلوع، الذي تميز عهده بالهدوء والاستقرار مع قشتالة لكن علاقته مع بني مرين كانت مضطربة بسبب مهاجمته مدينة سبته سنة 705هـ-1305م وضمها إلى ملكه[153].

وكذلك ماقام به محمد الخامس من إلغاء منصب شيخ الغزاة وتولى قيادة الجند المغاربة بنفسه[154]، ومع ذلك فإن الاتجاه العام في العلاقة بين الطرفين يتسم بالتعاون التام للعمل في جهاد النصارى.

وهكذا كانت دولة بني مرين القوة الوحيدة التي تلجأ إليها سلطنة غرناطة عند الشدائد ويؤيد ذلك ابن خلدون بقوله"كانت الجزيرة الأندلسية وراء البحر...قليلة الحامية ضعيفة الأحوال، إلا من يلهمه الله في عمل الجهاد من قبائل...وخصوصاً بني مرين"[155].

وبذلك نرى بأن بني نصر كانوا يعدون المغرب خط الرجوع في حالة

المواجهة للعدو وضغطه عليهم، فكانوا حريصين على تأمين هذا الخط الحيوي والمحافظة عليه على الرغم من الخلافات التي كانت تحصل بينهما.

وبالمقابل كان بنو مرين يمدون يد العون لاخوتهم في الأندلس في جهادهم ضد الممالك الأسبانية[156]، لما بينهما من روابط دينية تؤطرها علاقات الأخوة والعروبة.

وهكذا أقام ملوك بني الأحمر علاقتهم مع بني مرين سلاطين فاس لعدة أسباب: عسكرية، واجتماعية، وقومية، وقد دعتهم الحاجة لمواجهة الأسبان والتصدي لنفوذهم بتوطيد العلاقة مع بني مرين وخاصة في الجانب العسكري منها وفعلاً حقق بنو مرين ما كان يسعى إليه بنو الأحمر في المجال العسكري فكانت نجداتهم العسكرية مستمرة إلى الأندلس في عهد بني الأحمر وخاضوا دفاعاً عن الأندلس وشعبها حروباً عديدة إلى جانب بني الأحمر وهزموا الأسبان عدة هزائم، وقاد ملوك من بني مرين معارك عدة في الأندلس وبهذا فقد تحملوا أعباءً ضخمة في مواجهة الأسبان وحماية الأندلس.

ب. سياسة المملكة مع الممالك النصرانية.

كانت الممالك النصرانية أيام مملكة غرناطة ثلاث ممالك: قشتالة، اراغون والبرتغال وقد اجتمعت كلمة هذه الممالك على توحيد جهودها للقضاء على الحكم العربي الإسلامي في الأندلس بالقضاء على آخر معقل له في غرناطة، ولذلك لم تكن علاقة مملكة غرناطة منذ نشأتها مع الممالك النصرانية تتسم يوما بحسن الجوار[157].

فقد كانت الحرب سجالاً بينهما، ورأينا كيف تمكنت الجيوش الأندلسية والمغربية المتحدة من إلحاق الهزائم بالقوات القشتالية ومن جملة الأحداث المهمة

التي تكبد بها النصارى هزيمة نكراء تلك المواجهة التي تمت في عهد السلطان أبو الوليد إسماعيل الأول (713-725هـ/ 1313-1324م)، تقدم الدون بيد رو، أحد الأوصياء على ملك قشتالة على رأس قوة كبيرة إلى مرج غرناطة[158] بعد أن أسقطوا في طريقهم عدداً من الحصون[159] والتقى معهم الجيش الغرناطي وأوقع الهزيمة بهم وقد تكبد القشتاليون في هذه المعركة خسائر فادحة، وقتل قائد الحملة وذلك في سنة 719هـ-1319م[160].

إن هذا الانتصار الكبير حفز السلطان الغرناطي على شن عدد من الهجمات داخل أراضي العدو استطاع من خلالها السيطرة على عدد من المواقع المهمة[161]، وهناك أحداثاً كثيرة عاشتها مملكة غرناطة وحشدت طاقاتها لكبح أطماع الممالك النصرانية وإفشال مخططاتها الإجرامية وقد تحقق بفضل ذلك تحقيق انتصارات عظيمة في أكثر من موقعة[162]، مما كان لها الأثر الكبير في صمودها الأسطوري في وجه الأعداء وما شعرت به تلك الممالك بأن هذا المعقل عصي عليهم.

وقد شهدت بعض الفترات عقد اتفاقيات هدنة ومعاهدات صلح أملتها ظروف القتال وأحوالها الداخلية، ففي عهد السلطان محمد الخامس وفد على السلطان العلامة ابن خلدون، فأرسله في سفارة إلى ملك قشتالة لإعادة العلاقات بينهما، وقد نجح ابن خلدون في مهمته[163]، لكن النصارى متى ما رأوا الفرصة مواتية نقضوا العهد وخانوا الاتفاق[164].

والدخول في الصلح أو الهدنة مع الممالك النصرانية لم يكن ذلك إلا للمحافظة على المملكة بمأمن من شر تلك الممالك[165]، وقد كان السلاطين

يدركون أن علاقة العدو معهم لم تكن تتسم في يوم من الأيام بطابع الود، لأن الهدف الذي يخططون له هو إخراج المسلمين ونهائياً من الأندلس[166].

وقد تولى أمر مملكة غرناطة في فترات معينة سلاطين من بني نصر امتازوا بالهمة والشجاعة وفي فترات أخرى جاء بعض السلاطين الذين ساءت بهم أحوال المملكة لسوء تدبيرهم وتصرفهم وحدوث الفتن والاضطرابات مما كان له اثراً سلبياً استغل من قبل الممالك النصرانية. والتي كانت تتطلع إلى إنهاء الحكم العربي الإسلامي في الأندلس[167]، وقد شهدت الفترة التي حكم بها بنو الأحمر الأندلس في ظل ظروف كانت بين القوة والضعف وبين الثبات والهزيمة، فتارة حرباً وتارةً أخرى هدنة وصلحاً مع الممالك النصرانية حتى سنحت الفرصة للممالك الأسبانية من الاتحاد وبالتالي عجل ذلك في النهاية المأساوية لسلطنة غرناطة.

3. نهاية مملكة غرناطة

عاشت مملكة غرناطة منذ قيامها في صراع ومواجهة عنيفة ومستمرة مع أعدائها الأسبان خارج حدودها ومع خصومها والمتآمرين عليها في الداخل، وكانت اعتداءات الأسبان عليها وأطماعهم بها متلاحقة ومؤقتة مع كل فرصة تحقق لهم كسباً عسكرياً أو سياسياً وقد خدمتهم في تحقيق أهدافهم العدوانية عليها جملة من الظروف الداخلية والخارجية.

فالخلافات الداخلية أحياناً من قبل بني الأحمر فيما بينهم، وأحياناً من جانب الطامعين في الحكم من الأندلسيين، وفي الوقت الذي كانت أسبانيا النصرانية تسير بخطوات حثيثة، نحو مرحلة الاتحاد النهائي الذي تحقق

سنة884هـ/ 1479م، بفضل زواج فردناند ملك اراغون، من ايسابيلا ملكة قشتالة[168].

وقبل ذلك كان سقوط الدولة المرينية في المغرب سنة 869هـ/ 1465م[169]، وبسقوط هذه الدولة فقدت مملكة غرناطة حليفاً مهماً. وعلى الرغم من قيام دولة بني وطاس على أنقاض الدولة المرينية، بحيث لم تكن لديها القوة على العبور إلى الأندلس لتقديم المساعدة لغرناطة في صراعها مع الأسبان، وبذلك أضحت مملكة غرناطة وحيدة في مواجهة عدوها الذي أصبح أكثر قوة من ذي قبل بفعل اتحاد مملكتي قشتالة وأراغون[170].

ونتيجة استلام الحكم في مملكة غرناطة من قبل ملوك قاصرين أو ضعاف أحياناً أو متآمرين على بعضهم[171]، وسيطرة العدو على مناطق كثيرة من سنة 892هـ/ 1487م، فسقطت بيده مالقة، وبسطة في سنة 895هـ، كما سيطر على المرية، والمنكب، ووادي آش في العام نفسه[172]، وبسيطرة العدو على هذه المناطق، لم يبق أمامه سوى العاصمة غرناطة، فبعث صاحب قشتالة، إلى أبي عبدالله محمد، لتسليم قصور الحمراء في غرناطة وإنه سيترك له مقابل ذلك ما تبقى من المدينة شرط أن يكون تحت ذمته، جمع أبو عبدالله الأعيان والقادة والفقهاء للنظر في الأمر، فأجمعوا على الرفض، وصمم الجميع على القتال[173]، خلفتها حالة الحصار، قرر أعيان البلد، تسليم المدينة مقابل شروط معينة[174].

وتم التوقيع على معاهدة التسليم من 21 محرم 897 هـ/ 1491م بين أبي عبدالله محمد وملكي قشتالة وأراغون[175]، وأهم الشروط التي تضمنتها هذه المعاهدة فصلت القول فيها مصادرنا التاريخية وهي: اطلاق الاسرى المسلمين في قشتالة، وتأمين المسلمين على انفسهم واموالهم واعراضهم، واحتفاظ المسلمين

بشريعتهم ونظمهم باشراف حاكم اسباني، وتأمين حرية الدين والشعائر والحفاظ على المساجد والاوقاف، وان لايدخل مسيحي في مسجد او دار مسلم، وان يسير المسلم في ديار الاسبان أمناً لايحمل علامة مميزة، وان يجتاز الى افريقيا من يشاء من المسلمين في سفن ملك الاسبان لمدة ثلاث سنوات من دون مقابل، وان لايقهر مسلم او مسلمة على التنصر، وان يعامل الحاكم الاسباني المسلمين بالرفق والعدل، واخيرا ان يوافق البابا على الوثيقة[176].

ولكن الأسبان نقضوا هذه الشروط جميعاً الواحد تلو الآخرى، وأخذوا بعد ذلك يقضون على كل شيء يمت للإسلام بصلة، فحولوا الجوامع إلى كنائس، وحملوا المسلمين على التنصير وارتكبوا من أجل ذلك أبشع الجرائم[177].

وكان دخول فردناند وأيسابيلا، مدينة غرناطة واستلامها في 2 ربيع الأول 897هـ/ 1492م[178].

أما السلطان أبو عبدالله، فبعد أن سلم المدينة رحل إلى أندرش ثم غادرها إلى المغرب بناءً على أوامر فردناند[179].

وإن كان هذا ما آلت إليه حالة الأندلس في عصورها الأخيرة فقد كان لمملكة بني الأحمر فضل كبير على العرب وحضارتهم فقد احتضنت العرب وآوتهم بعد احتلال ديارهم في الأندلس بعد قيامهم وقدمت خدمات فكرية جلية للحضارة العربية وساهمت في الكثير من الخدمات الإنسانية وحافظت على أمجاد العرب وحضارتهم في الأندلس طوال فترة بقائها.

الهوامش

(1) ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت ابن عبد الحموي (ت 626هـ)، معجم البلدان، مطبعة السعادة، ط1، (القاهرة، 1906)، ج6، ص280، القزويني، زكريا بن محمد بن محمود (ت682هـ)، آثار البلاد وأخبار العباد دار صادر، بيروت، (بيروت1380هـ، 1960م)، ص547؛ المقري، احمد بن محمد المقري التلمساني (ت1041هـ)، نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، (بيروت، 1968)، ج1، ص147.

(2) الحميري، أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبدالله (ت710هـ)، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، مطابع دار السراج ط2، (بيروت، 1980)، ص33، ابن الخطيب الغرناطي، لسان الدين أبو عبدالله محمد السلماني (ت776هـ)، الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق: محمد عبدالله عنان، مكتبة الخانجي، ط1، 1973، ج1، ص131.

(3) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج6، ص 280.

(4) نقلاً عن: عنان، محمد عبدالله، نهاية الأندلس وتاريخ العرب المتنصرين، مطبعة مصر ط1 (القاهرة، 1949م)، ص14.

(5) ابن الخطيب الغرناطي، الإحاطة، ص91، هامش رقم واحد.

(6) الإدريسي أبو عبدالله محمد (ت560هـ)، المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس، (مأخوذ من كتاب نزهة المشتاق من اختراق الآفاق)، مطبعة بريل، (ليدن، 1982)، ص201، القلقشندي، أبو العباس احمد بن محمد (ت821هـ)، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، المطبعة الأميرية، القاهرة 1333هـ)، ج5، ص215، الحجى عبد الرحمن علي، التاريخ الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة، دار القلم، (بيروت، 1976)، ص518.

(7) عنان، نهاية الأندلس، ص14. هامش رقم (2).

(8) القلقشندي، صبح الأعشى، ج 5، ص214، العبادي، احمد مختار، في تاريخ المغرب والأندلس، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر، (الأسكندريه، 1982)، ص224.

(9) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (ت808هـ)، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب

والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار الكتاب، (بيروت، 1981)، مج4، ص369، المقري، نفح الطيب، ج1، ص448؛ الحجى، التاريخ الأندلسي، ص518

(10) شبانة، محمد كمال، العرض الموجز للأحداث التاريخية ذات الصلة بما ورد في كتاب ابن الخطيب الغرناطي" كناسة الدكان بعد انتقال السكان" والذي كتبه في بدايته، ص16، الحجي، التاريخ الأندلسي، ص 518.

(11) الإحاطة، ج1، ص91.

(12) أبو عبدالله بن أحمد اللواتي (ت 799هـ)، رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار، تحقيق: طلال حرب، دار الكتب العلمية، (بيروت، 1987)، ص679.

(13) علي بن موسى وأسرته (ت 685هـ)، المغْرِب في حُلى المغرب، تحقيق وتعليق: شوقي ضيف، دار المعارف، ط3، (القاهرة، 1964)، ج2، ص102.

(14) ابن الخطيب الغرناطي، الإحاطة، ج1، ص93.

(15) القلقشندي، صبحي الأعشى، ج5، ص261؛ المقري، نفح الطيب، ج4، ص510؛ الحجي، التاريخ الأندلسي، ص518.

(16) ابن الخطيب الغرناطي، الإحاطة، ج1، ص99 وما بعدها؛ عنان، محمد عبد الله، نهاية الأندلس، ص1، وما بعدها.

(17) القلقشندي، صبحي الأعشى، ج5، ص214.

(18) المصدر نفسه، ج5، ص214، المقري، نفح الطيب، ج1، ص117 وص146-147، وج3 ص217-218.

(19) ابن الخطيب الغرناطي، الإحاطة، ج1، ص122.

(20) شاك، فون، الفن العربي في إسبانيا وصقلية، تعريب، الطاهر أحمد مكي، دارالمعارف، 1980، ص156.

(21) المقري، نفح الطيب، ج1، ص150.

(22) القلقشندي، مج الأعشى، ج5، ص214.

(23) المصدر نفسه، ج5، ص214.

(24) ابن الخطيب الغرناطي، الإحاطة، ج1، ص148؛ اللمحة البدرية، ص21، النباهي، نزهة البصائر، ص110؛ المقري، ابن خلدون، كتاب العبر، مج4، ص170؛ المقري، نفح الطيب، ج1، ص447؛ ارسلان، الحلل السندسية، ج1، ص95. وقد أ شار ابن حزم: إن لسعد بن عباده ولدين: قيس وسعيد ولسعيد بن سعد هذا عقب بالأندلس بقرية يقال لها قربلان من عمل سرقسطه من قبل الحسين بن سعيد بن سعد بن عباده وبشدونه بنو عرموم بن جميل بن عصام بن قتادة بن وتادين قيس بن سعد..." ينظر: جمهرة انساب العرب: ص365.

(25) ابن خلدون، كتاب العبر، مج4، ص170؛ حموده، علي محمد، تاريخ الأندلس السياسي والعمراني والاجتماعي، مطابع دار الكتاب العربي، ط1، (القاهرة، 1957)، ص295.

(26) ابن خلدون، كتاب العبر، مج4، ص170.

(27) المصدر نفسه، م4، ص366؛ سالم، السيد عبد العزيز، تاريخ المغرب الكبير، العصر الأموي، دار النهضة العربية، (بيروت، 1981)، ج2، ص828.

* هي الموقعة التي وقعت بين الموحدين، ومعهم الأندلسيون بقيادة الملك الناصر أبي عبدالله محمد بن المنصور وجيوش أسبانيا تساندها دول أوربا بقيادة الفونسو ملك قشتالة، وقد التقى الطرفان في منتصف صفر 609هـ/ 1212م بموقع يعرف بالعقاب، بين جيان، وقلعة رباح، وكسر المسلمون في هذه لمعركة وتكبدوا بها خسائر كبيره. ينظر، المراكشي، عبدالواحد، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق: محمد سعيد العريان، ومحمد العربي العلمي، مطبعة الاستقامة، ط1، (القاهرة، 1949)، ص321؛ الحميرى، الروض المعطار، ص137؛ أشباح، يوسف، تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، ترجمة محمد عبدالله عنان، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ط2، (القاهرة، 1958)، ص354.

(28) الحميري، الروض المعطار، ص146.

(29) المقري، نفح الطيب، ج4، ص383؛ الحجى، التاريخ الأندلسي، ص513.

** ابن هود هو: محمد بن يوسف بن هود الثائر بمرسية ضد الموحدين حوالي 620هـ. ينظر: المقري، نفح الطيب، ج1، ص447.

*** أبن الأحمر هو: محمد بن يوسف بن الأحمر. الملقب بالغالب بالله الذي ثار على الموحدين

وعلى ابن هود سنة 629هـ وتمكن من السيطرة على جيان وشربش. ينظر: المقري، نفح الطيب، ج1، ص447.

(30) تسمية المملكة باسم بني الأحمر يعود للقب أطلق على والد محمد الأول مؤسس المملكة يعرف بلقب أبن الأحمر نسبة لوالده، أنظر: ابن الخطيب الغرناطي، ديوان الصيب والجهام والماضي والكهام، تحقيق: محمد الشريف، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، (الجزائر، 1973)، ص21.

(31) ابن الخطيب الغرناطي، اللمحة البدرية في الدولة النصرية، تحقيق: لجنة أحياء التراث العربي، دار الأفاق الجديدة، (بيروت، 1980)، ص32; المقري، نفح الطيب، ج4، ص384.

(32) ابن الخطيب الغرناطي، الإحاطة، ج2، ص128.

(33) ابن الخطب الغرناطي، أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، تحقيق: ليفي بروفنسال، دار المكشوف، (بيروت، 1956)، ص279؛ اشباخ، تاريخ الأندلس، ص408.

(34) الحميري، الروض المعطار، ص355.

(35) أبن الخطيب الغرناطي، اعمال الأعلام، ص280.

(36) ابن الخطيب الغرناطي، الإحاطة، ج2، ص130.

(37) ابن الخطيب الغرناطي، أعمال الأعلام، ص278.

(38) أبن الخطيب الغرناطي، الإحاطة، ج2، ص129؛ أعمال الأعلام، ص278.

(39) أبن الخطيب الغرناطي، الإحاطة، ج 2، ص130.

(40) شبانة، العرض الموجز، ص18.

(41) المقري، نفح الطيب، ج1، 447.

(42) ابن خلدون، كتاب العبر، مج4;، ص366؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج5، ص260.

(43) ابن الخطيب الغرناطي، الأحاطةج2، ص94؛ اللمحة البدرية، ص43.

(44) المقري، نفح الطيب، ج1، ص448.

(45) ابن الخطيب الغرناطي، الإحاطة، ج2، ص98؛ اللمحة البدرية، ص47.

(46) شبانة، العرض الموجز، ص19؛ عنان، نهاية الأندلس، ص28-29.

(47) ابن الخطيب الغرناطي، الإحاطة، ج2، ص231.

(48) شبانه، العرض الموجز، ص19.

(49) القلقشندي، صبح الأعشى، ج5، ص261.

(50) النباهي، أبو الحسن بن عبدالله بن الحسن (ت793هـ)، نزهة البصائر والأبصار، نشره مولر في كتابه نخب من تاريخ عرب الغرب، (ميونخ، 1866)، ص116.

(51) منها الشيخ أو ابن الأحمر، والبعض يلقبه بأبي دبوس. ينظر: ابن الخطيب الغرناطي، اللمحة البدرية في الدولة النصرية، تحقيق: لجنة أحياء التراث العربي، دار الأفاق الجديدة، (بيروت، 980)، ط2، ص30، ابن خلدون، كتاب العبر، مج4، ص170.

(52) ابن قتيبة الدنيوري، عبدالله بن مسلم (ت 276هـ)، عيون الأخبار، طبع أوفسيت، (مصر، 1925)، ج1، ص120؛ ابن الأزرق، محمد بن علي بن محمد بن مسعود أبو عبدالله (ت896)، بدائع السلك من طبائع الملك، تحقيق علي سامي النشار، منشورات وزارة الثقافة والأعلام، (بغداد، 1977)، ج، ص196؛ دوشاتو، بريان الفيكونت، اخر بني سراج، مترجمة ومذيلة بخلاصة مدن تاريخ الأندلس الى سقوط غرناطة، بقلم: شكيب أرسلان، (مصر، 1924)، ص120.

(53) ابن الخطيب الغرناطي، الإحاطة، ج2، ص98"اللمحة البدرية، ص47 ; المقري، نفح الطيب، ج4، ص460.

(54) ابن الخطيب الغرناطي، الإحاطة، ج 2، ص99، اللمحة البدرية، ص48.

(55) ابن عذاري المراكشي، أبو العباس احمد بن محمد (كان حيا في سنة712هـ)، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب: تحقيق خ. س كولان، وليفي بروفنسال، دار الثقافة، (بيروت، 1967)، ج2، ص367، مؤلف مجهول، الذخيرة السنية في أخبار الدولة المرينية، نشر محمد أبو شنب، (الجزائر، 1920)، ص37، ويشير بعضهم إلى أن هذا الاتفاق تم عام644 هـ. ينظر: ابن الخطيب الغرناطي، اللمحة البدرية، ص36؛ ابن خلدون، كتاب العبر، مج 4، ص171 اشباخ، تاريخ الأندلس، ص439؛ عنان، نهاية الأندلس، ص35؛ فرحات، محمود شكري، غرناطة في ظل بني الأحمر، (دراسة حضارية)، (بيروت، 1982) ص25؛ التواني، عبدالكريم، مأساة انهيار الوجود العربي في الأندلس، مكتبة الرشاد، (الدار البيضاء، بلات)، ص405؛ السامرائي، خليل إبراهيم، وآخرون، تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، (الموصل، 1986)، ص289.

(56) ايرفنج، وشنطون، قصر الحمراء في الأدب والتاريخ، نقله إلى العربية وعلق حواشيه وقدم لـه، إسماعيل العربي، دار الرائد العربي، بيروت، لبنـان، ط1، 1984، ص92. كانـت اشـبيلية أثنـاء قيام القشتاليين بمهاجمتها تابعة، للسلطان، أبى زكريا الحفصي، صاحب أفريقيا، حيـث قـام سـنة 643هـ/ 1245م يحيى ابن عبدالملك بن محمد الحافظ أبي بكر، وملكها، وبايع للأخير أبـى زكريـا الحفصي. ينظر أبن خلدون، كتاب العبر، مج4، ص367.

(57) أبن خلدون، العبر، مج4، ص368؛ المقري، نفح الطيب، ج1، ص448؛ سـيديو، ل، أ، تـاريخ العرب العام، إمبراطورية العرب، حضارتهم، مدارسهم الفلسفية والعلمية والأدبيـة، نقلـة إلـي العربية عادل صغير، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاءه ط3، (القاهرة، 1969)، ص315.

(58) ايرفنج، قصر الحمراء، ص94.

(59) عن هذه الأعمال. ينظر، ابن الخطيب الغرناطي، الإحاطة، ج2، ص94-95؛ اللمحة البدريـة، ص43؛ النباهي، نزهة البصائر، ص117.

(60) أبن الخطيب الغرناطي، اللمحة البدرية، ص43.

(61) اشباخ، تاريخ الأندلس، ص445؛ دوشتاو، آخر بني سراج، ص119.

(62) مجهول، الذخيرة السنية، ص51 وما بعدها.

(63) أبن عذاري، البيان، ج2، ص462.

(64) النباهي، نزهة البصائر، ص117؛ ابن خلدون، العبر، مج4، ص17؛ فرحات، غرناطة، ص32.

(65) ابن الخطيب الغرناطي، الإحاطة، ج2، ص99؛ اللمحة البدريـة، ص48؛ كناسـة الـدكان بعـد انتقال السكان، تحقيق محمد كمال شبانة، مراجعة حسـن محمـود، دار الكتـاب العربـي، (مصـر، بلات)، ص18.

(66) ابن الخطيب، كناسة الدكان، ص16.

(67) ابن الخطيب، نفاضة الجراب، ص183

(68) مزيداً للتفاصيل عن الجيش الغرناطي ينظر: ابن الخطيب، الاحاطة، ج1/ 115-125؛ فرحات، افاق غرناطة، ص90-96؛ العبادي، دراسات، ص400-401.

(69) للتعرف على مزيداً من القضاة المشهورين في مملكة غرناطة ينظر: ابن الخطيب، اللمحة البدرية، ص45.

(70) أبن الخطيب الغرناطي، الإحاطة، ج2، ص95.

(71) المصدر نفسه، ج1، ص93.

(72) ابن خلدون، المقدمة، دار مكتبة الهلال، (بيروت، 1986)، ص342.

(73)ابن الخطيب الغرناطي، اللمحة البدرية، ص40.

(74) بلباس، ليوبولدو توريس، الأبنية الأسبانية الإسلامية، ترجمة، عليه إبراهيم العناني، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية، العدد الأول، السنة الأولى، 1953، ص23.

(75) عنان، محمد عبدالله، الآثار الأندلسية الباقية في إسبانيا والبرتغال، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ط2، (القاهرة، 1961)، ص168.

(76) عن أثاث المنزل الغرناطي، انظر، القلقشندي، صبح الأعشى، ج5، ص221؛ المقري، نفح الطيب، ج4، ص510؛ لوثينا، لويس سيكودي، الوثائق العربية الغرناطية وقيمتها التاريخية، ترجمة، حسين مؤنس، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد، المجلدان السابع والثامن، لسنة 1959، 1960م، ص107.

(77) المقري، نفح الطيب، ج1، ص224.

(78) فرحات، غرناطة في ظل بني الأحمر، ص126.

(79) الاحاطة، ج1، ص137؛ اللمحة البدرية، ص40.

(80) ابن الخطيب، اللمحة البدرية، ص40.

(81) ابن الخطيب، مشاهدات ابن الخطيب، ص50؛ مؤلف مجهول، اخبار العصر في انقضاء دولة بني نصر، ص3-4.

(82) العبادي، احمد مختار، من المقدمة التي كتبها في كتاب مشاهدات ابن الخطيب في بلاد المغرب والاندلس، ص10.

(83) المقري، نفح الطيب، ج1، ص210؛ مؤنس، حسين، فجر الأندلس، (القاهرة، 1959م)، ص433.

(84) المصدر نفسه، ج1، ص210؛ المرجع نفسه، ص433.

(85) المقري، نفح الطيب، ج3، ص150؛ ارسلان، شكيب، الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية، مكتبة الحياة، (بيروت، 1355هـ)، ج1، ص259.

(86) المصدر نفسه، ج 3، ص150؛ المرجع نفسه، ج1، ص259.

(87) المصدر نفسه، ج1، ص224.

(88) ابن الخطيب الغرناطي، اللمحة البدرية، ص47.

(89) للتفصيل عن الملابس ينظر زاهدة عبدالله عبدا لرزاق، الحياة الاجتماعية في الأندلس خلال عهد مملكة غرناطة، (بغداد، 1997م)، ص219-236.

(90) المقري، نفح الطيب، ج1، ص223.

(91) ابن سعيد، المغرب، ج1، ص423؛ ابن الخطيب الغرناطي، الإحاطة، ج1، ص138.

(92) ابن الخطيب الغرناطي، اللمحة البدرية، ص90؛ ايفرنج، قصر الحمراء، ص146.

(93) العبادي، احمد مختار، الأعياد في مملكة غرناطة، مجلة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد، المجلد الخامس عشر، (مدريد، 1970)، ص138.

(94) ابن الخطيب الغرناطي، اللمحة البدرية، ص40.

(95) ابن الخطيب الغرناطي، الإحاطة، ج1، ص134؛ حسن، حسن إبراهيم، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، مكتبة النهضة، ط1، (مصر، 1967)، ج4، ص640. والبربر/ هم احد عناصر الجيش العربي الإسلامي الذي عبر لفتح الأندلس وهم عرب المغرب يتتمون إلى فرعين رئيسيين :هما البرانس ويتفرعون إلى عدة قبائل، والبتر وهم بنو ماذغيس وينقسم شعبهم إلى عدة قبائل. وأكدت المصادر انهم أقوام العرب المغاربة ومادتهم. ينظر:الطبري، محمد بن جرير(ت310هـ)، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم، دار المعارف (مصر، 1964)، ج1، ص219، ج2، ص516؛ مجهول، مفاخر البربر، نبذه مختصرة نشرها ليفي بروفنسال، المطبعة الجديدة، (المغرب، 1934م)، ص17. اما الصقالبة: أطلق الأندلسيون لفظة الصقالبة على الأرقاء الذين كانوا يشترونهم من أوربا حيث أن الجيوش الجرمانية دأبت على سبي الشعوب القبلية السلافيه وبيع رجالها ونسائها لعرب الأندلس ولذلك أطلق العرب عليهم اسم الصقالبة وكانوا يسمون الجابيب كما وردت تسميتهم بالخرس والمماليك. ينظر: ابن بسام، الذخيرة، ج4، ص34؛ المقري، نفح الطيب، ج1، ص32؛ العبادي،

احمد مختار، الصقالبة في أسبانيا، وزارة المعارف العمومية، المعهد المصري للدراسات الإسلامية، (مدريد، 1953)، ص9؛ عنان، محمد عبد الله، دولة الإسلام في الأندلس، القسم الثاني، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ط3، (القاهرة، 1960)، ص230 ويقول المقدسي "وبلدهم خوارزم الا انهم يحملون الى الأندلس" ينظر المقدسي، محمد بن احمد(ت380)، احسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ط2، (القاهرة، 1960م)، ص242.

(96) ينظر: بروفنسال، ليفي، سلسلة محاضرات عامة في أدب الأندلس وتاريخها، ترجمة محمد عبد الهادي شعيرة، المطبعة الأميرية، (القاهرة، 1951)، ص36.

(97) ارسلان، الحلل السندسية، ج1، ص188-189، هامش رقم (3).

(98) ابن حيان، أبو مروان حيان بن خلف أوس (ت469هـ)، المقتبس من أنباء أهل الأندلس، القطعة الخاصة بعصر الحكم المستنصر، تحقيق: عبد الرحمن علي الحجي، نشر وتوزيع دار الثقافة، (بيروت، 1965م). ص201.

(99)الإحاطة، ج1، ص103.

(100) مؤلف مجهول، أخبار مجموعة من أهل الأندلس وذكر أمرائها والحروب الواقعة بينهم، مطبع ربدنير، (مدريد، 1876)، ص6.

(101) طه، عبد الواحد ذنون، الفتح والاستقرار العربي في شمال أفريقية، منشورات وزارة الثقافة والأعلام، دار الرشيد للنشر، (بغداد 1982م)، ص271.

(102) المراكشي، المعجب، ص15-16؛ لوبون، غوستاف، حضارة العرب، ترجمة عادل زعيتر، (بيروت، 1979)، ص323.

(103) ابن الخطيب الغرناطي، الإحاطة، ج1، ص136.

(104) المقري، نفح الطيب، ج1، ص252؛ الحجى، التاريخ الأندلسي، ص540.

(105) ابن خلدون، كتاب العبر، مج4، ص368-369.

(106) ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ص657.

(107) ابن القوطية، أبو بكر محمد بن عمر القرطبي(ت367هـ)، تاريخ افتتاح الأندلس، تحقيق: عبدالله أنيس الطباع، دار النشر للجامعين، (بيروت، 1957). ص205.

(108) ابن الخطيب الغرناطي، مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب في بلاد المغرب والأندلس، مجموعة رسائل ابن الخطيب، حققها الدكتور احمد مختار العبادي، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر، (الإسكندرية، 1983م)، ص43.

(109) ابن الخطيب الغرناطي، الإحاطة، ج3، ص419، أعمال الأعلام، ص309؛ ابن خلدون، كتاب العبر، المصر السابق، مج4، ص376، ابن القاضي المكناسي، أبو العباس احمد بن محمد، ذيل وفيات الأعيان، المسمى درة الجمال من أسماء الرجال، تحقيق: محمد الأحمدي، أبو النور، دار التراث ط1، (القاهرة، 1970)، ج1، ص147.

(110) ابن الخطيب الغرناطي، اللمحة البدرية، ص48؛ فرحات، غرناطة من ظل بني الأحمر، ص90.

(111) ابن الخطيب الغرناطي، اللمحة البدرية، ص94.

(112) زاهدة عبدالله عبدا لرزاق، الحياة الاجتماعية، ص67.

(113) مؤلف مجهول، أخبار العصر في انقضاء دولة بني نصر، نشر مولر في كتاب نخب في تاريخ عرب الغرب، (ميونخ، 1866م)، ص6؛ المقري، نفح الطيب، ج4، ص512؛ فرحات، غرناطة في ظل بني الأحمر، ص57، طه، عبد الواحد ذنون، دراسات في التاريخ الأندلسي، مديرية دار الكتب للطباعة والنشر، (موصل، 1987)، ص193.

(114) فرحات، غرناطة في ظل بني الأحمر، ص109-110.

(115) طه، الفتح والاستقرار، ص85.

(116) ابن عذارى، البيان المغرب، ج2، ص12؛ الحميري، الروض المعطار، ص394؛ طه، الفتح والاستقرار، ص85.

(117) مؤلف مجهول، أخبار مجموعة، ص12-14.

(118) ابن حيان المقتبس، تحقيق الحجى، ص149.

(119) مؤلف مجهول، أخبار مجموعة، ص12؛ الحميري، الروض المعطار، ص394.

(120) ابن الخطيب الغرناطي، الإحاطة، ج1، ص101؛ اللمحة البدرية، ص26.

(122) الحميري، الروض المعطار، ص45.

(123) فرحات، غرناطة في ظل بني الأحمر، ص116.

(124) اللمحة البدرية، ص84..

(125) ابن الخطيب الغرناطي، أعمال الأعلام، ص288.

(126) فرحات، غرناطة، ص162.

(127) ابن الخطيب الغرناطي، أعمال الأعلام، ص2291؛ ابن خلدون، كتاب العبر، مج4، ص370.

(128) للمزيد عن تلك الفتن والاضطرابات ينظر:ابن الخطيب الغرناطي، الإحاطة، ج1، ص398-440، ج2، ص29-30؛ اللمحة البدرية، ص120-125؛ أعمال الإعلام، ص309؛ نفاضة الجراب؛ ص103- 106؛ العبادي، فترة مضطربة، ص43 وما بعدها.

(129) ابن الخطيب، اللمحه البدرية، ص67.

(130) للتفاصيل أكثر حول الاستعانة بالممالك الاسبانية. ينظر: مجهول، أخبار العصر، ص32 وما بعدها.

(131) ابن خلدون، كتاب العبر، مج 7، ص448؛ عنان، نهاية الأندلس، ص24.

(132) ابن أبي زرع، علي ابن عبدالله الفاسي، الأنيس المطرب بروض القرطاس من أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة، (الرباط، 1972)، ص313.

(133) ابن الخطيب الغرناطي، اللمحة البدرية، ص39؛ المقري، نفح الطيب، ج 4، ص385؛ ارسلان، الحلل السندسية، ج 2، ص301.

(134) للتفاصيل اكثر حول المجتمع الغرناطي وتأثره ينظر: ابن الخطيب، اعمال الاعلام، ص4؛ الحلل السندسية، ج1، ص257؛ المقري، نفح الطيب، ج2، ص763.

(135) سالم، السيد، في تاريخ وحضارة الاسلام في الاندلس، مؤسسة شباب الجامعة، (الاسكندرية، 1985)، ص6-7؛ العلي، صالح احمد وآخرون، تاريخ الحضارة العربية الاسلامية، مطبعة الاداب، (النجف الاشرف، 1395هـ/ 1975م)، ص263ومابعدها.

(136) المقري، نفح، ج5، ص268.

(137) ينظر: هانز، رودلف سنجر، قائمة باسماء الاماكن والبلدان الواردة في كتاب الصلة لابن

بشكوال، صحيفة معهد الدراسات الاسلامية بمدريد، م15، 1970، الصفحات: 163، 168، 169، 176، 177، 179، 180، 185، 186.

(138) ابن الخطيب، الاحاطة في اخبار غرناطة،، ج3، ص33-34.

(139) الاهواني، احمد فؤاد، التعليم في رأي القابسي، (القاهرة، 1945)، ص56.

(140) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (ت808هـ)، المقدمة، دار القلم، (بيروت، 1978)، ص385.

(141) المصدر نفسه، ص538.

(142) ابن الفرضي، تاريخ علماء الاندلس، ج2، ص22-23.

(143) نفح الطيب، ج1/ 206.

(144) ابن الخطيب، نفاضة الجراب، ص20-21.

(145) فرحات، غرناطة، ص162.

(146) المقري، نفح الطيب، ج3، ص52، ص258.

(147) فرحات، غرناطة، ص168.

(148) نفح الطيب، ج 1، ص385؛ مؤنس، حسين، معالم تاريخ المغرب والأندلس، ط 1، (القاهرة 1980)، ص389.

(149) ابن الخطيب الغرناطي، الاحاطة، ج 1، ص565؛ المقري، نفح الطيب، ج 4، ص385؛ ابن خلدون، كتاب العبر، مج 1، ص191.

(150) ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ص651 - 652؛ عنان، نهاية الأندلس، ص100-106.

(151) ابن الخطيب الغرناطي، الاحاطة، ج 4، ص322؛ اللمحة البدرية، ص105؛ المقري، نفح الطيب، ج 5، ص14؛ الحجى، تاريخ الأندلس، ص543.

(152) ابن أبي زرع، الإنيس المطرب، ص313.

(153) الحجى، تاريخ الأندلس، ص520.

(154) ابن الخطيب، اللمحة البدرية، ص66؛ عنان، نهاية الأندلس، ص86.

(155) السلاوي، أبو العباس أحمد بن خالد (ت 1315 هـ)، الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق: جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب، (الدار البيضاء، 1955)، ج4، ص81؛ العبادي، أحمد مختار، فترة مضطربة من تاريخ غرناطة، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد، المجلدان السابع والثامن، لسنة 1959، 1960، ص50.

(156) ابن خلدون، كتاب العبر، مج 7، ص366.

(157) مزيدا من التفاصيل، ينظر: خالد محمود عبدالله، جهاد بني مرين في الأندلس (656-685هـ/ 1258-1286م) (بغداد 1989).

(158) شبانة، محمد كمال، يوسف الأول، سلطان غرناطة، مطبعة الرسالة، (القاهرة، بلا ت)، ص134.

(159) ابن الخطيب الغرناطي، أعمال الأعلام، ص395.

(160) ابن الخطيب الغرناطي، الاحاطة، ج1، ص389؛ اللمحة البدرية، ص85. تقدرها بعض الروايات بخمسين ألف، بينما ترفعها روايات إلى أكثر من ستين ألف. أنظر: المقري، نفح الطيب، ج1، ص451؛ ابن العماد الحنبلي، أبو الفلاح عبد الحي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، المكتب التجاري للطباعة والنشر، (بيروت، بلا ت)، ج 6، ص51.

(161) ابن الخطيب الغرناطي، أعمال الأعلام، ص95؛ النباهي، نزهة البصائر، ص129.

(162) ابن الخطيب الغرناطي، اللمحة البدرية، ص85-87؛ عنان، نهاية الأندلس، ص92-93.

(163) ابن الخطيب الغرناطي، اللمحة البدرية، ص31؛الحميري، الروض المعطار، ص461.

(164) ابن خلدون، التعريف بابن خلدون ورحلته غرباً وشرقاً، تعليق: محمد بن تاويت الطنجي، مطبعة التأليف والترجمة والنشر، (مصر، 1951)، ص84.

(165) المقري، أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، تحقيق: مصطفى السقا إبراهيم، وعبد الحفيظ شلبي، طبع لجنة التأليف والترجمة والنشر، (القاهرة، 1940)، ج1 ص51.

(166) مؤلف مجهول، الذخيرة السنية، ص73.

(167) المشرفي، محمد محي الدين، التنظيم العسكري في أيام دولة بني الأحمر، مجلة (دعوة الحق)، العدد 3، السنة 21، (الرباط، 1980)، ص37.

(168) حتاملة، محمد عبدة، التنصير القسري لمسلمي الأندلس، (الأردن، 1982)، ص14؛ محنة مسلمي الأندلس عشية سقوط غرناطة وبعدها، مطابع دار الشعب، (الأردن، 1977)، ص17.

(169) عنان، نهاية الأندلس، ص138-140.

(170) السلاوي، الاستقصاء، ج 4، ص120؛ عنان، نهاية الأندلس، ص123.

(171) ينظر: ابن الخطيب الغرناطي، نفاضة الجراب في علالة الاغتراب، تحقيق: د.أحمد مختار العبادي، مراجعة، د.عبد العزيز الأهواني، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، (القاهرة، بلا ت)، ص103-104؛ ابن خلدون، كتاب العبر، مج 4، ص376؛ العبادي، فترة مضطربة من تاريخ غرناطة، ص46.

(172) مؤلف مجهول، أخبار العصر، ص28-31؛ المقري، نفح الطيب، ج 4، ص520-522.

(173) مؤلف مجهول، أخبار العصر، ص33-34.

(174) مؤلف مجهول، أخبار العصر، ص44-48؛ المقري، نفح الطيب، ج4، ص524-525؛ حتاملة، محنة مسلمي الأندلس، ص54-55؛ طه، دراسات أندلسية، ص192.

(175) عنان، نهاية الأندلس، ص185؛ حمادة، محمد ماهر، الوثائق السياسية والإدارية في الأندلس وشمالي أفريقيا، (دمشق، 1978)، ص538.

(176) ينظر: مجهول، أخبار العصر، ص20-46؛ المقري، نفح الطيب، ج 4، ص512-525؛ أزهار الرياض، ج1، ص66، التواني، مأساة انهيار، ص407 وما بعدها؛ حتاملة، التنصير القسري، ص19-55.

(177) مؤلف مجهول، أخبار العصر، ص54-56؛المقري، نفح الطيب، ج 4، ص527-528.

(178) المقري، نفح الطيب، ج4، ص525؛ طه، دراسات أندلسية، ص197.

(179) مؤلف مجهول، أخبار العصر، ص53.

لمحات من التعايش السلمي
في الأندلس



لمحات من التعايش السلمي في الأندلس

المقدمة

لقد حملت عملية التعايش في شبه الجزيرة الإيبيرية (الاندلس)- اسبانيا والبرتغال حالياً- ديناميكية لم تكن لتعرف السكون والجمود، يعطي فيها الإنسان ويأخذ، ومن حسن حظ الأندلس أيضا أن تكون أسس هذا البناء مختلفة الألوان متعددة السمات، وأن تكون مشاربها مختلفة المنابع متعددة الروافد. فتحمل الأندلسيون على اختلاف أصولهم وعقائدهم، مسئوليات تدبير أمور الحكم، وتلاقوا في مجلس العلم، معلمين ومتعلمين. وكتبوا فيما هو عام يحدوهم حب العلم ويسعون إلى نشر آثاره، أو فيما هو خاص، ينورون به عقول ذوي المعتقد ويهدونهم السبيل كل في نحلته وباختصار نسجوا هذا النسج الحضاري المختلف الألوان المتجانس المنسجم التركيبة المتكامل. إنها مشاركة امحت فيها الخصوصيات الدينية والعرقية، وتوارت فيها الأنانية العصبية زمنا كان كافيا لبناء مجتمع يعتبر بحق، بما صنعه في العلم والرجال، المثال الذي يجب أن نضعه دوما نصب أعيننا.

لقد حاول المسلمون الفاتحون لشبه الجزيرة الإيبيريّة تطبيق تعاليم الإسلام فيما يخصّ أهل الذمّة بكلّ أمانة وصدق. وتمكّن النصارى واليهود من المحافظة على أملاكهم وتمتّعوا بحرّيتهم الدّينيّة. ولتأكيد هذه الفرضية، تسعى هذه الدراسة لإعطاء صور متعددة عن التعايش الذي ساد بين مختلف الإثنيات العرقية والديانات المتنوعة بالأندلس، مدعمة بالحجج والقرائن. فالإسلام بصفته خاتم الرسالات السماوية لم يأت لمحاربة الرسالتين السابقتين: اليهودية والمسيحية، وإنما لاستكمالهما، والإيمان به يقتضي الإيمان برسالتي موسى والمسيح عليهما الصلاة

والسلام، وبالكتابين المنزلين عليهما، وكذلك بمن سبقهما من الرسل، ولهذا فقد أصبح لمعتنقي هاتين الديانتين ممن دعاهم الإسلام "أهل الكتاب" مكانة متميزة في داخل المجتمع الإسلامي، ووضع مختلف عن وضع المشركين أو الوثنيين. ولما كانت رسالة الإسلام موجهة للإنسانية كافة فقد كان على حامل هذه الرسالة أن يعمل على نشرها بالطرق السلمية من منطلق المبدأ الذي يدعو إلى أن العقيدة لاتفرض فرضا: لا إكراه في الدين. ولذلك قسمت هذه الدراسة بتمهيد ووقفة تأريخية على تأريخ اسبانيا وعلى محاور ثلاث هي: التعايش السلمي الاجتماعي، ومن ثم حرية الاعتقاد، واخيراً حرية الفكر، ثم ختمت الدراسة بما توصلنا اليه من نتيجة ذلك التعايش في فردوسنا المفقود.

تمهيد

نادى الإسلام منذ اللحظة الأولى التي أشرقت فيها شمس النبوة الإسلامية ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴾[1]، وهكذا يضع الإسلام المعيار الإنساني العام القائم على أخوة الخلق ووحدة الرب دون تفرقة بين دين أو جنس، فإن النداء في هذه الآية الكريمة نداء للإنسانية جمعاء وصدق رسول الإسلام (ﷺ) إذ يقول "لا فضل لعربي على أعجمي، ولا أحمر على أسود إلا بالتقوى، كلكم لآدم وآدم من تراب"[2]، ولا مانع من الحوار البنّاء الهادئ والهادف والجدال بالحسنى مع غير المسلمين، دون تأجيج الفتنة، أو إيجاد الصراعات، أو غرس بذور الحقد

---

(1) سورة الحجرات، الآية 13.

(2) ابن حنبل، احمد (ت241هـ)، المسند، (مصر، مؤسسة قرطبة، بلا. ت)5/ 411.

والتعصب والكراهية، أو ممالأة الأعداء والتعاطف معهم على حساب كرامة الوطن، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾[1] بل إن القرآن الكريم نص صراحة على قضية الحوار مع أهل الكتاب (اليهود والنصارى) فقال- تعالى-: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ ۖ وَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾[2]

لقد افترض الإسلام وجود الآخر، وأهمية التعامل معه، ووضع القواعد التي تضمن حق المسلمين في المجتمع، وحق الآخرين الذين يعايشونهم، دائماً أو بصفة مؤقتة، ولم يكن ذلك معهوداً في الممالك والإمبراطوريات القديمة قبل الإسلام. وأن القواعد التي وضعها الإسلام لتنظيم العلاقة بين المسلمين وغيرهم في المجتمع المسلم، تتميز بالسماحة واليسر، وحفظ الحقوق، وتجنب الظلم لمجرد الاختلاف في الدين، فهناك حد أدنى يجب الحفاظ عليه، حتى في حالة العداء أو القتال، وهو الكرامة التي وهبها الله لبني آدم، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾[3]

---

(1) سورة النحل، الآية 125.

(2) سورة العنكبوت، الآية 46.

(3) سورة الإسراء، الآية 70.

وقفة تاريخية

تقتضي المنهجية العلمية ان نقف وقفة بسيطة على طبيعة شبه الجزيرة الايبيرية قبل دخول العرب الفاتحين ونشر تعاليم الاسلام فيها فقد خضعت اسبانيا قبيل الفتح العربي الإسلامي إلى سيطرة القوط الغربيين حكام شبه الجزيرة الايبيرية[1]، والقوط الغربيون هم من الشعوب الجرمانية الكبرى[2]، حيث كانت مملكتهم هي الأخيرة من سلسلة ممالك البرابرة التي خلفت الأمبراطورية الرومانية، وذلك بعد أن انتهت هذه الأخيرة ككيان سياسي،

---

(1) المراكشي، عبد الواحد بن علي (ت647هـ)، المعجب في تلخيص اخبار المغرب، تحقيق: محمد سعيد العريان، مطابع شركة الاعلانات الشرقية، (القاهرة، 1963)، ص450، 451؛ ابن الشباط، محمد بن علي التوزري (ت: 681 هـ/ 1282م)، وصف الأندلس وصقلية من كتاب صلة السمط وسمة المرط، تح: أحمد مختار العبادي(مدريد، معهد الدراسات الاسلامية، 1971م)، ص167؛ الحميري، ابو عبدالله محمد بن عبدالله بن عبدالمنعم (ت 710هـ)، الروض المعطار في خبر الاقطار، جزء منتخب منه نشر نشر بعنوان (صفة جزيرة الاندلس)، نشره: ليفي بروفنسال، لجنة التأليف والترجمة والنشر، (القاهرة، 1937)، ص34؛ ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد (ت 808هـ)، كتاب العبر وديوان المبتدا والخبر في ايام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر، المعروف بتاريخ ابن خلدون، مؤسسة جمال للطباعة والنشر، (بيروت، 1979)، 4/ 117؛ السلاوي، ابو العباس احمد بن خالد (ت 1315هـ)، الاستقصا لاخبار دول المغرب الاقصى، تح: جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب، (الدار البيضاء، 1955)، 1/ 68، 69.

(2) المراكشي، المعجب، ص451؛ وينظر، العدوي، ابراهيم احمد، المسلمون والجرمان (الإسلام في غرب البحر المتوسط)، (القاهرة، دار المعرفة، 1960م)، ص17-20.

واختفت من مسرح التاريخ. وقد دام حكم القوط الغربيين لشبه جزيـرة ايبيريـا مدة ثلاثمائة سنة تقريباً[1]، ولكن مع طول هذه الحقبة إلاّ أنهم لم يمتزجوا بسكان شبه الجزيرة الأصليين إلاّ بصورة مصغرة جـداً، وذلك لأن القوط حرصوا على أن يحتفظوا لأنفسهم بمركز الشعب الحاكم[2]

ولم تنعم البلاد في ظل حكم القـوط بنصيب كبير من الطمأنينـة والرخـاء، فقد كانت حالة العصيان والمؤامرات المستمرة الـتي كـان يقـوم بهـا النـبلاء مـن مظاهر الضعف الرئيسة لدولة القـوط الغربيين[3] من هنا يمكن ان نشير بأن شبه

---

(1) ابـن خلـدون، العـبر، 4/ 117؛ مـؤنس، حسـين، فجـر الانـدلس، (دار الرشـاد القـاهرة 2005)، ص10.

(2) المراكشي، المعجب، ص451؛ لمارمول، كربخا، افريقيا، ترجمةُ عن الفرنسية: محمـد حجـي وآخرون، (الرباط، مكتبة المعارف، 1984)، 1/ 168؛ حمودة، علي محمود، تاريخ الأنـدلس السياسـي والعمرانـي والإجتمـاعي، (القـاهرة، مطـابع دار الكتـاب العربـي، 1975م)، ص34، 35؛ مؤنس، فجـر الأنـدلس، ص10، 11؛ بيضـون، ابـراهيم، الدولـة العربيـة في اسبانيا، (بيروت، 978)، ص64.

(3) كانت النواة الأولى للعرب الذين وصلوا الأندلس تتكون من القيسـيين والكلبـيين، ممـن وفد مع موسى بن نصير، ثم جاءت بعدهم دفعة أخرى مع الحر ابن عبد الـرحمن الثقفـي سنة 94 هــ. ومنذ ذلك تتابعت لهجرات، وسمي أولئك الوافدون مع ابن نصير البلـديين، في حين سمي الوافدون مع بلج بن بشير الشـاميين، وتـدفقت مـع الطلائـع الأولى للفـتح جموع البربر مع طارق بن زياد، وكان أكثرها من زناتة.مزيـداً مـن التفاصـيل عـن الفـتح واستقرار الفاتحين في اسبانيا ينظر كتاب عبدالواحد طه ذنـون الفـتح والاسـتقرار العربـي الاسلامي في شمال افريقيا والاندلس، الجمهورية العراقيـة، وزارة الثقافـة والاعـلام، دار الرشيد، (بغداد، 1982).

جزيرة ايبيريا شهدت حقبة مظلمة مشحونة بالفوضى والإضطراب، استمرت حتى سقوط دولة القوط على أيدي العرب الفاتحين سنة 92هـ واستمر وجودهم بها إلى عام 897هـ[1]. وانضوت تحت سلطة الدولة الإسلامية في الأندلس فئات وطوائف دينية أخرى ومثل النصارى الأكثرية وضمت أرض الأندلس اليهود إلى جانب النصارى.[2]

ومنذ أعوام الفتح الأولى عكس المسلمون صورة التعايش فسجل لنا التأريخ، وثيقة صلح فريدة في تاريخ الفتوحات الإسلامية لأنها وصلتنا كاملة وتعكس فقراتها روح التسامح الإسلامي[3] وهي معاهدة الصلح المعقودة بين تدمير وعبد العزيز بن موسى بن نصير (94هـ) ولأهميتها نورد نصها. بسم الله الرحمن الرحيم "هذا كتاب من عبد العزيز بن موسى لتدمير بن غندريس إذ نزل على الصلح أن له عهد الله وميثاقه وما بعث به أنبياءه ورسله، وأن له ذمة الله عز وجل وذمة محمد صلى الله عليه وسلم ألا يقدم له وإلا يؤخر لأحد من أصحابه بسوء، وأن لا يسبون ولا يفرق بينهم وبين نسائهم وأولادهم ولا يقتلون ولا تحرق كنائسهم ولا يكرهون على دينهم وأن صلحهم على سبع مدائن أوريولة ومولة ولورقة بلنته ولقنت وايه والش وأنه لا يدع حفظ العهد ولا يحل ما انعقد ويصلح الذي فرضناه عليه وألزمناه أمره، ولا يكتمنا خبراً علمه وأن عليه وعلى أصحابه غرم الجزية من ذلك على كل حر دينار وأربعة

---

(1) مؤنس، فجر الأندلس، ص22؛ حمودة، تاريخ الاندلس، ص38.

(2) عنان، محمد عبدالله، دولة االاسلام في الاندلس، (القاهرة، 1969)، 1/ 203.

(3) السامرائي، خليل ابراهيم واخرون، تاريخ العرب وحضاراتهم في الاندلس، مديرية دار الكتب للطباعة والنشر، (الموصل، 1986)، ص40.

أمداء من قمح وأربعة أمداء من شعير وأربعة أقساط خل وقسط عسل وقسط زيت وعلى كل عبد نصف هذا" [1].

ان بنود هذه المعاهدة تعطينا الانطباع التام على احترام الفاتحين الى السكان الاصليين واحترام ماهم عليه من دين وممتلكات، وهنا نقطة الانطلاق الاولى للتعايش السلمي ابان الفتح العربي الاسلامي لشبه الجزيرة الايبيرية.

التعايش السلمي الاجتماعي

لم يكن الفتح العربي لاسبانيا احتلالاً عسكرياً بل كان حدثاً حضاريا هاماً وحركة تحرير للشعوب الاسبانية فقد امتزجت حضارة سابقة كالرومانية والقوطية مع حضارة جديدة هي الحضارة العربية الاسلامية، ونتج عن هذا المزج والصهر حضارة اندلسية مزدهرة أثرت في الحياة الاوربية وتركت اثاراً عميقة مازالت تتراءى مظاهرها بوضوح حتى اليوم، وباستكمال حركة تحرير اسبانيا استقر العرب والبربر مع سكان البلاد، وكان للسلوك العربي الانساني اثر كبير في تآلف القلوب اذ لم يلبث العرب ان أنسوا اليهم وحصل التزاوج والمصاهرة[2]، فنشأت طبقة اجتماعية جدية هي طبقة المولدين التي هي خليط من دم اهل البلاد الاصليين ودم العرب والبربر، كما ظهرت طبقة جديدة اخرى

---

(1) العذري ابن الدلائي، احمد بن عمر بن انس (ت393هـ)، ترصيع الأخبار وتنويع الاثار والبستان في غرائب البلدان والمسالك الى جميع الممالك (نشر بعنوان عن نصوص عن الأندلس)، تح: عبد العزيز الاهواني، منشورات معهد الدراسات الإسلامية في مدريد (مدريد، 1969)، ص4-5

(2) مؤنس، فجر الاندلس، ص124.

هي طبقة المستعربين وهم الاسبان المسيحيون الذين ظلوا على دياناتهم المسيحية ولكنهم تعربوا بعد دراسة اللغة العربية وآدابها وثقافتها[1] ولعل النظر الى مكان تواجد المستعربين وإقامتهم في الحواضر الأندلسية الرئيسية مثل غرناطة وإشبيلية وبلنسية ومالقة وغيرها من المدن الهامة[2] تدل على أنهم كانوا يحتلون مكانة اجتماعية متميزة، واحسن العرب سياسة سكان اسبانيا، فقد تركو لهم كنائسهم وقوانينهم واموالهم وحتى المقاضاة الى قضاة منهم، وحرص الفتاحون على الوفاء بعهودهم لاهل الذمة "فمضوا على الوفاء لهم وكان الوفاء عادتهم"[3] وهذه ناتج عما كان عليه العرب الحاملين رسالتهم الانسانية الى كل الشعوب جذب العديد من اهل الذمة والدخول في الاسلام لما يتمتع به العرب المسلمين الفاتحين والمحررين للشعوب من عدالة.

قال المستشرق الفرنسيّ هنري بيريس[4] "إنّ أيّ شعب مغلوب في أيّ قطر من الأرض لم يحظ بما حظي به الشعب الإسباني إبّان حكم المسلمين من تسامح تجلّى في تطبيق العهود والقوانين الإسلاميّة الّتي أعطت لأهل الكتاب حقوقا

---

(1) العبادي، احمد مختار، في التاريخ العباسي والاندلسي، دار النهضة العربية، (بيروت، 1971)، ص613.

(2) بوتشيش، إبراهيم القادري، مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين، (دار الطليعة، بيروت 1998)، ص254.

(3) لوبون، جوستاف، حضارة العرب، ترجمة: عادل زعيتر، (الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1998م)، ص62.

(4) بيريس، هنري، وثائق عن التعايش الاسلامي المسيحي في الاندلس عصر ملوك الطوائف، ترجمة الطاهر احمدمكي، (دارالمعارف، 1990)، ص229.

كاملة في العيش الكريم. وكانت بداية التخالط السكاني والتمازج الثقافي جنوح الكثيرين من السكان إلى اعتناق العقيدة الإسلامية، إذ دخلت في هذا الدين أفواج غفيرة من العبيد والأسرى الذين استعبدهم القوط والجرمان من قبل، فتحولوا إلى أحرار بحكم اعتناقهم الإسلام. يضاف إلى هؤلاء وأولئك كثيرون من المضطهدين الذين استردوا اثر الفتح أملاكهم وعقاراتهم المصادرة واستعادوا مكانتهم. وكان من نتائج هذا الواقع الجديد تحسن الزراعة ونشاط التجارة وازدهار الاقتصاد. وكان في جملة المستفيدين من الفتح اليهود، إذ تمتعوا بالحماية ونعموا بالرعاية وأعيدت إليهم حقوقهم، وفسح لهم المجال لتولي المناصب الرفيعة في الدولة الإسلامية، ومما أورده المستشرق الإسباني غارسيا غوميس[1] أن قرطبة كانت بلداً نصف عربي، يتحدث أهله العربية وعجمية أهل الأندلس، ويختلط فيه رنين الأجراس بأذان المؤذنين. ونجم عن تخالط الأجناس وتجاور الديانات مناخ إنساني سَمْح جميل، وجو حضاري متألق رفيع.

لقد بلغ من أمر المستعربين الإسبان أنهم شغفوا بالعربية وأدبها، حتى أن كثيرين منهم نسوا لغتهم أو تخلوا عنها، وأقبلوا على تعلّم لغة العرب الفاتحين، فراحوا يستعملونها في مخاطباتهم ومعاملاتهم، ويتدارسون آدابها وعلومها، ويرتدون الأزياء العربية، ويصطنعون أساليب الحياة الإسلامية.[2]

ومن مظاهر التعايش الذي نهجته الدول الإسلامية التي حكمت الأندلس

---

(1) غومس، إميليو غرسيه، الشعر الأندلسي، بحث في تطوره وخصائصه: ترجمة: حسين مؤنس. (لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1952)، ص35.

(2) بالنثيا، أنخل جنثالث، تاريخ الفكر الأندلسي،، ترجمة: د.حسين مؤنس، (مكتبة دار النهضة المصرية- القاهرة: 1955)، ص485.

تجاه المستعربين، أنها تركت لهم نظامهم الاجتماعي والقضائي كما كان في العصر القوطي دون تدخل أو إكراه، بل حاولت دائما أن تجد الحلول عبر الاجتهادات التي كانت تقدم للفقهاء[1]

ويقول لنا بروفنسال[2] "أن الهدف الذي نبتغيه هو إلقاء الضوء على تداخل الإسلام والمسيحية في شبه الجزيرة الإيبيرية وهو تداخل حقيقي مستمر في إسبانيا في العصور الوسيطة سواء في داخل الحدود الإسلامية أم في خارجها. وكذلك هو في أن نظهر الأندلس على أنها لم تكن حتى في ذات الوقت الذي تعرف بأنها لا تقهر، لتمتشق الحسام في وجه جيرانها، وإنما كانت هناك سنوات طويلة لهدنات حقيقية أعطت الأندلس خلالها أكثر مما أخذت، كما برهنت في أغلب الأحيان على عقل متسامح إزاء رعاياها المسيحيين لم يعد أحد يماري فيه اليوم" كما قال في موضع اخر حول العلاقة الدائمة بين الاسلام والمسيحية وعن ذلك التعايش بقوله "ما من مكان كانت العلاقات الدائمة ضرورية فيه بين الإسلام والمسيحية، أكثر منها في أسبانيا العربية، فإن معظم سكانها قد احتفظوا، على الأقل في القرن الأول من حكم الإسلام، بالديانة القديمة في دولة الفيزيقوت [القوات الغربيون]، وفيما بعد، حتى عقب اعتناق أعداد غفيرة من الرعايا النصارى أهل الذمة للإسلام، للاستفادة من نظام مالي أفضل، بقيت نسبة ضخمة من الرعايا المسيحيين تشكل في المدن الأندلسية وحدات مزدهرة، لها كنائسها وأديرتها ورئيسها المسؤول وجابيها الخاص وقاضيها الذي يطبق في محكمته، تحت إشراف الإدارة الأموية، القانون القوطي القديم من أما

---

(1) بوتشيش، مباحث في التاريخ الاجتماعي، ص254.

(2) بروفنسال، ليفي، الاسلام في المغرب والاندلس، ترجمة السيد عبد العزيز سالم ومحمد صلاح الدين حامي، مطبعة نهضة مصر، (القاهرة، 1956)، ص70-71-72.

الاضطهادات التي عانتها فقد كان يسببها دومًا مسيحيون متهوّسون يرفضون أن يتراجعوا عن القدح في معتقد سادة البلاد.. وكان أمراء الأندلس وخلفاؤها يقرون بصورة دائمة تقريبًا اختيار أصحاب الرتب الكهنوتية: مطران طليطلة وأسقف قرطبة. حتى إنهم كانوا يستعملون هؤلاء الأحبار في سفارات أو مهمات سياسية سرية في الوقت المناسب. فلم تكن رؤية الإيكليريكيين الأسبان يتضلعون في معرفة اللغة العربية وآدابها من الأمور النادرة مطلقًا. وهذا ما يجعلنا نفترض وجود اختلاط ودّي، واثق ومتصل بين مختلف عناصر السكان. بل نملك على هذه الناحية شهادة معاصرة لا نستطيع الارتياب في قيمتها، ذلك لأنها صادرة عن واحد من أنشط أبطال المقاومة ضد الإسلام في شبه الجزيرة في القرن التاسع ألا وهو الفارو القرطبي فبينما يحزن لفتور مسيحيي أسبانيا وجهلهم باللاتينية، نراه يمجد بفصاحة نادرة الثقافة الإسلامية الإسبانية التي كانت في طور التكوين..."

أما الوجه الثاني لهذا التعايش الاجتماعي المبكر فيتمثل في ظاهرة الزواج بين العرب الفاتحين والنساء الإسبانيات، مما أدى إلى تكوين عائلات وبيوتات بفضل هذا الامتزاج، وهي البيوتات المولدية. لقد أصبحت ظاهرة الزواج والمصاهرة بين الجنسين العربي والإسباني ظاهرة متميزة جعلت من عملية فتح الأندلس مدخلا لتعايش اجتماعي وحضاري مشترك أكثر منه غزوا عسكريا. وتحفل المصادر التاريخية بذكر أخبار متفرقة عن نماذج من الزواج العربي-الإسباني، من ذلك ما رواه صاحب كتاب افتتاح الأندلس(1) عن زواج عيسى بن مزاحم بسارة القوطية بنت غيطشة، ثم زواجها الثاني بعد وفاة زوجها الأول

---

(1) ابن القوطية، ابو بكر محمد بن عمر القرطبي (ت367هـ)، تاريخ افتتاح الاندلس، تح: عبدالله انيس الطباع، دار النشر الجامعيين، (بيروت، 1957)، ص6.

بعمير بن سعيد اللخمي، وبالمثل فإن عبد العزيز بن موسى بن نصير تزوج "بأيلونا" المعروفة بأم عاصم[1]، ومع مرور الزمن سيزداد إيقاع هذا التزاوج العربي- الإسباني سرعة وشمولا حتى صار الموثقون والعدول يخصصون فصولا من كتبهم لكتابة صيغ نموذجية لعقود زواج المسلمين بالكتابيات[2]. وقد أفرز هذا الزواج المختلط جنسا يحمل الدم العربي- الإسباني وهو المعروف بجنس المولدين.

ومن ناحية أخرى، شكل الزي الأندلسي وجها آخر للتعايش المشترك بين طوائف وشعوب المجتمع الأندلسي، ولا غرو فقد ظهرت ملامح التأثير الإفرنجي في الزي الأندلسي بوضوح، خاصة في الملابس الحريرية المطرزة والقلانس[3] نستشف ذلك مما ذكره ابن الخطيب[4] عن ابن مردنيش أمير شرق الأندلس إبان العصر المرابطي الأخير حيث مال إلى اتخاذ زي الروم، وفي نفس المعنى أكد

---

(1) مؤلف مجهول، اخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر امرائها رحمهم الله والحروب الواقعة بها بينهم، تح: ابراهيم الابياري، دار الكتب الإسلامية، نهضة مصر، (القاهرة، 1981)، ص21

(2) ابن عذاري المراكشي، ابو العباس احمد بن محمد (ت712هـ)، البيان المغرب اخبار الاندلس والمغرب، تح: ج. س. كولان، وأ. ليفي بروفنسال، دار الثقافة، (بيروت، 1980) 2/ 23.

(3) بروفنسال، حضارة العرب في الأندلس، ص86.

(4) ابن الخطيب الغرناطي، لسان الدين محمد (ت776هـ)، اعمال الاعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الاسلام، نشر أ. ليفي بروفنسال، دار المكشوف، (بيروت، 1965)، ص561.

المقري[1] أن أمراء وأعيان الأندلس غالبا ما تزينوا باللباس الإفرنجي، وأثناء حديثه عن أنواع الملابس التي انتشرت خلال العصر المرابطي، يشير إلى اشتراك المسلمين والمستعربين في الأندلس في صناعة زي من جلد القلنية، ومن الدلالات على الأزياء المشتركة بين المسلمين والمستعربين أن مصطلح "فشطان" الذي شاع استعماله في اللغة العامية الأندلسية كان يعني في لغة ذلك العصر ثياب الروم، مما يدل على التداخل بين حضارتين كانتا تعيشان على أرض واحدة[2].

وعرف المجتمع الأندلسي أنواعا من العلاقات الإنسانية والاجتماعية بين العرب وغيرهم من الأجناس الأخرى، وبين المسلمين وغيرهم من أهل الديانات الأخرى، وانعكست هذه العلاقات على الحياة اليومية للناس، فتشاركوا في الاحتفالات بالأعياد والمواسم وأصبح أهل الأندلس من المسلمين يحتفلون مع إخوانهم المسيحيين بأعيادهم كعيد رأس السنة أو ما يسمى ينير الذي كان يحتفل به احتفالا كبيرا، سواء في المنازل أوفي الشوارع حيث تقام النصبات في الحارات وهي عبارة عن موائد كبيرة يضع عليها الباعة أصناف الحلوى والفواكه، وروي في احتفال أهل الأندلس أن النصبة ببعض بلاد الأندلس يبلغ ثمنها سبعين دينارا أو يزيد على السبعين. وعرف الأندلسيون في الاحتفال بهذا اليوم حلوى خاصة اسمها المدائن، والظاهر أنهم كانوا يتفننون في

---

(1) المقري، شهاب الدين احمد بن محمد التلمساني (ت 1041هـ)، نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب، تح: د. احسان عباس، دار صادر (بيروت 1388هـ-1968)، 2/ 62، 111.

(2) الأهواني، عبد العزيز، "ألفاظ مغربية من كتاب ابن هشام اللخمي في لحن العامة"، مجلة معهد المخطوطات العربية، المجلد 3، ج2/ 254.

صنعها والإنفاق عليها كل حسب طاقته ومقدرته المالية، بل كانت بعض النساء يغالين في الاحتفال بهذا العيد طالبات من أزواجهن النفقة الباهضة قد لا يقدرون على دفعها[1].

حرية الاعتقاد

جاء الإعلان القرآني الصريح بكمال البيان والوضوح في قوله تعالى ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾[2] وتفعيلاً لهذا المبدأ الصريح عمل المسلمون عبر تاريخهم الطويل على عرض الإسلام على الناس دون إكراه، وتوسع سلطانهم السياسي والجغرافي بالقوة، دون أن يتوسع سلطانهم الديني والعقدي بها، بل بالإقناع والقدوة والجدال بالتي هي أحسن وبحسن الخلق.

وللتحاور في الإسلام أصوله وأخلاقه التي لا يرتضي الإسلام سواها في عرض عقيدته من الأدب في الخطاب والصدق والإخلاص في تحرير الآخرين من

---

(1) حول الاعياد ينظر، ابن سعيد المغربي، علي بن موسى (ت586هـ)، المغرب في حلى المغرب، تح: شوقي ضيف، دار المعارف بمصر، (القاهرة، 1953)، ج1/ 294؛ ابن بسام الشنتريني (ت524هـ)، الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة، تحقيق: احسان عباس، (بيروت، 1979)، والقسم الثاني، المجلد الاول، تح: الدكتور لطفي عبد البديع، (القاهرة 1975)، ق1 ص562، ق1، ج2، ص705-707؛ العبادي، احمد مختار الأعياد في مملكة غرناطة، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية بمدريد، سنة 1970، مجلد 15/ 140.

(2) سورة البقرة، الاية 256.

الباطل، يضاف هذا كله إلى عدم إكراههم على تغيير معتقدهم. والقرآن مليء بجدال الكفار والبراهين العقلية التي تدين باطلهم من كتبهم ومعتقداتهم. وكما لا يرضى الإسلام لأتباعه إلا الحق والأدب والعدل والإنصاف مع الآخرين عند جدالهم، فإنه لا يقبل عكس ذلك من غير المسلمين. وكما لا يأذن لأتباعه، ولايجيز لهم السخرية من معتقدات الآخرين، فإنه لايأذن لغير المسلمين بالمساس بمعتقدات المسلمين تضمنته نصوص عديدة من القرآن كقوله تعالى ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ ۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾[1]

ولم يكن الاعتقاد بغير الإسلام يوماً ما سبباً في التمييز بين المسلمين والمواطنين غير المسلمين في المعاملة أو العدل أو في وظائف الدولة، إلا تلك الوظائف التي تحول طبيعتها دون قيام أناس لاينتمون إلى عقيدة النظام السياسي الحاكم بتوليها كالقضاء ورئاسة الدولة والجيش والأمن العام والجهاد الذي يحتاج إلى نية وإخلاص لله لا يتوفر عليهما غير المسلم ويشهد التاريخ بصدق ذلك، إذ قام المسلمون باستعمال غير المسلمين في مواقع عديدة في المجتمع الاسلامي[2].

ومنذ فتح المسلمين للأندلس، تعايشت الديانات السماوية الثلاث الإسلام والمسيحية واليهودية جنبا إلى جنب كانت الحرية الدينية التي سادت في المجتمع الأندلسي عاملا فعالا في توجيه الناس للمعرفة والأخذ بأسباب التعلم بلغات مختلفة عربية أو عبرية أو لاتينية، فكان العرب يدرسون هذه اللغات إلى جانب

(1) سورة العنكبوت، الاية 46.

(2) ينظر، امين، احمد، فجر الاسلام، (بيروت، 1969)، ص91، 155.

اللغة العربية، كما كان غيرهم من المسيحيين واليهود يقبلون على دراسة اللغة العربية بجانب لغتهم الأم[1]

وعاشت هذه العناصر منذ الفتح في سلام وطمأنينة، وعملت الخلافة الإسلامية منذ الفتح على احترام هذه التعددية "فأما اليهود فقد وثق المسلمون فيهم عند الفتح وضموهم في كل بلد مفتوح مع حامية إسلامية. وقد تركوا لهم حرية العقيدة وحرية التنظيم الداخلي للجماعة اليهودية، وأما أهل الذمة من النصارى فقد ذكرنا كيف أن العرب الشاميين نزلوا على أموالهم، وكان لهم قضاتهم كما كان لهم مطران مركزه طليطلة، وحفظ العرب لهم أديرتهم وأكثر كنائسهم"[2]

فالنصارى الذين بقوا بعد فتح الأندلس في المدن والبقاع المفتوحة، في ظل الدولة الإسلامية، وكانوا يكونون مجموعات كبيرة في قواعد الرئيسية مثل قرطبة وإشبيلية وطليطلة، وكان من الطبيعي أن يكون عددهم كبيرا في كل أرجاء الأندلس وكان هؤلاء النصارى أو الأعاجم يكونون طبقتين داخل المجتمع الأندلسي، طبقة عليا، جماعها كبار النصارى ووجوههم، وطبقة من العامة، وقد غير الفاتحون من وضع هؤلاء الإجتماعي، ومكنوهم من خدمة الأرض مقابل جزء يسير من منتوجها يؤدونه للدولة، ويحتفظون هم بجله، وكانوا قبلا أقنانا

---

(1) ابن الخطيب، الاحاطة في اخبار غرناطة، تح: محمد عبدالله عنان، دار المعارف، (القاهرة، 1973)، 3/ 67.

(2) عباس، احسان، تاريخ الادب الاندلسي- عصر سيادة قرطبة-، دار الثقافة، (بيروت، 1960)، ص13.

مملوكين[1]. وكان كل امتيازاتها الاجتماعية، إذ أخذت جل أرض الأندلس صلحا، وعليه فإن أصحابها كانوا يبيعون ويباع منهم، وأبناء آخر ملوك القوط حافظوا على ثلاثة آلاف ضيعة سميت بعد ذلك صفايا الملوك[2]

أما بالنسبة لحرية المعتقد بالنسبة لمسيحيي الأندلس، فإن السلطة الإسلامية كفلت لهم الحرية الدينية منذ بداية الفتح الإسلامي للأندلس، وكذلك استمر المر خلال عصر الولاة والإمارة والخلافة.[3]، يقول ابن حوقل[4]: "وبالأندلس غير ضيعة فيها الألوف من الناس لم تمدن وهم على دين نصرانية الروم".

وأشار الونشريسي[5] في إلى التسامح في بناء الكنائس والحظ على عدم تهديمها وظل الحفاظ على الكنائس سنة كما سنها عبد الرحمن بن معاوية، الذي وجد المسلمين يقاسمون نصارى قرطبة في كنيستهم العظمى، فأوسع لهم البذل في شطرهم، وفاء بعهد المصالحة، وأباح لهم بناء كنائسهم التي كانت قد هدمت إبان الفتح وكذا بناء كنيستهم العظمى خارج قرطبة[6]. وكانت الأناجيل أيضا

---

(1) مؤلف مجهول، ذكر بلاد الاندلس، حققه وترجمه للاسبانية: لويس موليفا، نشر معهد ميغيل اسين، (مدريد، 1983)، ص7؛ طه، الفتح والاستقرار العربي في شمال افريقيا والاندلس، ص81-82

(2) الحميري، الروض المعطار، ص169-170؛ المقري، نفح الطيب، 1/ 258؛ مؤنس، فجر الاندلس، 465؛ عنان، دولة الاسلام/ 1/ 63.

(3) أنظر التفاصيل عند، بوتشيش، مباحث في التاريخ الاجتماعي، ص82.

(4) ابن حوقل، ابو القاسم النصيبي (ت367هـ)، صورة الارض، (بيروت، 1979)، ص111

(5) المعيار، ج 2/ 214

(6) ابن عذاري، البيان، 2/ 229

شائعة الرواج يطالعها النصراني وغير النصراني، وقد أفاد منها ابن حزم[1] كثيرا، وكان يصاحب رجال الكنيسة ويجادلهم.

والراجح أن التسامح الديني الذي أبداه مسلمو الأندلس، والسلوكيات الحضارية التي تعاملوا بها مع الأهالي المسيحيين، ما جعل هؤلاء يعتنقون الإسلام. فالمصادر تمدنا بين الفينة والأخرى بأخبار بعض المسيحيين الذين أسلموا[2].

إن الاختلاط في السكن والمعاملات التجارية والنشاطات الاقتصادية، تفرض حتما وقوع نزاعات مما يستوجب تدخل القضاء، وقد كان الفاتحون منذ البدء على وعي بما يحدث في مقبل الأيام، لذلك مكنوا لأهل الذمة استقلالا فيما يخص قضاياهم، ولم يمس المسلمون ايا من شؤونهم الخاصة وعبادتها واماكنها، ولم يمنعوهم من الاحتكام الى دينهم وتركوا في هذا احرارا[3]، ولذلك ترى المسجد الى جانب الكنيسة، ولم تتخذ الكنائس مساجداً، الا في حالات استبدالها او هجرها، بعد دخول الناس في الاسلام[4]

---

(1) ابن حزم الاندلسي (ت456هـ)، الفصل في الملل والاهواء والنحل، صححه وذيله: عبد الرحمن خليفة، مطبعة محمد علي صبيح واولاده، (مصر، 1347هـ 1982م)، 2/ . 20.

(2) ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص263.

(3) الحجي، عبد الرحمن علي، اندلسيات، المجموعة الثانية، (بيروت، 1969)، 2/ ص26، وص158.

(4) الحجي، التاريخ الاندلسي من الفتح الاسلامي حتى سقوط الخلاف، (دار القلم، دمشق، 1976)، ص158. ينظر، مؤنس، فجر الاندلس، ص492؛ سالم، السيد عبد العزيز، قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس، مؤسسة شباب الجامعة، (بيروت، 1971)، ص286.

وظـل المسـيحيون يتمتعـون في القواعـد الرئيسـية مثـل قرطبـة وإشـبيلية وطليطلة باستقلال ذاتي، ويطبقون شرائعهم القوطية القديمـة علـى يـد قضـائهم وتحت مسؤولية قواميسهم، الـذين كـانوا يتمتعـون بـاحترام كـبير، وكـانوا مـن مستشاري الخلفاء في قضاياهم الخاصة، وفي قضايا النصـارى وأحـوالهم. ويـذكر أن عبد الرحمن بن معاوية هو الذي نصب أول قـومس في الأنـدلس. ويبـدو أن القومس كان يرأس جهازا إداريا كاملا مركزه قرطبة وفروعه في الْكُور. وهكـذا فقد كان أهل الذمة في مختلف مدن البلاد وكورها يسيرون أمورهم برئاسة شيوخ من أهل دينهم ذوي حنكة ودهاء ومداراة ومعرفة بالجبايـة. وعليـه فـإن قضـايا الطائفة خلال القرن العاشر كانت تدبر بواسطة موظفين تختارهم الطائفة باتفـاق مع السلطة الإسلامية العليا[1].

اما اليهود الذين استوطنوا الأندلس قبل الفتح كانوا عونا للفاتحين، يقـول المقري عن فتح طارق ووقوف اليهود مع الفتح بقوله: "...ثم لحق ذلـك الجـيش بالجيش المتوجه إلى البيرة، فحاصروا مدينتها وفتحوها عنـوة، وألفـوا بهـا يهـودا ضموهم إلى قصبة غرناطة، وصار ذلك سنة متبعة متى وجـدوا بمدينـة فتحوهـا يهودا، ويضمونهم إلى قصبتها ويجعلون معهم طائفة مـن المسـلمين يسـدونها"[2]. ولليهود طوائف ذات أهمية كبرى في عديـد مـن المـدن، مثـل قرطبـة وإشـبيلية ولسيانة وغرناطة وطليطلة وقلعة حماد وسرقسطة، وكذا في مدن الشـمال، مثـل برشلونة وطركونة وطرطوشة[3]

(1) مؤنس، فجر الاندلس، ص462.

(2) نفح الطيب، ج 1، ص10؛ ينظر، ابن عذاري، البيان، ج2، ص. 12.

(3) ابن حيان، ابو مروان حيان بن خلف (ت469هـ)، المقتبس في اخبار الاندلس، تح: عبـد =

وما تمتع به اليهود من حرية دينية تمثلت في السماح لهم بالحج إلى بيت المقدس، وتأليف الكتب الدينية. كما ظهرت مجموعة من الأحبار في مدن أندلسية كقرطبة وغرناطة وأليسانة. وتعددت معابد اليهود في الأندلس إلى درجت أنها أثارت انتباه العامة، فذكروها في أمثالهم[1].

ظلت سلطة اليهود ومقاليد أمورهم الدينية الخاصة بهم بين أيديهم، فقد جرت العادة على أن تعين السلطة رأس الجالوت أو الناسي أو شيخ اليهود، للقضاء في أمرهم وبتشريعهم، ويكون هذا الشيخ نفسه هو الواسطة بينهم وبين السلطة المدنية.[2]

ويقول ول ديورانت[3] "على الرغم من خطة التسامح الديني التي كان ينتهجها المسلمون الأولون أو بسبب هذه الخطة، اعتنق الدين الجديد معظم المسيحيين، وجميع الزردشتيون والوثنيين إلا عددًا قليلاً جدًا منهم، وكثيرون من اليهود، وحيث عجزت الهلينية عن أن تثبت قواعدها بعد سيادة دامت ألف عام، وحيث تركت الجيوش الرومانية الآلهة الوطنية ولم تغلبها على أمرها، وفي البلاد التي نشأت فيها مذاهب مسيحية خارجة على مذهب الدولة البيزنطية الرسمي،

= الرحمن علي الحجي، دار الثقافة، (بيروت، 1965)، ص149؛ مؤلف مجهول، اخبار مجموعة، ص12-13؛ ابن عذاري، البيان، 2/ 12.

(1) مؤنس، فجر الاندلس، ص525.

(2) ابن بلقين، عبد الله بن بلقين (ت: 483 هـ)، مذكرات الأمير عبد الله المسماة بكتاب التبيان، تح: ليفي بروفنسال (القاهرة، دار المعارف، 1955م)، ص131.

(3) ديورانت، ول، قصة الحضارة، ترجمة محمد بدران، ط2، (مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1964)، 13/ 133

فإن هذه الأقاليم كلها انتشرت فيها العقائد والعبادات الإسلامية، وآمن السكان بالدين الجديد وأخلصوا له، واستمسكوا بأصوله إخلاصًا واستمساكًا أنسياهم بعد وقت قصير آلهتهم القدامى، واستحوذ الدين الإسلامي على قلوب مئات الشعوب في البلاد الممتدة من الصين وحتى الأندلس، وتملك خيالهم وسيطر على أخلاقهم، وصاغ حياتهم، وبعث فيهم آمالاً تخفف عنهم بؤس الحياة ومتاعبها، وأوحى إليهم العزة والأنفة، حتى بلغ عدد من يعتنقونه ويعتزون به في هذه الأيام [مئات الملايين] من الأنفس، يوحد هذا الدين بينهم، ويؤلف قلوبهم مهما يكن بينهم من الاختلافات والفروق السياسية"

حرية الفكر رغم هيمنة العرب على الأندلس، فقد أشاعوا ثقافة متسامحة أساسها الاختلاف والتنوع، والذي يهمنا في هذا البحث هو تسليط الضوء على اهتمام أهل الذمة بعلوم اللغة العربية والتميز فيها أدبا وشعرا.

لقد انتشرت اللغة العربية في أوساط الإسبان، وظلت وسيلة للتعبير الكتابي حتى انتهاء الحكم الإسلامي في الأندلس كما يؤكد ذلك المستشرق الإسباني بالنثيا[1]

من جهة أخرى فإن العامية الأندلسية المعروفة باسم العجمية أو الرومانسية أو اللطينية شاعت في الأندلس، وهي لغة تختلط فيها الألفاظ العربية واللاتينية. والراجح أنها كانت شائعة لدرجة كبيرة حتى أن ابن حزم[2] يبدي استغرابه من كون إحدى العائلات الأندلسية المشهورة وهي" دار بلي" لا يحسن

(1) تاريخ الفكر الأندلسي، ص488

(2) جمهرة انساب العرب، تح: ليفي بروفنسال، (بلا. ت)، ص443

أهلها التحدث باللاتينية، وعلى كل حال، فإن هذه اللغة لم تقتصر على كونها وسيلة للتداول في المنازل والشوارع[1]، بل غزت أجناسا أدبية أخرى في اللغة العربية الفصحى مثل الأزجال والموشحات[2]

ولم يتردد المجتمع الإسباني، كما يبدو، من سرعة اندماجه في المنظومة الحضارية الإسبانية، في استعارة طائفة من الكلمات والألفاظ الحضارية والمصطلحات العلمية والعادات من طرف الآخر، بل وحتى لغة التداول والتواصل التي كان يستعملها الإسباني في خطابه اليومي مستعار أغلبها من اللغة العربية المتداولة في الشارع الأندلسي، فاللغة التي يتكلم بها الإسبان اليوم فيها ما يزيد على 1290 كلمة عربية. وان دل هذا الرقم على شيء فإنما يدل على أن الإسبان والبرتغال يتكلمون اليوم العربية وهم لا يعلمون[3].

وفي المجال العلمي عرفت الساحة الأندلسية في العصور الوسطى ظواهر حضارية في غاية من الرقي والتقدم والشفافية، ويتعلق الأمر بالمعاهد العلمية المشتركة التي كانت تحتضن اليهود والنصارى والمسلمين في آن واحد حيث يَتَلقى الحاضرون مختلِف العلوم باللغة العربية التي يفضلونها. فقد ذكر لسان الدين ابن الخطيب في كتابه الإحاطة عن العالم الغرناطي عبد الله بن سهل الذي كانت له مدرسة في مدينة بياسة في عام 553 هـ/ 1158م وكان يحضر دروسه في الفلسفة

---

(1) بروفنسال، حضارة العرب في الأندلس، ص79

(2) أنظر مقدمة إحسان عباس في تحقيقه لديوان الأعمى التطيلي، دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع، 1980 ص حرف ث

(3) بالنثيا، تاريخ الفكر الأندلسي، ص573/ 574

والعلوم الرياضية جمع كبير من المسلمين والنصارى واليهود[1]، وتحدث بعده المقري في كتابه نفح الطيب عن الأستاذ محمد بن أحمد بن أبي بكر القرموطي الذي كان له مجلس بمرسية يحضره المسلمون والنصارى واليهود على السواء، يلقن فيه أنواع العلوم القديمة: النطق والهندسة والطب والموسيقى أكثر من هذا لما عادت مرسية إلى حكم النصارى، قدر الحاكم الجديد للأستاذ القرموطي الدور العظيم الذي كان يؤديه، فبنى له مدرسة تابعت عملها في تلقين المسلمين والنصارى واليهود[2]

إن النزعة العامة للكنيسة المسيحية تجاه الفلسفة والعلم هي نزعة عدائية. ويرجع الفضل للإسلام في محافظته على الروح العلمية الفلسفية وإرجاعها إلى المجتمع الأوروبي، إذ كان الإسلام حاميًا للكثير من المعلمين والفلاسفة الذين هجروا أوطانهم بنتيجة اضطهاد المسيحية إياهم. والواقع أن العلم لم يرجع إلى أوروبا إلا بواسطة الإسلام الذي امتد سلطانه إلى الأندلس.. وأن هذا العلم الذي انتشر في أوروبا عن طريق الإسلام أخذ يعمل في عقول المفكرين شيئًا فشيئًا حتى كانت النتيجة أن أحدث صراعًا عنيفًا بين الكنيسة وساسة الشعوب المفكرين فكان نصيب الكنيسة التسليم بمعظم ما كانت تتمتع به من سلطان[3].

ويشير غوستاف لوبون[4] أن دراسة الاستعارات (اللغوية) التي تنفح

---

(1) الإحاطة، 3/ 405.

(2) المقري، نفح الطيب، 4/ 130.

(3) سوسة، احمد، في طريقي إلى الإسلام، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 2006 هامش 1، 1/ 188-189

(4) حضارة العرب في الأندلس، ص80-81.

القشتالية والبرتغالية والقطالونية وهي اللغات القومية الحالية في شبه الجزيرة عبيرًا من العربية جد نفاذ ومدعاة للبحث، هذه الدراسة لا تقدم لنا قيمة في فقه اللغة فحسب بل إنها تكتسي طابع الأهمية الخاصة حالما نتوسع فيها لتشمل وقائع الحضارة التي بردت هذه الاستعارات اللغوية، فهي تقدم الدليل الضمني، ولكن الذي لا جدال فيه، على الأثر العميق الذي مارسته الثقافة العربية الأندلسية على السكان المسيحيين في الكتلة الإيبيرية بكاملها.. لقد وجد هؤلاء أنفسهم مضطرين لأن يأخذوا عن العربية كل ما كان ينقصهم حتى ذلك الوقت للتعبير عن المفاهيم الجديدة وبخاصة في مضمار المؤسسات والحياة الخاصة. وهذا التحقق هو غني بالمعلومات بصورة فريدة.

ويقول ايضا كان العالم السياسي الإسباني السيد Cl. Sanchez-Albornoz رئيسًا لجامعة مدريد فسفيرًا لبلاده ثم وزيرًا لشؤونها الخارجية، إلا أنه كان ويبقى، قبل كل شيء، مؤرخًا على مستوى عالٍ.. أنه يعرف، أكثر من أي شخص آخر، كيف أشرف الإسلام على هذه البلاد وماذا كان تراثه الرئيسي فيها: تأثير عميق على الفكر الإسباني لا يمكن إنكاره.. لنترك له الكلام ونردد معه كلمة هذا الاعتراف المؤثر العضوي: المسألة اليوم ليست مسألة ظلمات العصور الوسطى، ولكن علينا أن نرى مقابل أوروبا التي تنمو في التعاسة والانحطاط، حضارة إسبانيا المسلمة الرائعة. فإن أساتذة الدراسات العربية يفتحون لنا كل مرة آفاقًا جديدة عن مدى تألّق هذه الثقافة الإسبانية المغربية وعمقها. فقد ادعوا أن لها مقامًا حاسمًا في تكوين الفلسفة والعلم والشعر وجميع ثقافة أوروبا المسيحية. وبرهنوا على أن تأثيرها قد بلغ حتى ذرى الفكر الوسيط. بلغ القديس توماس ودانتي. كثيرون ولا شك، في كل ناحية من ناحيتي جبال البيرنيه والبحر المتوسط الذين ينفرون حتى الآن من الإقرار لها بهذا التفوق

وذلك الدور الموجه. ومع ذلك فإن براهين وافية للغاية تؤكد ذلك منذ الآن. ومن يوم على يوم تنبجس أخرى جديدة. وقد انقضت عدة قرون قبل أن تعمل النهضة من جديد على تفجير ينابيع كادت تنضب، كان نهر الحضارة الذي ينهمر في قرطبة يحفظ جوهر الفكر القديم وينقله إلى العالم الجديد"[1]

لقد فضلت أن أكتفي بهذه الشواهد الإيجابية والنماذج الحية من التعايش العربي الإسباني اقتبسناها من مصادر عربية أندلسية ومصادر معربة لأرسم صورة تقريبية لمدى التعايش بين العناصر المتساكنة في شبه الجزيرة الإيبيرية.

الخاتمة

أزعم أن التعايش السلمي بين الديانات السماوية الثلاث شكل سمة من سمات الحوار الحضاري الذي عرفته الأندلس، وهو حوار حضاري، أنتج العقلية الأندلسية المتفتحة، وأدى إلى لقاء الثقافات المختلفة على صعيد واحد، وأدي إلى تلاقح العقول، وهو حوار حضاري ما أحوجنا اليوم لمثله، فقد أثبتت التجربة الأندلسية أنه إذا ما توفرت الأجواء الصحيحة والتسامح فإن الدين لا يشكل عقبه أمام الحوار الحضاري، وإن الدين لا يصبح كما يقول البعض من أنه كان سببا من أسباب الصدام الحضاري، وإذا ما ابتعد عن التعصب والتحزب. والجدل الديني كما اتضح من التجربة الأندلسية، جدل قائم على قبول الرأي والرأي الأخر، وعلى فتح باب الخيار أمام المتجادلين وغيرهم، وعدم إجبارهم على قبول مالا يرضون، أو التقليل من شأنهم، ولم يرد في المصادر ما يشير إلى أن المتجادلين والمحاورين من أتباع النصرانية أو اليهودية قد تعرضوا للضرب أو

(1) لوبون، حضارة العرب في الأندلس، ص87-88.

السجن، ناهيك عن القتل. وهذا هو التعايش السلمي المطلوب. الذي يؤدي إلى حوار حضاري. وهو الحوار الحضاري الذي شهدته الأندلس، وقام بين الحضارة الإسلامية وحضارة أهل الكتاب بشقيها اليهودي والنصراني.

وان الاسلام لم يأت لينفي المسيحية او اليهودية وانما ليؤكدهما معتبرا نفسه استمراراً لهما واحياء لسنة ابراهيم ابي الانبياء. اذ لم يرد في القرآن عن نبي الاسلام محمد صلى الله عليه وآله وسلم انه اول موحد في العالم بل نرى الحديث عنه وعن التوحيد يشمل عددا من الاشخاص ولا سيما اولئك الانبياء الذين سبقوه ودعوا لنفس الاله وعبدوه ومن بين هؤلاء نجد اشخاصاً من الكتاب المقدس كما نجد انبياء عرب ارسلهم الله لمختلف الشعوب العربية القديمة ومن ذلك لجد ان الاسلام تميز منذ انطلاقته الاولى بصفة الشمولية او الكونية الاممية، ليس بتوجهه الى الامم والشعوب المختلفة فقط، بل بأخذه فكرة تدرج المعرفة البشرية واستيعاب المرحلة اللاحقة لما قبلها وتخطيها لها، وايمانه بوحدة العقل البشري ووحدة العالم رغم وجود خصائص تميز الشعوب والامم. إسبانيا المسلمة هى برهان ملموس على كل هذا، وهى تحد سافر للأفكار الجاهزة، وللقوالب المسبقة حول الإسلام والمسلمين. الإسلام كان الحضارة المتفوقة، وكان الطرف الخلاق حين كانت المسيحية متخلفة عنه قرونا كثيرة، ولقد عاشت المجموعات السكانية المختلفة بظله بتناغم وتجانس دون اعتبار للعرق والدين. لقد تمكن الإسلام هناك من خلق مجتمع التعايش السلمى..

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

ابن بسام الشنتريني (ت524هـ)

1) الذخيرة في محاسن اهـل الجزيـرة، تحقيـق: احسـان عبـاس، (بـيروت، 1979)، والقسم الثاني، المجلد الاول، تح: الدكتور لطفـي عبدالبـديع، (القاهرة) 1975)

ابن بلقين، عبد الله بن بلقين (ت: 483 هـ)

2) مذكرات الأمير عبد الله المسماة بكتاب التبيان، تـح:ليفـي بروفنسـال(القاهرة، دار المعارف، 1955م).

ابن حزم الاندلسي (ت456هـ)

3) الفصل في الملل والاهواء والنحل، صححه وذيله: عبـدالرحمن خليفـة، مطبعة محمد علي صبيح واولاده، (مصر، 1347هــ 1982م)

4) جمهرة انساب العرب، تح: ليفي بروفنسال، (بلا. ت).

الحميري، ابو عبدالله محمد بن عبدالله بن عبدالمنعم (ت 710هـ)

5) الروض المعطار في خبر الاقطار، جزء منتخب منـه نشـر نشـر بعنـوان (صفة جزيرة الاندلس)، نشره: ليفي بروفنسال، لجنة التأليف والترجمـة والنشر، (القاهرة، 1937).

ابن حنبل، احمد (ت241هـ)

6) المسند، (مصر، مؤسسة قرطبة، بلا. ت)

ابن حوقل، ابو القاسم النصيبي (ت367هـ)

7) صورة الارض، (بيروت، 1979).

ابن حيان، ابو مروان حيان بن خلف (ت469هـ).

8) المقتبس في اخبار الاندلس، تح:عبدالرحمن علي الحجي، دار الثقافة، (بيروت، 1965).

ابن الخطيب الغرناطي، لسان الدين محمد (ت776هـ)

9) الاحاطة في اخبار غرناطة، تح: محمد عبدالله عنان، دار المعارف، (القاهرة، 1973).

10) اعمال الاعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الاسلام، نشر أ. ليفي بروفنسال، دار المكشوف، (بيروت، 1965).

ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد (ت 808هـ)

11) كتاب العبر وديوان المبتدا والخبر في ايام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر، المعروف بتاريخ ابن خلدون، مؤسسة جمال للطباعة والنشر، (بيروت، 1979).

ابن سعيد المغربي، علي بن موسى (ت586هـ)

12) المغرب في حلى المغرب، تح: شوقي ضيف، دار المعارف بمصر، (القاهرة، 1953).

السلاوي، ابو العباس احمد بن خالد (ت 1315هـ)

13) الاستقصا لاخبار دول المغرب الاقصى، تح: جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب، (الدار البيضاء، 1955).

ابن الشباط، محمد بن علي التوزري (ت: 681 هـ/ 1282م)

14) وصف الأندلس وصقلية من كتاب صلة السمط وسمة المرط، تح: أحمد مختار العبادي (مدريد، معهد الدراسات الاسلامية، 1971م).

ابن عذاري المراكشي، ابو العباس احمد بن محمد (ت712هـ)

15) البيان المغرب اخبار الاندلس والمغرب، تح: ج. س. كولان، وأ. ليفي بروفنسال، دار الثقافة، (بيروت، 1980).

العذري ابن الدلائي، احمد بن عمر بن انس (ت393هـ)

16) ترصيع الأخبار وتنويع الاثار والبستان في غرائب البلدان والمسالك الى جميع الممالك (نشر بعنوان عن نصوص عن الأندلس)، تح: عبدالعزيز الاهواني، منشورات معهد الدراسات الإسلامية في مدريد (مدريد، 1969).

ابن القوطية، ابو بكر محمد بن عمر القرطبي (ت367هـ)

17) تاريخ افتتاح الاندلس، تح: عبدالله انيس الطباع، دار النشر لجامعيين، (بيروت، 1957)

مؤلف مجهول

18) اخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر امرائها رحمهم الله والحروب الواقعة بها بينهم، تح: ابراهيم الابياري، دار الكتب الإسلامية، نهضة مصر، (القاهرة، 1981).

مؤلف مجهول

19) ذكر بلاد الاندلس، حققه وترجمه للاسبانية: لويس موليفا، نشر معهد ميغيل اسين، (مدريد، 1983).

المراكشي، عبدالواحد بن علي (ت647هـ)

20) المعجب في تلخيص اخبـار المغـرب، تحقيـق: محمـد سـعيد العريـان، مطابع شركة الاعلانات الشرقية، (القاهرة، 1963).

المقري، شهاب الدين احمد بن محمد التلمساني (ت 1041هـ)

21) نفخ الطيب من غصن الاندلس الرطيب، تح: د. احسان عباس،، دار صادر (بيروت 1388هـ-1968).

ثانياً: المراجع

امين، احمد

22) فجر الاسلام، (بيروت، 1969)

الأهواني، عبد العزيز

23) "ألفاظ مغربية من كتاب ابن هشام اللخمي في لحن العامة"، مجلة معهـد المخطوطات العربية، المجلد 3

بالنثيا، أنخل جنثالث

24) تاريخ الفكر الأندلسي، ترجمة: د. حسين مؤنس، (مكتبة دار النهضـة المصرية- القاهرة: 1955)

بروفنسال، ليفي

25) الاسلام في المغرب والاندلس، ترجمة السـيد عبـدالعزيز سـالم ومحمـد صلاح الدين حامي، مطبعة نهضة مصر، القاهرة، 1956.

بوتشيش، إبراهيم القادري

26) مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين، (دار الطليعة، بيروت 1998)

بيريس، هنري

27) وثائق عن التعايش الاسلامي المسيحي في الاندلس عصر ملوك الطوائف، ترجمة الطاهر احمدمكي، (دارالمعارف، 1990).

بيضون، ابراهيم

28) الدولة العربية في اسبانيا، (بيروت، 1978).

الأعمى التطيلي، أحمد بن عبد الله بن هريرة القيسي

29) ديوان شعر، تحقيق: احسان عباس، دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع، 1980

الحجي، عبدالرحمن علي

30) التاريخ الاندلسي من الفتح الاسلامي حتى سقوط الخلاف، (دارالقلم، دمشق، 1976).

31) اندلسيات، المجموعة الثانية، (بيروت، 1969)،

حمودة، علي محمود

32) تاريخ الأندلس السياسي والعمراني والإجتماعي، (ط 1، القاهرة، مطابع دار الكتاب العربي، 1975م)

سالم، السيد عبد العزيز

33) قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس، مؤسسة شباب الجامعة، (بيروت، 1971).

السامرائي، خليل ابراهيم واخرون

34) تاريخ العرب وحضاراتهم في الاندلس، مديرية دار الكتب للطباعة والنشر، (الموصل، 1986).

سوسة، احمد

35) في طريقي إلى الإسلام، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 2006

طه، عبد الواحد ذنون

36) الفتح والاستقرار العربي الاسلامي في شمال افريقيا والاندلس، الجمهورية العراقية، وزارة الثقافة والاعلام، دار الرشيد، (بغداد، 1982).

العبادي، احمد مختار

37) في التاريخ العباسي والاندلسي، دار النهضة العربية، (بيروت، 1971)

38) الأعياد في مملكة غرناطة"، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية بمدريد، مجلد 15 سنة 1970

عباس، احسان

39) تاريخ الادب الاندلسي- عصر سيادة قرطبة-، دار الثقافة، (بيروت، 1960).

العدوي، ابراهيم احمد

40) المسلمون والجرمان (الإسلام في غرب البحر المتوسط)، (ط 1، القاهرة، دار المعرفة، 1960م)

عنان، محمد عبدالله

41) دولة الاسلام في الاندلس، (القاهرة، 1969)

غومس، إميليو غرسيه

42) الشعر الأندلسي، بحث في تطوره وخصائصه: ترجمة: حسين مؤنس. (لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1952).

لمارمول، كربخا

43) افريقيا، ترجمةُ عن الفرنسية: محمد حجي وآخرون، (الرباط، مكتبة المعارف، 1984)

لوبون، جوستاف

44) حضارة العرب، ترجمة: عادل زعيتر، (الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1998م)

مؤنس، حسين

45) فجر الاندلس، (دار الرشاد القاهرة 2005). ديورانت، ول

قصة الحضارة، ترجمة محمد بدران، ط2، (مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1964).

العمران الأندلسي
(الاثار الكبرى الباقية)



العمران الأندلسي

(الاثار الكبرى الباقية)

فتح العرب بلاد الأندلس عام 91هـ/ 711م، وحاول عدد من الباحثين مناقشة هذا الاسم الأندلس: لغوياً وتاريخياً واهتموا بمدلوله جغرافياً، يرى البعض أن التسمية مشتقة من كلمة الوندال[1]، وحاول البعض إخضاع الكلمة لقواعد الصرف والاشتقاق ليخلص إلى أنها "كلمة عجمية لم تستعملها العرب في القديم، وإنما عرفتها العرب في الإسلام"[2] الكلمة الآن تدل على الجزء الجنوبي من أسبانيا والذي يحوي مدناً وقرى لا تزال تحتفظ بأسمائها مثل: مالقة، المرية، غرناطة، اشبيلية، قرطبة، كل هذه الأسماء لها وقعها الخاص في أسماعنا وتاريخنا.

وكثيراً هم أولئك الذين وصفوا الأندلس فالحميري بقوله "اسم الأندلس في اللغة اليونانية اشبانيا ... وقيل اسمها في القديم أباريه ثم سميت بعد ذلك باطقة، ثم سميت اشبانيه من اسم رجل ملكها في القديم كان اسمه اشبان"[3].

ووصفها ياقوت الحموي بقوله "... الأندلس جزيرة كبيرة فيها عامر وغامر، طولها نحو الشهر من نيف وعشرين مرحلة تغلب عليها المياه الجارية والشجر والثمر والرخص والسعة في الحال"[4].

ودخل العرب الأندلس فلم يجدوا فيها شعباً عريقاً في الحضارة كما وجدوا في مناطق أخرى دخلوها فقد وجدوا أناساً حديثي عهد بالحضارة، فتركوا آثارهم شاخصة وخرجوا من الأندلس وتركوا إبداعا مما أبدعه أبنائهم طيلة عقود من عمر الزمن لم تغيره السنون والأحداث، فمن آلاف أشجار

النخيل إلى القصور والقلاع والحصون مروراً بآلاف الكلمات العربية في اللغة الأسبانية كلها شواهد إلى أن نور الإسلام ما انطفاء وإن كانت حقب من الزمان قد أسدلت عليها ستاراً من التعتيم.

ومن مظاهر الحضارة التي تركها العرب منشآت معمارية كثيرة فهي تعد دلالة على الرخاء الاقتصادي فقد اختار العرب قرطبة حاضرة للأندلس الإسلامية وقد أصبحت في عهد الخلافة صورة حقيقية لمظاهر ازدهار، فقد كانت من أكبر وأجمل عواصم العالم آنذاك[5] وحوت كل شيء تزهو به المدن[6]

وعندما فتح المسلمون قرطبة اتخذ وسط كنيستها المعروفة شنت فنجنت مسجداً لهم[7]، وبقي الشطر الآخر كنيسة للنصارى بحيث يؤدي كل منهما شعائر دينه[8] ثم اشترى عبد الرحمن الداخل النصف الثاني من الكنيسة وأسس جامع قرطبة الكبير[9]. (صوره رقم 1).

ويعد المسجد الجامع أشهر واكبر المساجد على الإطلاق (صوره رقم 2) وهو آية من آيات الفن ترك أمراء بني أمية بصماتهم عليه زيادةً وتوسعاً إلى انتهى بكامل روعته في عصر الخليفة الناصر[10] بدأ بناءه عبد الرحمن الداخل ودام بناءه أثنى عشر شهراً ثم شيد هشام الأول المئذنة وزاد عبد الرحمن الثاني أروقته ومحرابه ووضع محمد الأول مقصورته وشيد عبد الرحمن منارته العظيمة، وزاد الحكم الثاني امتداد أروقته إضافة إلى مقصورة جديدة لها ذات أقواس متقاطعة مفلطحة وقبباً ذات أضلاع رائعة الشكل. وفي زمن الحاجب المنصور، زيدت أروقة الجامع فبلغت تسعة عشر وفي كل رواق خمسة وثلاثون عموداً، وأحيط الجامع بسور ذي شرفات عالية، وواحد وعشرين باباً شامخاً وفي وسط الجامع حوض عظيم للوضوء[11]، وهذا الجامع من أهم المباني الظافرة التي زهت بها

الأندلس لقد حوى هذا المسجد على ألف وأربعمائة عموداً (صورة رقم 3) من أقواس الدائرة ويتدلى من السقف المصنوع من خشب الأرز أربعة آلاف وسبعمائة مصباحاً من الفضة لتضيء تسعة عشرة رواقاً طولياً تتقاطع مع ثلاثة وثلاثين رواقاً عرضياً"[12]، المسجد الآن لايزال يحتفظ ببعض خصائصه المعمارية لكنه فقد جموع المصلين التي كانت تقدر بالآلاف فأبواب هذا المسجد باقية على حالها من البناء الأول والنقش بالكتابة العربية لازال[13]، وإن "هذا المسجد هو أكبر مساجد الدنيا وأعظمها صيتاً" [14].

وفي جامع قرطبة عدة نقوش وكتابات، تشير إلى الإصلاحات والزيادات التي تدل على تجديدها، ومن أهم نقوش المسجد الجامع ما نقله لنا عنان: هما اثنان أولهما ما قام به عبد الرحمن الناصر حيث نقش في لوحة رخامية بخط كوفي ما يأتي: "بسم الله الرحمن الرحيم، أمر عبدالله عبد الرحمن أمير المؤمنين الناصر لدين الله، أطال الله بقاه، بنيان هذا الوجه وأحكام إتقانه، تعظيما لشعائر الله، ومحافظة على حرمة بيوته، التي أذن الله أن ترفع، مع بقا شرف الأثر وحسن الذكر، فتم ذلك بعون الله، في شهر ذي الحجة سنة ست وأربعين وثلاثمائة، على يد مولاه ووزيره وصاحب مبانيه عبدالله بن بدر، عمل سعيد بن أيوب"[15]. والثاني ما نقش بالكوفية داخل المحراب (صورة رقم 4) في أسفل القبة وهو يؤرخ ما قام به الحكم المستنصر في إنشاء المحراب، وكسوته بالرخام وهذا نصه: "بسم الله الرحمن الرحيم، حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين. أمر الإمام المستنصر بالله، الحكم، أمير المؤمنين أصلحه الله بعد عون الله فيما شيده من هذا المحراب، بكسوته بالرخام، رغبة في جزيل الثواب وكريم المآب، فتم ذلك على يد موليه وحاجبه جعفر بن عبد الرحمن رضي الله عنه، بنظر محمد تمليخ، وأحمد بن نصر، وخالد بن هاشم أصحاب شرطته

ومطرف ابن عبد الرحمن الكاتب، عبيده، في شهر ذي الحجة من سنة أربعة وخمسين وثلاثمائة. ومن يسلم وجهه إلى الله فقد استمسك بالعروة الوثقى، والى الله عاقبة الأمور"[16].

ويحتوي المسجد الجامع واحد وعشرين باباً وقد كسيت بالنحاس الأصفر اللماع الرائع الصنع ويذكر سيديو: "إن الباب الأوسط كان مرصعاً بصفائح من الذهب وبأعلاه ثلاث كرات مذهبة تعلوها رمانة من الذهب"[17].

ويحتفظ مسجد قرطبة بصورته الإسلامية (صورة رقم 5)، رغم ما أصابه من تغيير منذ سقوط قرطبة وبقيت أصالته المعمارية في قباب المسجد وصفوف الأعمدة على أروقة طويلة عددها تسعة عشر، وتميز أقواسها جميعاً بالتناوب اللون الأصفر والأحمر[18]، فإن الضرورة الفنية تحولت إلى نتيجة زخرفية رائعة وقد ازداد جمال الأقواس باستعمال الآجر الأحمر وقطع الحجارة الصفراء مما أكسب المسجد مظهراً زخرفياً جميلاً"[19]. أما أعمدته التي كانت من الرخام والتي كانت مكسوة بالذهب واللازورد فقد بلغت عدتها ثلاثة وتسعين ومائتين ألف عمود[20].

ويصف لوبون هذه الأعمدة فيقول "يقوم سقف جامع قرطبة على أعمدة ويتكون من اجتماع هذه الأعمدة صفوف من الصحون المتوازية المؤدية إلى ساحته، وتتقاطع هذه الصحون وصحون أخرى كتقاطع الأضلاع الذي ينشأ زوايا قائمة ويتألف من مجموع تلك الأعمدة غابة من الرخام والغرانيق وتعلو تلك الأعمدة أقواس رائعة منضدة مصنوعة على شكل نعل الفرس"[21]، وفي سقف الجامع من ضروب الصنائع والنقوش مالا يشبه بعضها بعضاً، وقد احكم تزيينها وأبدع تلوينها بأنواع الحمرة والبياض والزرقة والخضرة والتكحيل[22].

فقد ضرب لنا المسجد الجامع ذلك الأثر الرائع بعظمته أحداث مأساة وجودنا العربي الإسلامي في الأندلس، وجامع قرطبة هو- بعد قصر الحمراء- أعظم الآثار الأندلسية الباقية.

كذلك اشتهرت قرطبة بحماماتها الكثيرة والتي تقدر بثلاثمائة حماماً[23] وساحاتها وحدائقها الواسعة

ولعل من أهم آثار عصر الخلافة في الأندلس مدينة الزهراء[24] (صورة رقم 6) فقد بنيت في محرم سنة 325هـ [25].

ولقد وصف المؤرخون والرحالة مدينة الزهراء فقد قسمت إلى ثلاث مجموعات، تشمل الأولى مواقع القصر الخلفي والمقام الخاص، وتشمل المجموعة الثانية مساكن الحاشية والحرس، والمجموعة الثالثة تشمل أربعة أبنية كبيرة عالية، وقد تم وصف جداولها المتدفقة وبساتينها النظرة، ومبانيها الضخمة وأعطوا للأجيال المتعاقبة صورة حية لحالة المدينة، وعلى الرغم من شهرة الزهراء التي وسعت كل الآفاق في أبنيتها وزخارفها وما توالت عليها العناية في عهدي الناصر ومن بعدة ابنة الحكم إلا أنها لم تعمر طويلاً، فالخراب طرق شيئاً فشيئاً حتى دكت معالمها في عهد محمد بن هشام بن عبد الجبار ابن عبد الرحمن الناصر والذي خلع الخليفة المؤيد بن الحكم المستنصر سنة تسع وتسعين وثلثمائه للهجرة وخرب الزهراء وعاد إلى قرطبة متخذاً إياها دار لإمارته، وصار الناس لا يعلمون من أمرها شيئاً اللهم إلا ما حوته الكتب، فقد اندثرت معالمها فتوالت الحفائر الأثرية للكشف عن معالمها وتاريخها[26].

ومن فنون العمارة العربية الإسلامية ما كان عليه الجامع أو المسجد الذي كان يمثل المركز الرئيسي في المدن الإسلامية حيث كانت تقام صلاة الجمعة

والصلوات الخمس فيه ومن أمثلة هذا الفن العربي الإسلامي جامع اشبيلية ومئذنته (صورة رقم 7) التي يحدثنا عنها ابن صاحب الصلاة حيث قال "...وهذه الصومعة الفايت وصفها للناطقين السابق حديثها إلى المخبرين، لا صومعة تعادلها في جميع مساجد الأندلس، سمو شخص، ورسو أمل، ووثاقه عمل، وبنيان بالأجر، وغرابة صنعه، وبدائع ظاهره، وقد ارتفعت في الجو وعلت في السماء تظهر للعين على مرحلة من اشبيلية مع كواكب الجوزاء"[27] ولا شك في أن فن العمارة لهذا الجامع ابرز سمات اشبيلية العربية التي ورثتها اشبيلية المعاصرة.

ويرجع تاريخ إنشاء هذا الجامع إلى عام 214 هـ/ 889م إبان حكم عبد الرحمن الثاني، وكان يضم أحد عشر صحناً جمعت متعامدة مع حائط القبلة، الذي كان يواجه الجنوب كما هو الحال في جميع المساجد الأندلسية. وكان مستطيل الشكل وله أعمدة من المرمر تستند عليها أقواس من القرميد، أما منارته فهي ذات تصميم مربع يبلغ طول ضلعه حوالي ستة أمتار استعمل في بنائه الأصلي الحجارة المربعة، وهناك في داخل المنارة سلم لولبي، يلتف حول عامود أسطواني مثبت في المركز"[28].

وعندما لاحظ الخليفة أبو يعقوب يوسف الموحدي، سلطان المغرب والأندلس في شهر رمضان سنة 567هـ/ 1172م. أثناء إقامته، حيث كانت يومئذ قاعدة حكم الموحدين بالأندلس، من الصغر بحيث لا يكفي لإقامة خطبة الجمعة في حشود بحجم سكان اشبيلية في ذلك الوقت، فأنفق أموال طائلة وذلك بتشييد جامع جديد اكبر لكنه توفى قبل إتمامه، فعني بإتمامه ولده يعقوب المنصور، وأنشأ منارته الشهيرة التي مازالت قائمة حتى يومنا هذا، ويعرفها الأسبان باسم لاخيرالدا lecialde[29].

ويورد مؤرخ الموحدين أبو مروان صاحب الصلاة هذا الوصف للبرج، وهو ابرز ما يميز المدينة في العالم اجمع: "هذه المنارة من أعظم جمع المنائر الأخرى في الأندلس قاطبةً. في ارتفاعها وفن بنائها الفائق. وعند النظر إليها من بعيد يبدوا وكأن جميع نجوم السماء قد توقفت في قلب اشبيلية"[30].

وكانت اشبيلية الإسلامية بأماكن أخرى بالعبادة بعضها في الهواء الطلق وكان يستخدم في الاحتفالات المهمة، وكان أحد الأمكنة المصلى[31]، في الجهة الجنوبية من القصور عند باب النخيل[32]، وهنالك عدد كبير من الجوامع في اشبيلية، نجد قائمة طويلة بأسمائها محفوظة في النصوص العربية والنصوص النصرانية المبكرة.

ومن الآثار الأخرى في اشبيلية قصر اشبيلية المعروف بالكازار alcazar (صورة رقم 8)، ويحتوي على عدة أفنيه وأبهاء منها، قاعة العدل، وفناء الصيد، وفناء العذاري، وبهو السفراء، بها نقوش عربية (صورة رقم 9 و10 و11) ويذكر لنا عنان: "أنه يوجد ثمان نقوش في قصر اشبيلية منقوشة بالأزرق والأبيض بخط كوفي جميل وبعبارة ولا غالب إلا الله وهي شعار بني نصر ملوك غرناطة"[33] وهذا الشعار يشغل جدران قصر الحمراء بكثرة.

ويتفق معظم مؤرخي العمارة العربية الإسلامية، الذين تناولوا دراسة قصور الحمراء بشكل واسع وعميق على أن أسم الحمراء عرف به القصر في نهاية القرن الثالث الهجري المقابل للقرن التاسع الميلادي، وكان يطلق على حصن صغير لجاء إليه الهاربون أثناء الفتن وأعمال الشغب التي ظهرت خلال حكم الأمير عبد الله الأموي سنة277هـ/ 890م، وبها كان قصر ابن باديس[34].

وفي أيام بني الأحمر، امتدت مباني الحمراء فوق الهضبة كلها "ومدينة الحمراء دار الملك على معمورها... تشرف عليه منها الشرفات البيض، والأبراج السامية، والمعاقل المنيعة والقصور الرفيعة تغشي العيون وتبهر العقول"[35].

فالحمراء نفسها تتكون من قصبة وقصر وهما يقعان على ربوه عالية. ولقد كان في موضع القصر حصن صغير يسمى القصبة القديمة أو الحمراء القديمة وعندما اتخذ محمد بن الأحمر هذا الحصن مقراً له احكم أسواره وبنى على الأسوار أبراجا حصينة عالية وبنى لنفسه قصراً في المكان لذا يقوم فيه قصر شارل الخامس اليوم، سميت مبانيه بالقصبة الجديدة[36].

لقد بدء العمل في إنشاء قصر الحمراء بعد أشهر قلائل من دخول محمد بن الأحمر غرناطة في رمضان 635هـ/ 1238م. وكان المبنى الجديد يختلف اختلافا عن الحصن القديم في وسائله وسعته وجوانبه وملحقاته، فالحمراء أكثر من حصن ومقر معاً، فأراد مؤسس الدولة محمد بن الأحمر أن يجعل مقره على تلة السبيكة فرفع البناء وأحاطه بالأسوار والأبراج، فاحتوت القصور الملكية على المصالح الحكومية والإدارية وثكنات الحرس ومخازن المؤن[37].

وقد أقيم سور مرتفع طوله 726متراً فيه 24 برجاً على طوله حول قصر الحمراء[38]، فالحمراء قبل كل شيء تعتبر حصناً استراتيجياً منيعاً.

ان هذا الحصن ذو الأسوار والأبراج المنيعة الذي يحيط بالحمراء من أقوى وانضج ما عرف من فن العمارة الحربي فقد بنيت الحمراء في منحدر جبل شلير على ارتفاع 150متر من أرحبة المدينة[39]، فمدينة الحمراء تقع فوق هضبة مرتفعه

بلغ طولها 736 متراً، وعرضها نحو مائتي متراً[40]، أما تسمية القصر أو الحصن بالحمراء فقد اتفق معظم المؤرخين على أن التسمية جاءت من بني الأحمر الذين كانوا يسكنون غرناطة والذين انشئوا القصر وقيل أيضاً إن أصل ولون التربة التي يمتاز بها التل الذي شيد عليه القصر فضلا عن الأجر الذي ابتنت به الأسوار[41].

إلا أن عنان له رأى أخر حيث يقول وسميت القصبة الجديدة بالحمراء جرياً على اسمها القديم، الذي هو أصل التسمية ومن الخطاء أن يقال إن إطلاق اسم الحمراء عليها يرجع إلى اسم منشئها ابن الأحمر أو أنه يرجع إلى لون الأجر الذي بنيت به الأسوار الخارجية، ذلك ثبت أن هذا اللون الأحمر الذي تبدو به الأسوار يرجع إلى العصر الحديث، وأنه من صنع الأسبان[42].

وأبنية هذا القصر ليست لشخص واحد من بني الأحمر بل لجملة منهم، مؤسس الدولة محمد بني الأحمر جعل مقر حكمه فيه، فرفع البناء وأحاطه بالأسوار، ومن ثم جاء ابنه محمد الثاني فأكمل عمل أبيه وأنشأ ولده محمد إلى جوار القصر مسجداً، الذي تحتل موقعه اليوم كنيسة سانتا ماريا[43]، وظلت الحمراء تخضع لتعديلات وزيادات حتى جاء أبو الوليد إسماعيل- خامس سلاطينهم- بداء في بناء معظم القصر، وأغدق عليها روائع الفن والزخرف[44]، ثم جاء ابنه الحجاج يوسف- سابع سلاطينهم- الذي زاد من القصر، ثم ابنه محمد الملقب بالغني بالله فقد وسع في رقعة القصر وألبسه حله من الجمال الفني[45].

وقد يصعب أن يميز بين أعمال كل السلاطين بالشكل الدقيق لتداخل واندماج الأعمال في بعضها البعض ثم أجريت في القصر بعد خروج العرب من

الأندلس زينات أخرى جعلت التميز من الصعوبة أكثر ويذكر لنا فرحات ما يؤكد بأن التغيرات التي طرأت بعد خروج العرب من الأندلس حيث يقول "وعندما وقعت غرناطة بين أيدي الأسبان عام (689هـ/ 1492م) اهتم الأسياد الجدد بترميم ما بدا متصدعاً، وأوكلوا عائله من الإشراف رعاية الحمراء (conded tendilla). ولما جاء الإمبراطور شارلمان أضاف بناءاً جديداً عرف باسم القصر الملكي، وعندما تسلم فيليب الثاني (القرن السادس عشر) الملك رصد ميزانية خاصة من أجل صيانة الحمراء. ثم كان النسيان في بداية القرن الثامن عشر بسبب الحروب التي دارت بين طلاب العرش ولم تنفع استغاثات الغرناطيين، فبقيت الحال هكذا حتى عهد كارلوس الثالث الذي أعاد إلى القصر عافيته وجماله وقد تحولت الحمراء الى ثكنة عسكريه عندما وقعت اسبانيا تحت الاحتلال الفرنسي أيام بونابرت"[46]، مع ذلك رغم كل التغيرات التي حدثت في القصر والإصلاحات التي تمت إلا أن معرفة القديم من الجديد سهل للغاية.

وقوام قصر الحمراء أقسام ثلاثة: القسم الأول، وهو المسمى المشور الذي يعقد فيه الملك مجلسه والثاني قسم الاستقبالات الرسمية، ويشمل الديوان وقاعة العرش والثالث قسم الحريم الذي يضم المساكن الخاصة بالسلاطين ونسائهم[47]، وهنالك تقسيم أخر لأبنية قصر الحمراء وذلك بجعله جناحين كبيرين، الأول جناح قمارش والثاني جناح الأسود[48]، أما أقسام هذا القصر هو حوش الريحان، الذي يطل على فسقيه الحوش، وكذلك قاعة العدل وقاعة السفراء، الداخلة في برج قمارش، وهي أفخم قاعه في القصر، مربعة الشكل تعلوها قبة خشبية ذات نقوش مذهبه، وقد نقشت جدران هذه القاعة بنقوش، كل نقشه منها تختلف كل الاختلاف عن غيرها ولكنها جميلة بتناسقها وكل جزء

منها متمم للأخر. ويتصل بهذا الجزء من القصر صحن السباع، وفناء الأسود، وهو أكثر أجزاء القصر شهرة، وقد شيدت في منتصفه فسقيه رخامية من عدة أحواض، أكبرها قائم على تماثيل اسود من الرخام عددها اثنا عشر أسداً، يخرج من فم كل واحد منها فوارة ماء، وأرضية الفناء مقسمه إلى أربع مناطق مغطاة بالرمل تفصلها لوحات من الرخام وتحيط بهذا الفناء بائكات من العقود مزينه بالنقوش، تعلوها مساحة مثقبه بزخارف غاية في الإبداع، وتحمل هذه البائكات أعمده ممشوقة جميلة تبهر مشاهدها بما يعلوها من جمال فن العمارة والزخرفة، ولا يضارعها إلا ما يشاهد في قاعة الأختين وقاعة بني السراج في هذا القصر، تلك القاعتان اللتان تطلان على هذا الفناء وتمتازان بوفرة زخارفها المقرنصة والنقوش النباتية والكتابات العربية المنمقة.

أما مسجد القصر فلا يقل عن باقي أجزاء القصر بهاء" وجمالا من حيث الزخرفة والنقوش، وفي حمام القصر فسقيه رخامية يحيط بها أربعة أعمده من المرمر تحمل السقف، وحول الحمام في الطابق العلوي منه شرفات كلها غنية بالنقوش المذهبة، وفي قبة الحمام فتحات للإضاءة مثبت عليها ضلع من الزجاج الملون.

ان بناء قصر الحمراء لم يشيد كوحدة متناسبة التوزيع لأنه بني في مراحل متعاقبة، كما أن في القصر إسراف في الزخرفة دون الاهتمام بمتانة البناء مما سبب تهدم بعض الأقسام بمرور الزمن والأيام فأصلحت في أزمنة مختلفة متعاقبة (صورة رقم 12، 13، 14، 15).

وعرفت كذلك نماذج أخرى من الأبنية والصروح في الأندلس منها قصر

الجعفرية بسرقسطة، بناه أبو جعفر احمد المقتدر بالله بن هـود، كمـا مثبـت ذلـك بنقوش أحد تيجان أعمدة هذا القصر وكان المقتدر يسميه مجلس الذهب[49].

وعرفت أيضا نماذج من الأبنية العربية كالقصور التي شيدت في زمـن بـني عباد وخلال فترة الموحدين وعلى سبيل المثال قصـر المبـارك وقصـر المكـرم[50]، وقد شيد أولهما على الطرف الجنوبي من المدينة فـوق أبنيـة سـابقة لـه مثـل دار الإمارة الخاصة لعبد الرحمن الثالث[51].

مما تقدم ونحن نتحدث عن العمران الأندلسي فان "البناء واختطاط المنازل، إنما هو من منازع الحضارة التي يدعوا إليها الترف والدعة"[52]، فلقد ابتدع الفنـان العربي وبرع المهندس العربي وهو يصمم تلك الأبنية، وسطر في سجل الخلـود صفحة ينجلي فيها جمال الفن العربي، وعظمـة العـرب في صـناعة البنـاء، فمـن خواص الفن العربي اسـتخدام الأقـواس والعقـود والقبـاب بأشـكالها المختلفـة وبطرق مبتكرة وقد أصـبح التجريـد السـمة الأولى للفـن الإسـلامي وان جمالـه الزخرفة من رسم وتزويق ونقش ونحت.

ولقد كانت شبة جزيرة ايبيريا منطقة صالحة لنمو المـؤثرات وقـد وصـلت الاتجاهات والأشكال الفنية إلى شبة الجزيرة من الشرق عـبر حقبـه الـتي امتـدت ثمان قرون وبعض هذه الاتجاهات نمت وأصبحت أسمى درجـة وأفسـح مـدى مما كانت علية في بلدها الأصيل.

وقد تطور الفن الأندلسي واتخذ له طابعاً أصيلا مميـزاً وحـدث أثنـاء فـترة الاتصال بالشرق بين القرنين الثاني والتاسع الهجريين. أن شـيدت هنـاك بعـض الآثار التي تنفرد بجمال لا يضاهى وكمال وأصالة لا نجدها في أي بلـد إسـلامي

آخر. فمسجد قرطبة المنفرد ببنائه البارع وثراء زخرفته، وقصـور مدينـة الزهـراء وفنها وفخامتها، وقصر الجعفرية في سرقسطة الذي يمتاز بإبداع عجيب وبذخ في زخرفته. وبرج الخيرالدا وهي المنارة الأثرية، وقصر الكازار في اشبيلية من أجمـل الآثار في العالم الإسلامي.

وأخيراً هنالك قصر ضخم هو قصـر الحمـراء في غرناطـة الـذي لا يـزال يحتفظ بجاله على نحو عجيب من فن العمارة العربيـة الإسـلامية وبـدع الطبيعـة لتجعل منه مشهداً من أعظم مشاهد العالم إلهاماً.

الهوامش

(1) البكري، أبو عبيد عبدالله بن عبد العزيز (ت487هـ)، جغرافية الأندلس وأوربا من كتاب المسالك والممالك، تحقيق: عبد الرحمن علي الحجي، دار الإرشاد، (بيروت، 1968)، ص57؛ ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد الجزري (ت 630هـ)، الكامل في التاريخ، دار الطباعة المنيرية، (القاهرة، 1353هـ)، ج 4، ص656؛ ابن عذاري المراكشي، أبو العباس احمد بن محمد (ت712)، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب: تحقيق خ. س كولان، وليفي بروفنسال، دار الثقافة، (بيروت، 1967)، ج 1، ص2، بيضون، إبراهيم، الدولة العربية في أسبانيا من الفتح حتى سقوط الخلافة، دار النهضة للطباعة والنشر، ط2، (بيروت، 1980)، ص2.

(2) ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت ابن عبد الحموي (ت 626هـ)، معجم البلدان، مطبعة السعادة، ط1، (القاهرة، 1906)، ج1، ص262.

(3) الحميري، أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبدالله (ت710هـ)، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، مطابع دار السراج ط2، (بيروت، 1980)، ص32 ويقول الحميري كذلك (والأندلس دار بهاء وموطن رباط).

(4) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج!، ص266.

(5) أبن حوقل، أبو القاسم ابن حوقل النصيبي (ت367هـ)، صورة الأرض، طبع في مدينة ليدن، (بريل، 1938)، ص107.

(6) هونكة، زيغريد، شمس العرب تسطع على الغرب، ترجمة فاروق بيضون وآخر، (بيروت، 1969)، ص486.

(7) سالم، السيد عبد العزيز، في تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس، الناشر مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر والتوزيع، (الإسكندرية، 1985)، ص168.

(8) المقري، احمد بن محمد المقري التلمساني (ت 1041هـ)، نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، (بيروت، 1968)، ج2، ص96؛ مورينو، ما نويل جوميث، الفن في أسبانيا، ترجمة لطفي عبد العزيز والسيد عبد العزيز سالم، (القاهرة، 1977)، ص16.

(9) سالم، في تاريخ وحضارة الإسلام، ص162.

(10) الحميري، الروض المعطار، ص458؛ ابن الخطب الغرناطي، أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، تحقيق: ليفي بروفنسال، دار المكشوف، ط1، (بيروت، 195)، ص38.

(11) طلس، محمد أسعد، تاريخ العرب، دار الاندلس للطباعه والنشر والتوزيع، ط2، (بيروت، 1979)، مج1، ص258.

(12) هونكة، شمس العرب، ص499.

(13) عنان، محمد عبدالله، الآثار الأندلسية الباقية في إسبانيا والبرتغال، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ط2، (القاهرة، 1961)، ص26.

(14) الغساني، محمد بن عبد الوهاب (ت 1119)، رحلة الوزير في افتكاك الاسير، تحقيق: فريد البستاني، (طنجة، 1940)، ص18.

(15) الآثار الباقية، ص27.

(16) عنان، الآثار الباقية، ص28.

(17) تاريخ العرب، ص54.

(18) سالم، في تاريخ وحضارة الإسلام، ص166.

(19) مؤنس، حسين، رحلة الأندلس حديث الفردوس الموعود، الشركة العربية للطباعة والنشر، ط1، (القاهرة، 1963)، ص77.

(20) سيديو، تاريخ العرب، ص54.

(21) لوبون، حضارة العرب، ص352.

(22) مؤنس، رحلة الأندلس، ص77.

(23) المقري، نفح الطيب، ج1، ص540.

(24) مزيداً من التفاصيل حول هذه المدينة ينظر: لجلة العزي، قصر الزهراء في الأندلس، (بغداد، 1977).

(25) المقري، نفح الطيب، ج1، ص526؛ العزي، قصر الزهراء، ص33.

(26) المقري، نفح الطيب، ج1، ص516؛ ابن عذاري، البيان، ج2، ص665; عنان، محمد عبدالله، دولة الإسلام في الأندلس، (القاهرة، 1969)، ج2، ص443; العبادي، احمد مختار، في تاريخ الأندلس والمغرب، (الإسكندرية، بلا ت)، ص206؛ سالم، السيد عبد العزيز، تاريخ المسلمين وأثارهم في الأندلس، (بيروت، 1962)، ص317؛ العزي، قصر الزهراء، ص84.

(27) ابن صاحب الصلاة، عبد الملك بن محمد (ت أواخر ق6هـ)، تاريخ المن بالأمامة على المستضعفين بأن جعلهم الله أئمة وجعلهم الوارثين، تحقيق: عبد الهادي التازي، دار الأندلس للطباعة والنشر، (بيروت، 1964)، ص390.

(28) البكري، جغرافية الأندلس، ص112.

(29) عنان، الآثار الباقية، ص39.

(30) ابن صاحب الصلاة، تاريخ المن بالامامة، ص516.

(31) ابن حيان، المقتبس، عني بنشره ملشور. م. انطونيه، مطبعة بوليس الكتبي، (باريس، 1937)، ج3، ص75؛ الضبي، احمد بن يحيى بن احمد بن عميرة (ت 599هـ)، بغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس، مطبعة روفس، (مدريد، 1889)، ص85.

(32) ابن بسام، أبو الحسن علي الشنتريني (ت 542هـ)، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة والنشر، (بيروت، 1979)، ج2، ص430.

(34) الآثار الباقية، ص46.

(35) ابن صاحب الصلاة، تاريخ المن بالإمامة، هامش رقم (2)، ص516، مؤنس، رحلة الأندلس، ص165.

(35) ابن الخطيب الغرناطي، الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق: محمد عبدالله عنان، مكتبة الخانجي، ط1، 1973، ج1، ص14.

(36) عنان، الآثار الباقية، ص159؛ العبادى، عبد الحميد، المجمل في تاريخ الأندلس، مكتبة النهضة العربية، ط1، (القاهرة، 1958)، ص188.

(37) فرحات، محمود شكري، غرناطة في ظل بني الأحمر، (دراسة حضارية)، (بيروت، 1982)، ص122.

(38) البتنوني، محمد لبيب، رحلة الأندلس، مطبعة مصر شركه مساهمة، ط2، بلا ت، ص97.

(39) المرجع نفسه، ص99.

(40) عنان، الآثار الباقية، ص160؛ عبد الجواد، توفيق احمد، تاريخ العمارة والعصور المتوسطة الاوربيه والإسلامية، ط2، 1970، ص333؛ العميد، طاهر مظفر، آثار المغرب والأندلس، طبع بمطابع دار الكتب للطباعة والنشر، (الموصل، 1989)، ص307.

(41) جواد، ناجي، رحله إلى الأندلس، دار الأندلس للطباعة والنشر بيروت، ط1، (لبنان، 1969)،

ص61؛ لاندو، روم، الإسلام والعرب، نقله إلى الإنكليزية، منير البعلبكي، دار العلم للملايين، ط2، (بيروت، 1977)، ص179؛ علي، محمد كرد، غابر الأندلس، وحاضرها، المطبعة الرحمانية، المكتبة الأهلية، ط، (مصر، 1923)، ص114؛ فرحات، غرناطة في ظل بني الأحمر، 224؛ عبد الستار، لبيب، الحضارات، دار المشرق، ط6، (بيروت، 1986)، ص290؛ البتنوني، رحلة الأندلس، ص290.

(42) عنان، الآثار الباقية، ص160.

(43) فرحات، غرناطة في ظل بني الأحمر، ص122.

(44) مرزوق، محمد عبد العزيز، الفنون الزخرفية الإسلامية في المغرب والأندلس، دار الثقافة، بيروت، (لبنان، بلا ت)، ص58.

(45) المرجع نفسه، ص58.

(46) غرناطة في ظل بني الأحمر، ص224.

(47) مؤنس، رحله إلى الأندلس، ص184؛ توفيق، تاريخ العمارة، ص333؛ كحالـه، عمر رضا، الفنون الجميلة في العصور الإسلامية، المطبعة التعاونية، (دمشق، 1972)، ص101؛ علي، غابر الأندلس، ص115؛ فروخ، مصطفى، رحله إلى بلاد المجد المفقود، مطبعة الكشاف، (بيروت، 1933)، ص131؛ كونل، ارنست، الفن الإسلامي، ترجمة: احمد موسى، دار صادر، (بيروت، 1966)، ص126، عبد الحميد، سعد زغلول، العمارة والفنون في دولة الإسلام، الناشر منشأة المعارف (بالإسكندرية، بلا ت)، ص524؛ الألفي، أبو صالح، الفن الإسلامي، أصول فلسفته ومدارسه، دار المعارف، ط2، (مصر، بلا ت)، ص216.

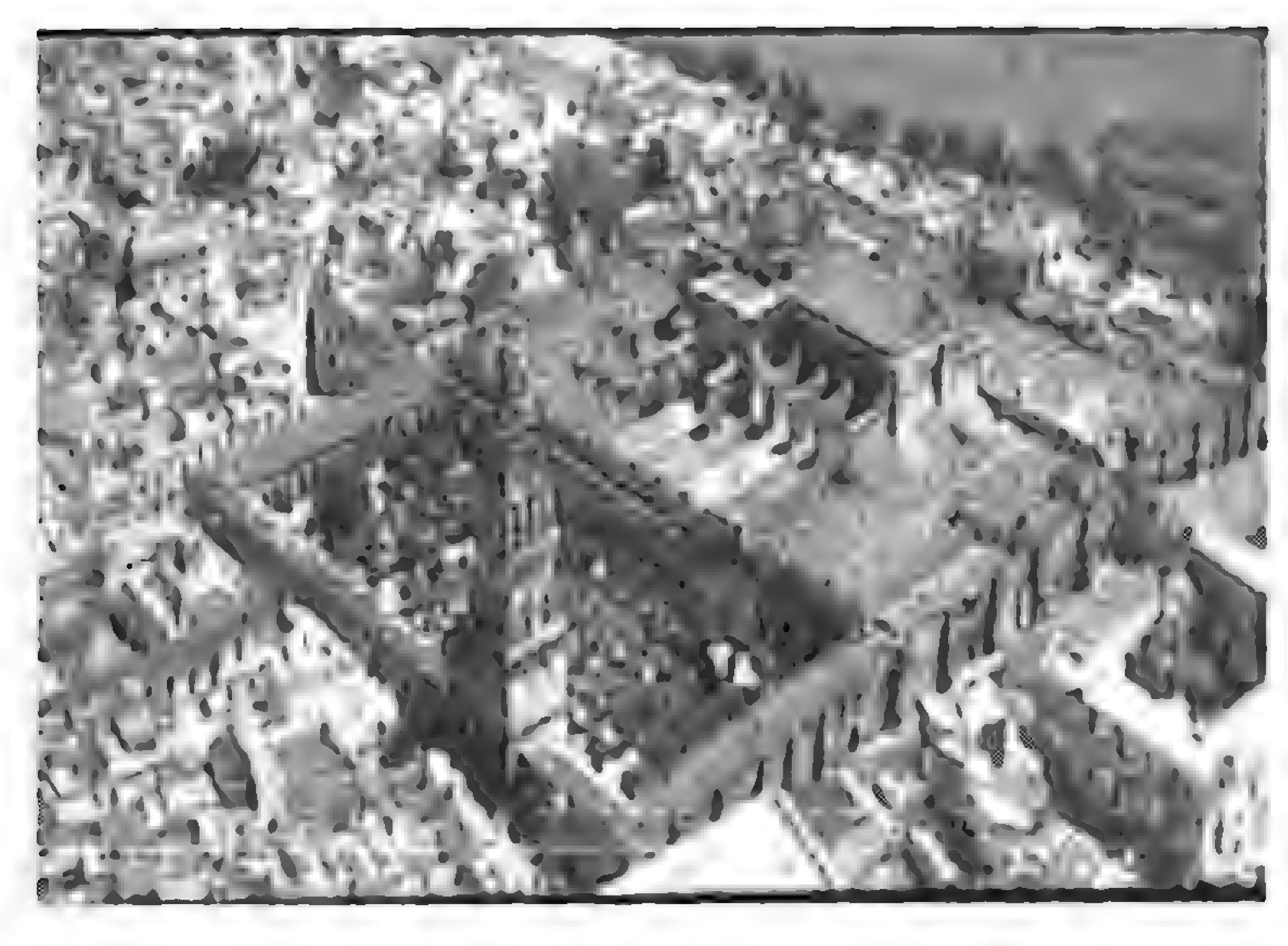
(48) عنان، الآثار الباقية، ص163؛ الحجى، عبد الرحمن علي، محاضرات في التاريخ والأثار- الآثار الإسلامية في الأندلس، مطبوعات جمعية التاريخ والآثار، جامعة الرياض- كلية الاداب، قسم التاريخ، 1969، العدد1، ص31.

(49) عنان، الآثار الباقية، ص80؛ سالم، في تاريخ وحضارة الإسلام، ص197.

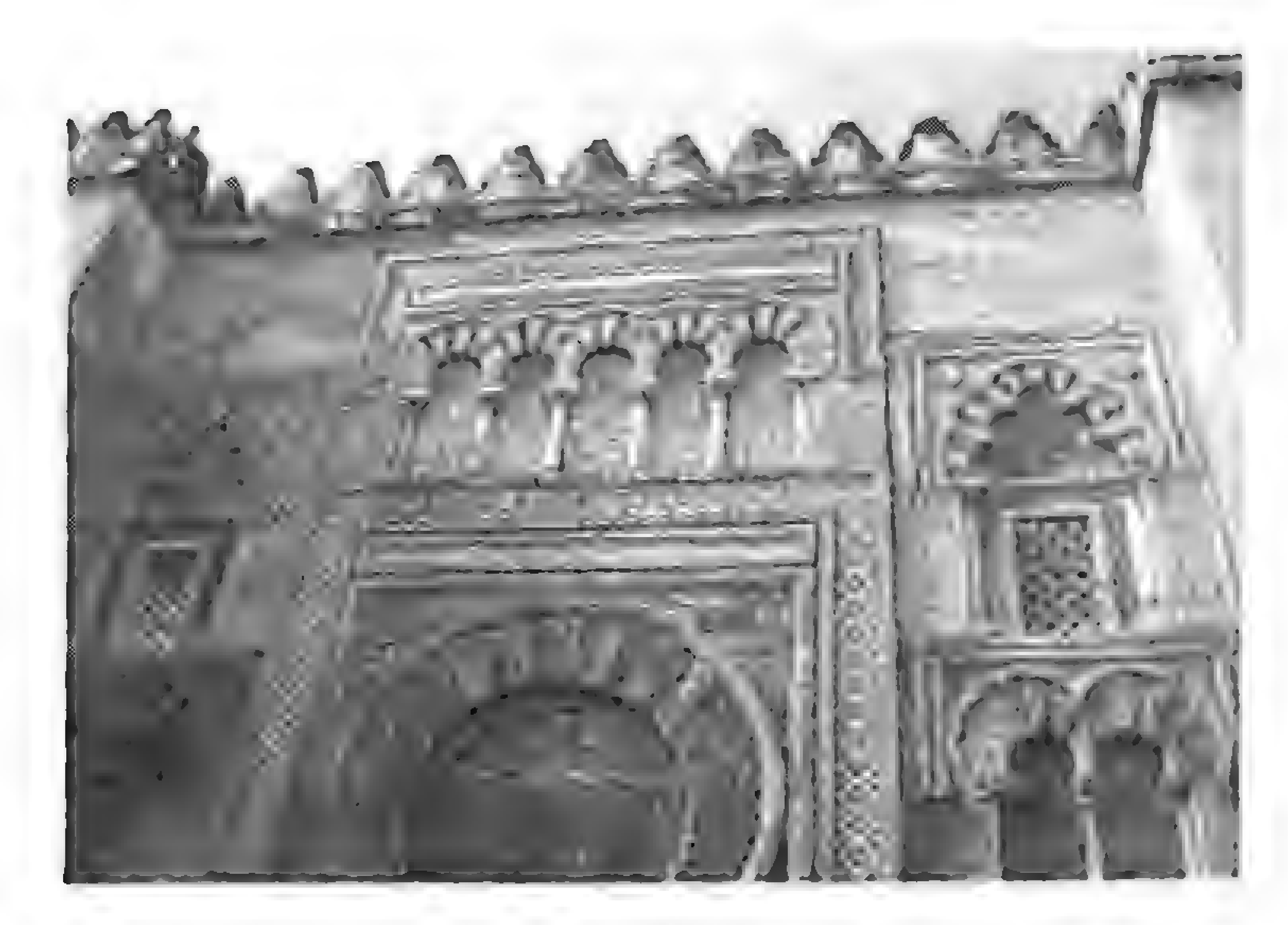
(50) ابن بسام، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ج3، ص759.

(51) ابن حيان، المقتبس، تحقيق ملشور، ج3، ص78.

(52) ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد (808هـ)، المقدمة، دار مكتبة الهلال، (بيروت، 1986)، ص342.



(1)



(2)



(3)



(4)



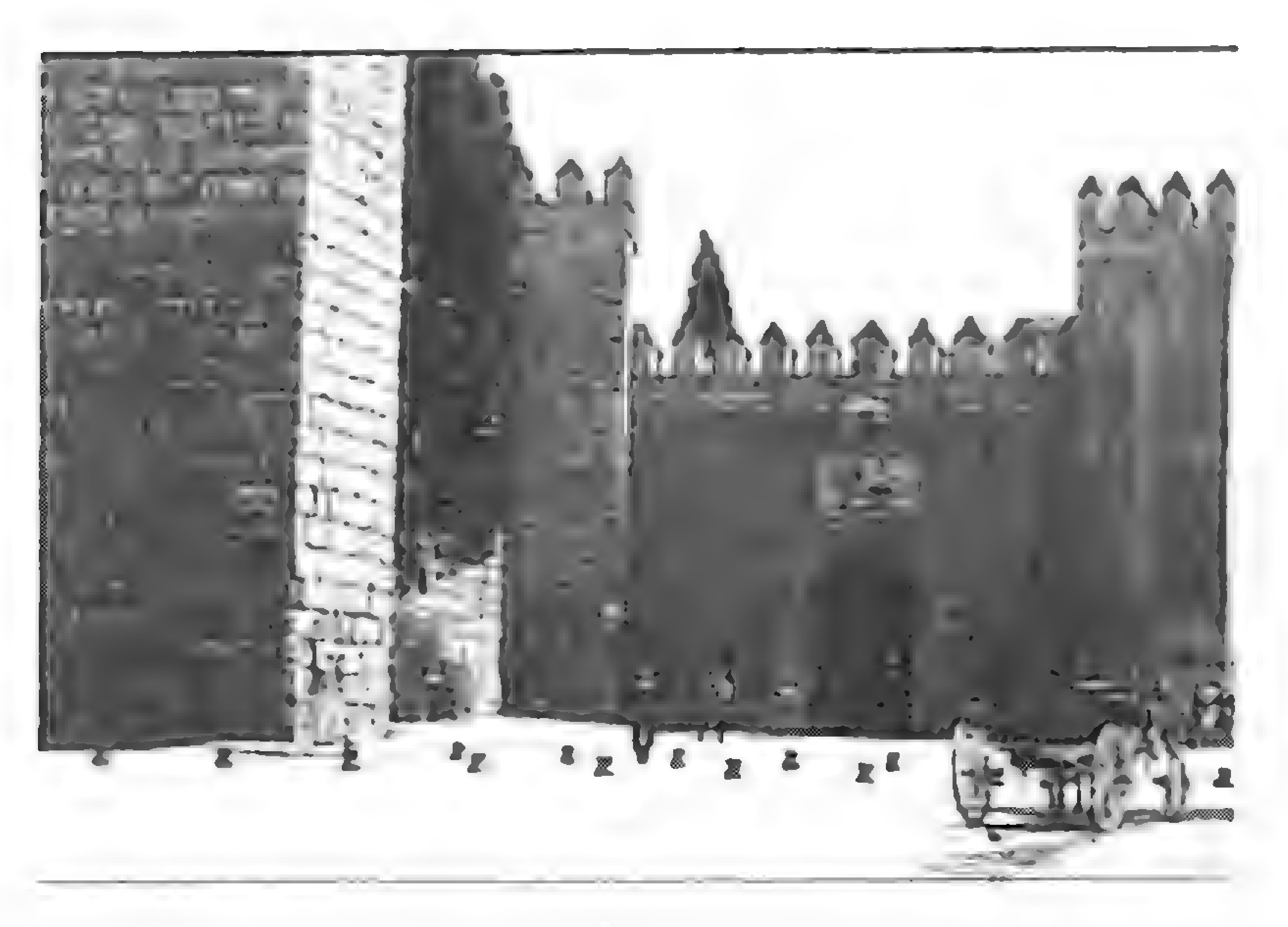
(5)



(6)



(7)

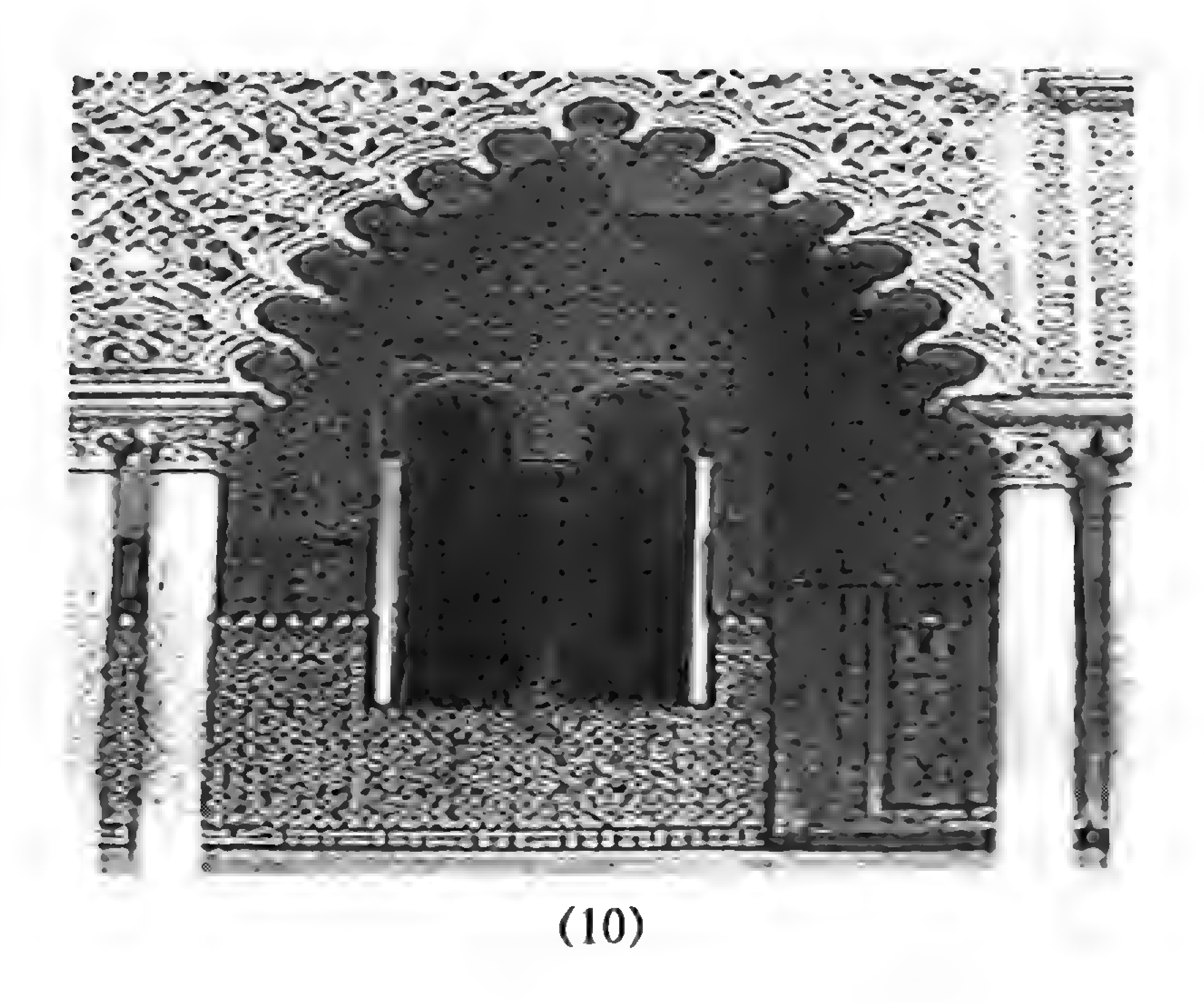


(8)





(9)



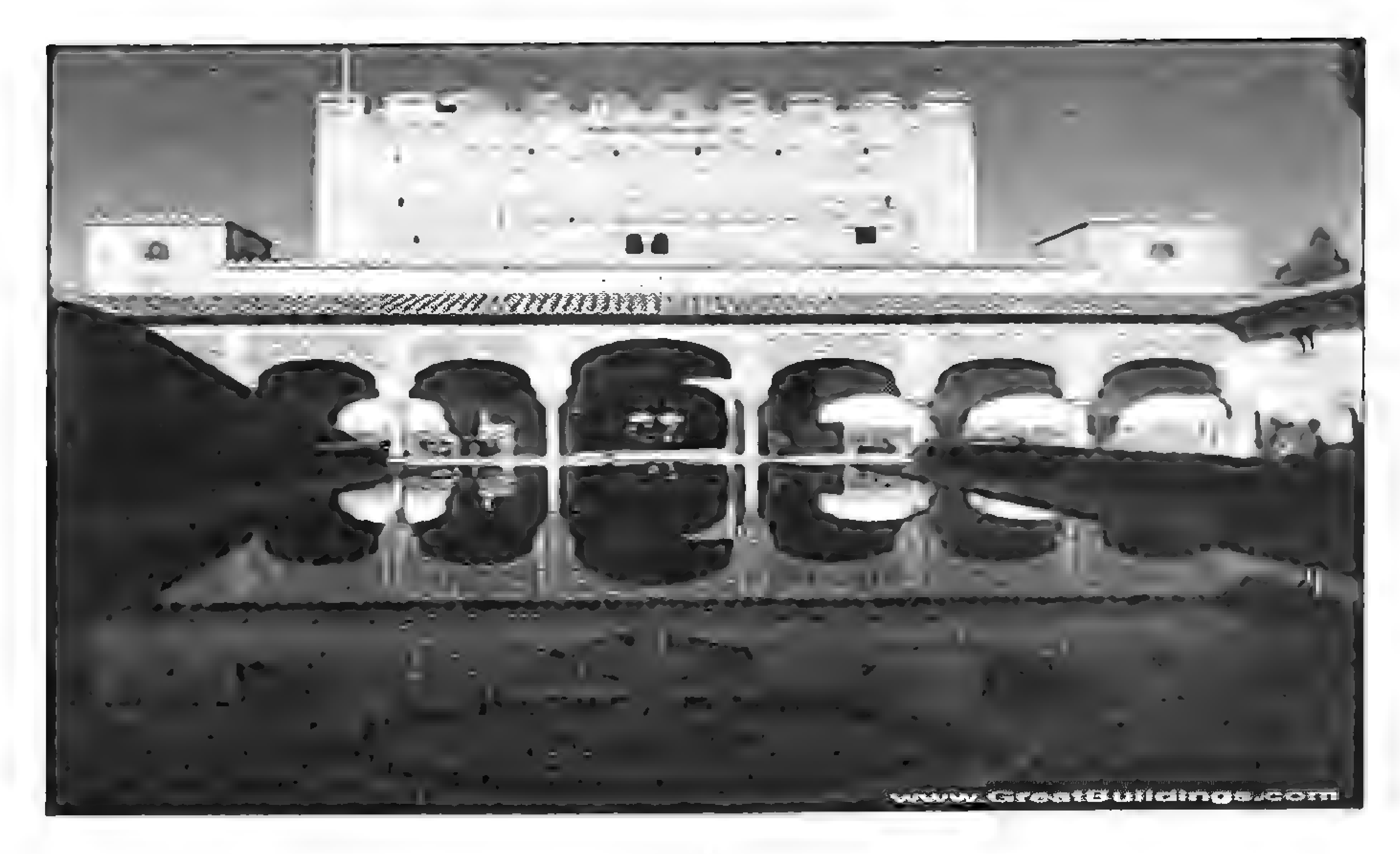
(10)



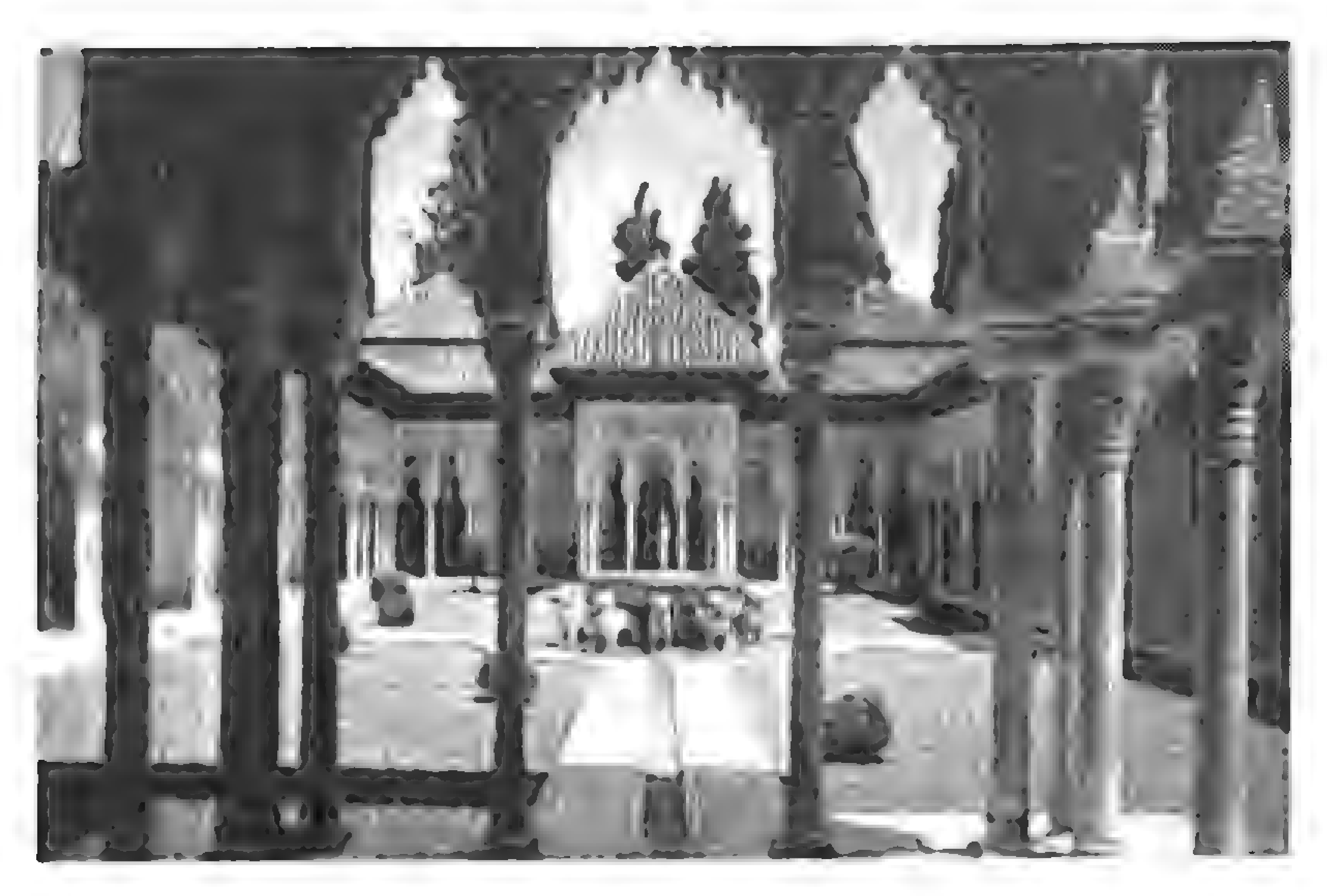
(11)



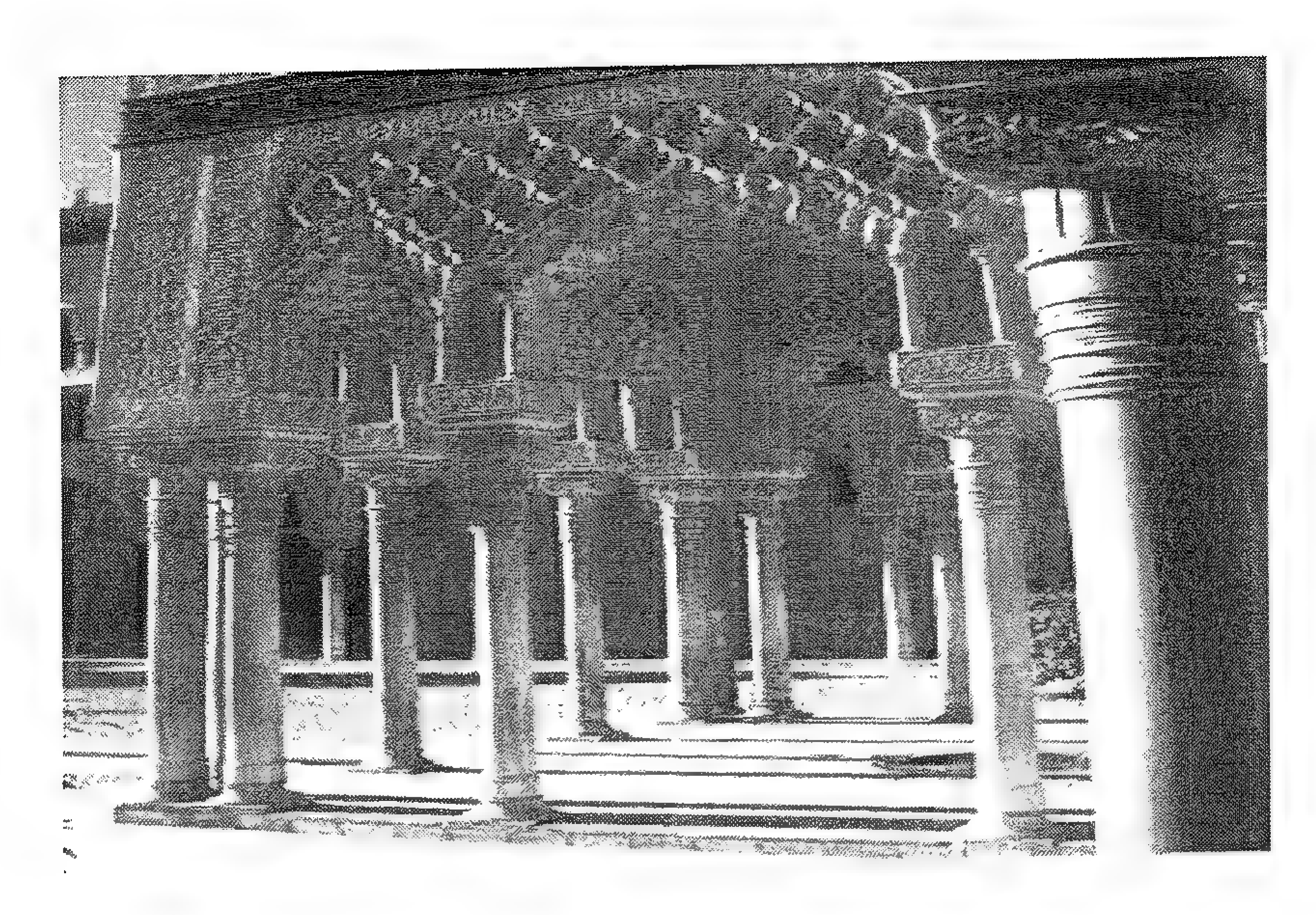
(12)



(13)

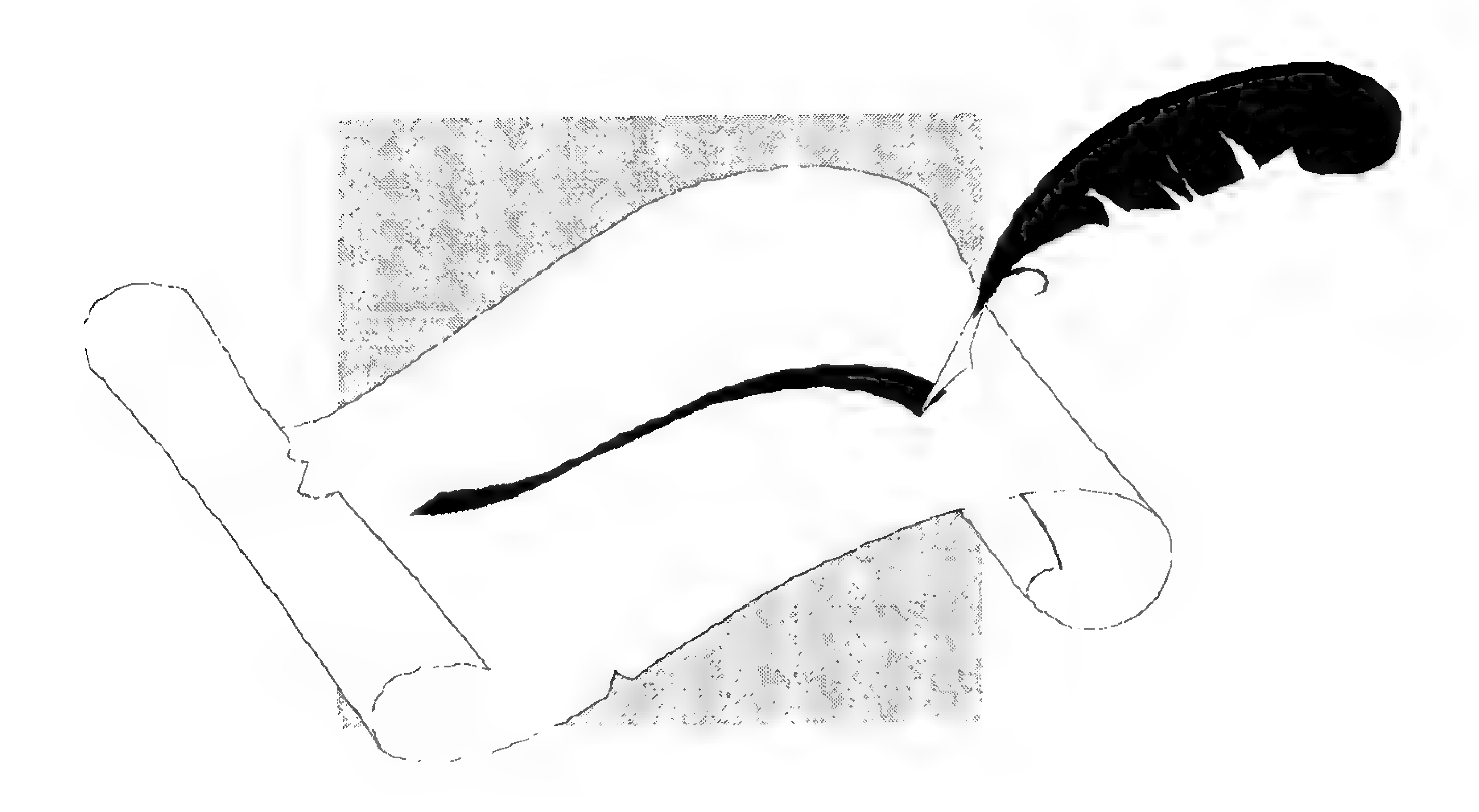


(14)



(15)

بغداد واثرها على الأندلس من الناحية الفكرية



بغداد واثرها على الأندلس من الناحية الفكرية

المقدمة

بلغت عظمة بغداد[1] ومكانتها الراسخة حداً لم تستطع معه حاضرة إسلامية أخرى ان تنافسها، تستوى في ذلك سامراء العاصمة العباسية الشهيرة الثانية، ودمشق عاصمة الامويين، والقاهرة عاصمة الفاطميين والايوبيين

---

(1) بغداد تمتعت بخصوصية مهمة هي كونها عاصمة العراق العريق في الحضارة والعلم والادب، فاكتسبت من تلك الخصوصية ماجعلها مؤهلة لان تكون العاصمة بالمنظور العراقي، وبالمنظور العربي والاسلامي، ويعتمد الخطيب البغدادي على القرائن الدينية التي يستند اليها في بيان مكانة العراق العلمية والادبية والاخلاقية، فيذكر قولاً للنبي الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) عن سيدنا ابراهيم (عليه السلام) انه هم ان يدعو عليهم- اهل العراق- فاوحى الله تعالى اليه لاتفعل، فأني جعلت خزائن علمي فيهم، واسكنت الرحمة قلوبهم، ويروي الخطيب مستكملاً خبره قال كتب عمر بن الخطاب إلى كعب الأحبار اختر لي المنازل قال فكتب يا أمير المؤمنين أنه بلغنا أن الأشياء اجتمعت فقال السخاء أريد اليمن فقال حسن الخلق أنا معك وقال الجفاء أريد الحجاز فقال الفقر وأنا معك وقال البأس أريد الشام فقال السيف وأنا معك وقال العلم أريد العراق فقال العقل وأنا معك وقال الغنى أريد مصر فقال الذل وأنا معك فاختر لنفسك قال فلما ورد الكتاب على عمر قال فالعراق إذا فالعراق ويستكمل الخطيب البغدادي ان الخليفة الراشدي عمر بن الخطاب (رضى الله عنه): قال أهل العراق كنز الإيمان وجمجمة العرب وهم رمح الله عز وجل يحرزون ثغورهم ويمدون الأمصار ينظر: الخطيب البغدادي، ابو بكر احمد بن علي (ت463هـ)، تاريخ بغداد، المكتبة السلفية، (المدينة المنورة، بلا. ت)، 1/ 25.

ومماليكهم، ولعل قرطبة حاضرة الأندلس، وفي حقبة الازدهار ايام حكم الامير عبد الرحمن بن الحكم (206-238هـ/ 822م-852م) في عهد الامارة (138- 422هـ/ 755-1031م) كان اعتمادهم الاكبر على العراق، ذلك لأن العطاء الحضاري يأتي دائما من الاكثر حضارة وثقافة الى الادنى، وربما كان هذا الدافع الاكبر لتحرك الكثير من الاندلسيين نحو التأليف والتصحيح والترجمة، رغبة منهم في منافسة اهل العراق واللحاق بهم وهذا مايؤكده معظم المؤلفين الاندلسيين[1].

وفي حقبة الهدوء والاستقرار ازدهرت الاندلس مما حدا بالامير عبدالرحمن بن الحكم الانفتاح الى العراق والتي سبق هذا الانفتاح سياسة الانعزال عنه، ففتحت الاندلس ابوابها امام الثقافة والحضارة العراقية التي كانت انذاك في اوجها، فضلا عن هذا كانت الاندلس تتمتع بمظاهر الترف والرفاه كما وان الاستقرار السياسي والعامل الاقتصادي كانا سبباً للانفتاح على الاخر لاسيما ماكانت تتمتع به بغداد من ازدهار حضاري كبير. ومن قرطبة العاصمة انطلق العلماء إلى العراق لشراء المؤلفات العربية، واليونانية، والفارسية حتى أصبحت

---

(1) على سبيل المثال ماقام به ابن حزم في وضع رسالته في فضل الاندلس هو التباهي بعلماء بلده ومياالفوا من الكتب في مختلف الفنون، وكذلك ماقام به ابن بسام على تأليف كتابه الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة، اذ يذكر بأن سبب اقدامه على تأليفه الذخيرة هو ان يثبت للناس مقدرة اهل بلده العلمية وقدرتهم على منافسة اهل المشرق. ينظر: ابن حزم الأندلسي، علي بن احمد (ت456هـ)، ابن حزم، رسالة في فضل الاندلس، نقلها المقري في نفح الطيب، تحقيق: محيي الدين عبدالحميد، (القاهرة، 1949) في الجزء الرابع، ص154؛ ابن بسام الشنتريني، ابي الحسن علي (ت542هـ)، الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة، تحقيق: احسان عباس، دار الثقافة، (بيروت، 1979)، ق1، م1، ص11 ومابعدها.

قرطبة مركزاً ثقافياً كبيراً يماثل بعظمته بغداد[1]

وهذه الدراسة محاولة لاستشفاف الملامح والاثر العراقي البغدادي على الاندلس من خلال: تأثير المشرق العربي واثر بغداد العراق[2] في الاندلس في النواحي الفكرية واثرها في التأليف الاندلسي، وكذلك دور العلماء العراقيين الذاهبين للاندلس ومساهمتهم في الحركة العلمية، واخيراً علماء الاندلس القادمين الى بغداد وختمنا دراستنا باهم النتائج.

اولا : تأثير المشرق العربي

ان الاندلس هذا الفردوس المفقود كان قطراً فريداً في دولة الاسلام، اهله

---

(1) السامرائي، كمال، مختصر تاريخ الطب العربي، دار الحرية للطباعة، (بغداد، 1985)، ج2/ 149.

(2) لقد ذكر الاستاذ ناجي معروف في مقدمة لكتاب: (بغداد ـ مدينة المنصورة) تأليف طاهر مظفر العميد، من منشورات المكتبة الاهلية، بغداد، 1967. مانصه: "ويظهر تأثير بغداد واضحا في تسمية بعض المدن والاماكن باسمها بـ(بغداد المغرب)، وهي المدينة التي تتكون من مدينتين مسورتين هما (عدوة القرويين) و(عدوة الاندلسيين)، اما المدن والاماكن التي سميت (بغداد) فكثيرة منها (بغداد) التي انشأها (زيري بن عطية) في المغرب ومنها الاسماء التي اطلقت على اماكن مختلفة في العالم القديم والعالم الجديد... وسمي المغاربة بعض مدنهم باسماء المدن الشرقية، متأثرين بزيارة تلك الديار، او ورودهم منها، فنجد اسم (بغداد) يطلق على مكان في مدينة (مكيك) لمايتوفر فيه من نخل، وفي مصر اطلق اسم (قصر بغداد) على قرية من قرى (المنوفية)....". ولقد ذكر الاستاذ ناجي معروف في نفس مقدمة الكتاب: اماكن عدة في الولايات المتحدة الامريكية واستراليا والاتحاد السوفيتي اسم بغداد وكذلك تنزانيا بافريقيا اذ اطلقت كلمة دار السلام على عاصمتها.

مزيج من عناصر اوربية واخرى شرقية، وحضارته ثمرة تمازج فكري بين الشرق والغرب على نحو قلما نجد له مثيلاً في كل بلاد الاسلام ولهذا تاريخه عميق تنفرد بخصائص ومميزات فريدة، والاندلس بلاداً على جانب كبير من الأهمية وولاية عظيمة من الولايات الاسلامية. وقد اتسمت بسمات العظمة والجلال باستنباط المعارف والعلوم وبثها في اقطار المعمورة وأنحاء العالم ونشروا لواء الحضارة على الربوع الاوربية التي كانت ترزح تحت ظلمات الجهل والانحلال والظلم والاستبداد فانتقلت بالقارة الاوربية من براثن الانحطاط الى أوج الرقي والازدهار.

ان استقرار السلطة في ايدي العرب لها دور كبير في النهضة العلمية والازدهار في الاندلس حيث ان العرب معروفون بموهبة حب العلوم والشعر المتأصلة في نفوسهم وحرصهم الشديد على اللغة العربية وآدابها. وقد اصبحت اللغة العربية لغة العلوم والآداب والفلسفة في الاندلس وجميع انحاء العالم الاسلامي الواسع، فكانت ادارة الوحدة الثقافية والحضارية فيه وهذا مما سهل نشر العلم ومشاركة جميع ابناء الاندلس في تقدمه وتنميته وتطويره(1).

ساهم المشرق العربي الاسلامي من خلال الرحلات اسهاماً مباشراً في مطلع عهد المسلمين بالاندلس وفي بلورة الحياة الفكرية والعلمية وعملية

---

(1) سالم، السيد عبد العزيز، في تاريخ وحضارة الاسلام في الاندلس، مؤسسة شباب الجامعة، (الاسكندرية، 1985)، ص6-7؛ العلي، صالح احمد وآخرون، تاريخ الحضارة العربية الاسلامية، مطبعة الاداب، (النجف الاشرف، 1395هـ/ 1975م)، ص263 ومابعدها.

نضجها، اذ كان لدخول المزيد من كتب اعلام المشارقة في هذه العلوم منها تفسير القرآن للفقيه المقرئ ابي زكريا يحيى بن سلام (ت200هـ/ 815م)[1]، وكتاب معاني القرآن وغريبه للفقيه ابي محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة (ت276هـ/ 889م)[2]، وكتاب غريب القرآن للعالم اللغوي ابو عبيدة معمر بن المثنى التميمي (ت210هـ/ 825م)، ويعد اول كتاب صنف في غريب القرآن[3]، وكتاب الناسخ والمنسوخ للفقيه المحدث ابي عبيد القاسم بن سلام الهروي (ت223هـ/ 837م)[4]، وقد دخلت القراءات السبع الى الاندلس وذلك من خلال جذب من

---

(1) ينظر: ابو العرب، محمد بن احمد بن تميم (ت333هـ)، طبقات علماء افريقية وتونس، تحقيق: علي الشابي ونعيم حسن البافي، (تونس، 968)، ص111؛ ابن خير، ابو بكر محمد الاشبيلي (ت575هـ)، فهرسة مارواه عن شيوخه، تحقيق: قداره زيد بن وخلبان، (بيروت، 1979)، ص56.

(2) الحميدي، محمد بن ابي نصر (ت488هـ)، جذوة المقتبس، (القاهرة، 1966)، ص76؛ ابن خير، مارواه عن شيوخه، ص66؛ بروكلمان، كارل، دائرة المعارف الاسلامية، ترجمة: محمد ثابت الفندي وآخرون، (مصر، 1933)، مادة ابن قتيبة، ج1/ 260-262.

(3) ينظر: الزبيدي، محمد بن الحسن (ت379هـ)، طبقات النحويين واللغويين، تحقيق: محمد ابو الفضل ابراهيم، (القاهرة، 1973)، ص199؛ ابن خير، فهرسة مارواه، ص59؛ ابن خلكان، ابو العباس شمس الدين احمد (ت681هـ)، وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان، تحقيق: احسان عباس، (بيروت، 1968-1972)، ج5/ 235.

(4) ينظر: الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين، ص199؛ ابن الفرضي، تاريخ علماء الاندلس، ص14؛ ابن حيان، ابو مروان حيان بن خلف (ت469هـ)، المقتبس من علماء اهل الاندلس، تحقيق: محمود علي مكي، (بيروت، 1973)، ص254؛ ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج4/ 60-63.

العلماء المشارقة الماهرين بالقراءات واحاطتهم بالاهتمام والتكريم والاخذ عنهم[1].

ويرجح ان تأثير الاتجاه نحو التفسير بالرأي قد تبلور في بلد الاندلس عقب ورود بعض المصادر الشرقية لاسيما كتاب جامع البيان في تفسير القرآن لمحمد بن جرير الطبري (ت310هـ/ 922م) ويعد من التفاسير الجيدة في المشرق العربي الذي جمع بين التفسير بالرواية والتفسير بالدراية (الرأي) فحاز السبق في منهجه[2]. كذلك كان هناك اتباع للمدرسة الثانية والتي تتخذ التفسير بالرأي، فقد اتبع الفقيه عبدالرحمن بن مروان بن عبد الرحمن الانصاري (ت413هـ/ 1022م) احد اعلام التفسير البارزين المؤلفين وله تفسير مختصر اطلق عليه تفسير ابن سلام[3].

وقد سارت دراسة الحديث في الاندلس حتى قيل ان بلاد الاندلس

---

(1) ينظر: ابن الفرضي، ابو الوليد عبدالله بن محمد (ت403هـ)، تاريخ علماء الاندلس، (القاهرة، 1966)، ج1/ 253، 316؛ بدر، احمد، تاريخ الاندلس في القرن الرابع الهجري، (عصر الخلافة)، (دمشق، 1974)، ص162.

(2) ينظر: ابن الفرضي، تاريخ علماء الاندلس، ج2/ 207؛ ابن خير، فهرسة مارواه عن شيوخه، ص58؛ ومزيداً من التفاصيل حول شروط يجب ان تتوفر في مفسر القرآن منها اللغة، والتصريف، وعلم القراءات، واصول الدين، واصول الفقه، واسباب النزول، والناسخ والمنسوخ، والحديث النبوي الشريف ينظر: الصالح، صبحي، مباحث في علوم القرآن، (بيروت، 1977)، ص248وما بعدها؛ ماجد، عبدالمنعم، تاريخ الحضارة الاسلامية، (القاهرة، 1978)، ص169.

(3) المقري، شهاب الدين احمد بن محمد (ت1041هـ)، نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب، تحقيق: محي الدين عبد الحميد، (بيروت، 1949)، ج4/ 171.

اصبحت دار حديث، لما تهيأ لها من علوم الحديث ورجاله القائمين على دراسته والتأليف فيه. ويعد ذلك نتيجة عملية لازدهار الرحلة العلمية الى بلاد المشرق الاسلامي، والتي كانت قد بدأت منذ مطلع عهد المسلمين بالاندلس مع العلوم الدينية، فتزايد عدد العلماء وطلاب العلم الراحلين، فنشطت دراسة الحديث بصورة تلقائية في الاندلس في القرن الثالث الهجري، حيث كانت دراسة الحديث قد بلغت اوجها بالمشرق الاسلامي على يد الشافعي واحمد بن حنبل وغيرهم. فنهل الاندلسيون من علومهم بما توفر لديهم من الكتب والمؤلفات التي تناولت علوم الحديث المختلفة. ومن العوامل المهمة الاخرى التي ساعدت على انتعاش دراسة الحديث في الاندلس الانفتاح على دراسة العلوم المختلفة الذي حدث ايام الامير عبدالرحمن بن الحكم وابنه الامير محمد، وتقريب اصحابها، والارسال في طلب العلوم القديمة من بلاد المشرق وقد افادت منه الى حد كبير علوم الحديث، حيث دخلت الاندلس مؤلفات مشرقية بالحديث تحوى اراء مخالفة لاراء مالك بن انس، رغم معارضة فقهاء المالكية لذلك[1].

ويظهر ان دراسة الحديث في القرن الثالث على يد امثال هؤلاء العلماء، قد اوصلت هذه العلوم الى مرحلة مزدهرة بعد ان قطعت مايزيد على القرنين من العمل الدؤوب والنشاط المتواصل في طلب الحديث والرحلة اليه.

وقد حاول العلماء بعد ذلك القرن لمواصلة نشاطهم العلمي والمحافظة

---

(1) ابن سعيد المغربي، علي بن موسى، المغرب في حلى المغرب، تح: شوقي ضيف، دار المعارف بمصر، (القاهرة، 1953)، ج1/ 45-46؛ الوزاد، محمد، الاتجاهات الفكرية في الاندلس خلال القرن الثالث الهجري، مجلة كلية الاداب والعلوم الانسانية، فاس، 1980-1981، العدد 4 و5، ص160.

على حالة النهوض في هذه العلوم، ولـدينا مـن المؤشـرات مايؤيـد ذلـك، فقـد استمرت الجهود المخلصة من اجل نقل عيون المؤلفات المشرقية في ميـدان علـوم الحديث، حيث توفرت للعلماء والطلبة الاندلسيين، تأليف كبار رجـال الحـديث المشارقة، الذين وضعوا مؤلفـاتهم في القـرن الثالـث الهجـري، وكانـت موضـع اهتمام المسلمين في كل مكان. فاستفاد الاندلسـيون منهـا ايضـاً، وبهـذا تـوفرت لدراسة الحديث بالاندلس مصادر جديدة اختصت للدراسة والشرح والاختصار والتأليف، مما ساهم في نشاط هذه الدراسات وازدهارها.

وفي مجال الدراسات اللغويـة فقـد بـدأ الاهتمـام بالدراسـات اللغويـة في الاندلس، منذ عهد مبكـر، حيـث قـام عـدد مـن الاندلسـيين بالرحلـة الى بـلاد المشرق، ودراسة المسائل اللغوية هناك والعودة بالكتب المشرقية البارزة، ويعد ابو موسى الهراوي اول من جمع بين علم الفقه في الدين وعلـم العـرب بالانـدلس اذ رحل الى المشرق ايام الامير عبدالرحمن الداخل[1].

وقد لقيت الدراسات اللغوية اهتماماً متزايداً من لدن الاندلسـيين بعـد ان دخلت الى الانـدلس علمـاً كـثيراً مـن الشـعر والعربيـة والاخبـار[2]، ممـا حـدا بالمقري[3] ان يقول ان الاندلسيين "يقولـون للكاتـب والنحـوي واللغـوي فقيـه، لانها عندهم ارفع السمات".

---

(1) ابن القوطية، محمد بن عمر بن عبد العزيز (ت367هـ)، تاريخ افتتاح الانـدلس، تحقيـق: عبدالله انيس الطباع، (بيروت، 1958)، ص59؛ الزبيـدي، طبقـات النحـويين واللغـويين، ص253.

(2) ابن الفرضي، تاريخ علماء الاندلس، ج2/ 22-23.

(3) نفح الطيب، ج1/ 206.

ولعل شهادة ابي علي القالي البغدادي[1] القادم الى الاندلس من المشرق سنة330هـ/ 941م دليل على سلامة الحركة اللغوية بالاندلس عندما نقل لنا ابن بسام[2] حين قال "لما وصلت القيروان وانا اعتبر من امر به من اهل الامصار، فاجدهم درجات في الغباوة وقلة الفهم... وان اهل الاندلس رأيت في افهامهم من اهل هذا الافق في ذكائهم" ويظهر انه وجد بيئة لغوية اندلسية جيدة بالقياس بما شاهده في شمال افريقيا.

وتشير النصوص الاندلسية ان العلماء المشارقة وعلى رأسهم ابو علي القالي الذين قدموا الى الاندلس لقوا حفاوة وتكريم من لدن الامراء لما اقاموا به من نشر العلم بين الناس فتركوا اثرهم الكبير في الناحية اللغوية على اهل الاندلس[3]، فقد استفاد الاندلسيون من كتاب الامالي لابو علي القالي وكتب

---

(1) ابو علي اسماعيل بن القاسم القالي البغدادي، دخل قرطبة سنة 303هـ تتلمذ على علمائها الكبار وكان إماماً في علم اللغة متقدماً فيها متفنناً لها فأستفاد الناس منه وعولوا عليه، وكانت كتبه في غاية الضبط والاتقان ومن كتبه التي اختص فيها علمه، كتاب الامالي، كتاب الممدود والمقصور، كتاب الابل، وكتب اخرى عديدة، توفي في قرطبة ودفن فيها سنة 356هـ. المراكشي، أبو محمد عبد الواحد بن علي (ت647هـ/ 1250م) المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق: محمد سعيد العريان ومحمد العربي (القاهرة، مطبعة الاستقامة، 1368هـ)، ص303.

(2) الذخيرة، ق1/ م1/ 14-15.

(3) ابن الفرضي، تاريخ علماء الاندلس، ج1/ 69؛ ابن حيان، المقتبس، تحقيق شالمتا، ص480؛ الحميدي، جذوة المقتبس، ص553.

كثيرة معظمها لغوية وادبية وعن الاخبار قد وفرت لهم المصادر للاطـلاع عليهـا لاسيما للباحثين الاندلسيين[1] .

وقد وصل اديب وعالم العراق القالي البغدادي الى بلاط الخليفة في قرطبـة ايام عبدالرحمن الناصر وقام: "بنشر مايحمله من علمه في الناس واشاعة اسماعهم وافادتهم وتأليف ما التقط من منشور ماأعيا عليهم، فسارع الى ذلك بجـد وقـوة، ففاض على طلاب العلم ماعظم انتفاعهم به جدا، وصحح لهم صحائف كانـت عندهم بورا، فاجد للسان العربي عندهم نشورا"[2]، ويشـير بروفنسـال[3] حـول زيارة القالي البغدادي الى كون "أصبح كتابه الامالي كتاباً اساسياً ومرجعاً يعتمـد عليه"، وقد احصى المؤرخ والمصنف الاندلسي ابـن خـير الاشـبيلي الكتـب الـتي حملها القالي البغدادي معه الى الاندلس ثلاثة واربعـون مصـنفا مـن المجموعـات الشعرية[4] .

اخذ الاندلسيون علومهم في النحو من بلاد المشرق فحصلت الـيهم كتـب المشارقة النحوية فمن اوائل الرواد في هذا المجـال ماقيـل عـن دودي بـن عثمـان (ت198هـ/ 813م) بانه اول من ادخل كتاب الكسائي[5]، ومحمد بن عبدالسـلام

---

(1) الزبيـدي، طبقـات النحـويين واللغـويين، ص185-186؛ الحميـدي، جـذوة المقتـبس، ص166.

(2) ابن حيان، المقتبس، تح: شالميتا، ج5/ ص80 .

(3) ليفي، الشرق الاسلامي والحضـارة العربيـة الاسـلامية، دار الطباعـة المغربيـة، (تطـوان، 1975)، ص30.

(4) ابن خير الاشبيلي، فهرسة، ص58.

(5) الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين، ص256.

الخشني (ت286هـ/ 899م)- من علماء الحديث- الذي رحل الى المشرق والتقى بعلمائها[1]. وقد استمرت هذه الرحلات الاندلسية الى المشرق للقاء مشاهير النحويين وتلامذتهم من اصحاب مدرسة البصرة والكوفة النحويتين الشهيرتين في المشرق الغربي، فسمعوا من علمائها وعادوا الى الاندلس[2]، وانتسخ محمد بن موسى (ت307هـ/ 920م) كان اديباً مهتماً بالاخبار في رحلته الى الشرق كتاب سيبويه وابن قتيبة ورواها في الاندلس[3]. وكان من النتائج العلمية للرحلات العلمية المتبادلة بين الاندلس وبلاد المشرق انتشار مذهب المدرستين الكوفية والبصرية في الاندلس[4].

وقد انتقلت الى بلاد الاندلس، بعضاً من الكتب التاريخية المشرقية لاعلام المؤلفين منها على سبيل المثال، تاريخ الرسول والملوك للطبري (ت310هـ/ 922م)[5]، وكتاب التاريخ لخليفة بن خياط (ت240هـ/ 854م) في عشرة اجزاء[6]، وكتاب الخلفاء للمدائني (ت215هـ/ 830م)[7]، وكتاب التاريخ لاحمد

(1) المصدر نفسه، ص268.

(2) ابن الفرضي، تاريخ علماء الاندلس، ج1/ 365؛ الحميدي، جذوة المقتبس، ص330.

(3) ابن الابار، ابو عبدالله محمد بن عبدالله (ت658هـ)، التكملة لكتاب الصلة، نشر: عزت العطار الحسيني، (القاهرة، 1956)، ص362.

(4) الافغاني، سعيد، هل في النحو مذهب اندلسي، صحيفة معهد الدراسات الاسلامية في مدريد، 1959، م7، 8، ص76.

(5) ابن الفرضي، تاريخ علماء الاندلس، ج1/ 62، ج2/ 207.

(6) المصدر نفسه، ج2/ 92؛ ابن خير، فهرسة مارواه عن شيوخه، ص230.

(7) ابن الفرضي، تاريخ علماء الاندلس، ج2/ 186.

لاحمد بن زهير بن ابـي خيثمـة (ت279هـ/ 892م) ويقـع في ثلاثـين مجلـداً[1]، وكتاب المعارف لابن قتيبة[2] ولابد ان تكون هذه الكتب وغيرها قـد اثـرت في اطلاع الاندلسيين بغية الاستفادة منها في بلورة كتابة تاريخهم بالشكل الامثل.

لكن الاسهام البارز والدور الفعال في تنويع الفنـون التاريخيـة الاندلسـية، يظل للتأثر المشرقي، حيث ان ماظهر من فنون تاريخية اندلسية مـاهو في الحقيقـة الا نتيجة عملية لذلك التأثير، فقد صنف الاندلسيون في التاريخ العام، والتاريخ المحلي وتواريخ المدن[3]، الى جانب كتـب التراجـم، وكتـب الطبقـات، كطبقـات المحـدثين، والاطبـاء[4]، والنحـويين واللغـويين والكتـاب[5]، والقضـاة[6]، والشعراء[7]، حيث انفرد الاندلسيون شأن اخوانهم المشارقة كل طبقة من هؤلاء هؤلاء بتأليف يتناول سرداً لعلومهم واحوالهم ونشاطهم العلمي، وبعضها تناول اخبار طبقة من طبقات العلماء[8].

---

(1) ابن الفرضي، تاريخ علماء الاندلس، ج1/ 365، ج2/ 37؛ ابن خير، فهرسة مـارواه عـن شيوخه، ص206.

(2) ابن الفرضي، تـاريخ علمـاء الانـدلس، ج1/ 13، 365؛ ابـن خـير، فهرسـة مـارواه عـن شيوخه، ص377.

(3) ابن حزم، رسالة في فضل الاندلس، ص173.

(4) على سبيل الذكر كتاب مطبوع لابن جلجل، ابي داود سليمان بن حسان (ت384هـ)، (ت384هـ)، طبقات الاطباء والحكماء، تحقيق: فؤاد السيد، (القاهرة، 1955).

(5) ابن حزم، رسالة في فضل الاندلس، ص167.

(6) على سبيل الذكر كتاب مطبوع للخشني، محمد بـن حـارث (ت361هـ)، قضـاة قرطبـة، (القاهرة، 1966).

(7) ابن حزم، رسالة في فضل الاندلس، ص167.

(8) المصدر نفسه، ص166-167.

وكان العراق وعاصمته بغداد الحضارة مركز اشعاع حضاري كبير على الحضارة عامة وبطبيعة الحال الاندلس بفضل بيت الحكمة وعلمائه وماتأثرت به الاندلس بمنهج بيت الحكمة البغدادي لاسيما في حركة الترجمة، حتى وصل الامر بالاسبان الى محاولتهم للتنافس بمدارس انشئوها لما كان يحصل في بغداد[1]

ثانياً: اثر بغداد في الحياة الفكرية

كانت بغداد الحضارة منبع الفكر والعلم والثقافة العالمية، ويشهد الفارابي، وابن سينا، والبخاري، وابن المقفع، والبيروني، وعديد من علماء اللغة والآداب، والتاريخ، والجغرافية، والفلسفة، والإسلاميات بكل علومها، من ابناء الشعوب العربية والاسلامية الواسعة على مدى تأثير الحضارة العراقية وقلبها بغداد على هذه الشعوب اذ إن "خلفاء بغداد ملكوا العالم بحضارتهم على الخصوص"[2].

لقد امتد تأثير بغداد الحضارة الى اوربا عبر صقلية والاندلس، وجنوب فرنسا، وكان التأثير الاهم فقد جاء عن طريق الاندلس، وبغض النظر ان كان حكام بغداد عباسيين[3]، وحكام الاندلس امويين، فالحضارة العربية الاسلامية

(1) فننsaid، بيدال رامون، اسبانيا وادخال العلوم العربية الى الغرب، تعريب: احمد لطفي عبد البديع، مجلة المعهد المصري للدراسات الاسلامية في مدريد، مجلد 3، مدريد، 1955، ص90.

(2) لوبون، غوستاف، حضارة العرب، ترجمة: عادل زعيتر، (الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1998م)، ص180.

(3) يذكر انه في عصر المأمون ظهر في بغداد ما سمّي ببيت الحكمة، الذي وَضَع عليه الحفّاظَ، الحفّاظَ، وأتحفه بالمترجمين والعلماء، واستطاع الخليفة أن يجعل من هذا البيت قِبلة العلماء، =

هي ذات الحضارة والشعوب هي ذاتها ايضا. واشار الرحالة بنيامين التطيلي ان بغداد وطليطلة وقرطبة تضم جامعات مشتملة وعلى مختبرات ومراصد ومكتبات غنية وكل شيء فيها يساعد على البحث العلمي، ومن الصعب تقدير عدد الكتب في مكتبات بغداد العامة والخاصة، وذلك لكثرتها وتشعب مواضيعها، وكان كان للعرب في اسبانيا وحدها سبعون مكتبة عامة، وكان في مكتبة الحكم الثاني في قرطبة 600 الف كتاب وفيها اكثر من 40 مجلداً من الفهارس فقط[1].

وسبق وان اشرنا الى ان الاندلسيين استمدوا حضارتهم من المشرق العربي، فكانوا لايعترفون باصالة العطاء الثقافي او العلمي اذ لم توثقه شهادات

= وأن ينظّمه التنظيم الدقيق، وقد عُرف هذا البيت باسم المأمون، واشتهر به. ينظر: ابن النديم، ابو الفرج محمد بن ابي يعقوب اسحاق (ت358هـ)، الفهرست، دار الكتب العلمية، (بيروت، 1416هـ/ 1996م)، ص395.

(1) كراتشكوفسكي، تاريخ الادب الجغرافي، (بغداد، 1945)، 1/ 338: ويقول يوسف العش: "يصحّ القول بأنّ التصنيف ابتدأ في العصر العبّاسيّ، ومعنى هذا أنّ تصنيف الكتب على أسلوب دقيق منظّم بدأ في العصر العبّاسيّ، إلاّ أنّ الكتابة والتأليف والجمع حدث قبل العصر العبّاسيّ، وأيّاً ما كان الأمر، فالحركة في العصر العبّاسيّ كانت قويّة بدرجة تذهل الإنسان: فهذه البصرة تؤلّف الكتب وتستخرج الآراء، وتضع النحو، وهذه الكوفة تكتب في التاريخ والأدب، وتؤلّف في النحو، وهذه بغداد تضمّ خضّماً هائلاً من العلماء، يتكاثرون في المساجد، ويكتبون العلم، حتّى إذا وصلنا إلى عصر المأمون، رأينا معظم المتعلّمين ينكبّون على التأليف، وعلى إخراج الكتب" ينظر: العش، يوسف، تاريخ عصر الخلافة العباسيّة- راجعه ونقحه محمد أبو الفرج العش- دار الفكر، (دمشق 1402هـ/ 1983م)، ص235-236.

مشرقية بغدادية، ولانريد هنا ان نقلل من حضارة الاندلس وانما الحضارة الأم هي التي تفرض التأثير الاساس كونها اقوى التيارات في الرافد الواحد. وبالتالي كان هناك احتكاك ثقافيّ يشير إلى مجموعة من العلاقات بين أفراد المجتمع الواحد، وبين الجماعات الإنسانيّة المختلفة يترتّب عليها حدوث تغيّر ثقافي يتّخذ أشكالاً متعدّدة، بعضها مادّي وبعضها معنويّ، وغالباً ما ترتبط هذه الأشكال بعادات الجماعة وتقاليدها ومثلها العليا، ومن الصعب على أيّ مجتمع استعارة عناصر ثقافيّة من مجتمع آخر دون احتكاك ثقافي، وما يترتّب عليه من تفاعلات ثقافيّة تؤدّي إلى ظهور سمات ثقافيّة محدّدة[1].

لقد كان للامير عبد الرحمن الثاني بعد ان تولى السلطة عام (206هـ/ 822م) الفضل الكبير في عملية الانفتاح الى العراق وترحيبه بعلماء بغداد، اذ كان محباً للعلم لاسيما وكونه مثقفاً وشاعراً[2]، ومن الطبيعي ان الوافدين من الاندلس الى بغداد لتلقي العلوم، يتلقون العلم على جلة العلماء المشهورين في مختلف العلوم وفنون المعرفة الانسانية، فتشير مصادرنا التأريخية منهم من درس على يد الامام الغزالي كالمهدي بن تومرت مؤسس حركة الموحدين الذين انتقل بحركته الى الاندلس[3]، وكذلك المؤرخ الاندلسي الحميدي صاحب كتاب جذوة المقتبس الذي عاش في بغداد ولم يغادرها ودفن فيها وقد تتلمذ على يد الخطيب البغدادي وعلى طبقة اخرى من اهل العلم[4]

---

(1) لطفي، بركات احمد، المعجم التربوي، دار الوطن، (الرياض، 1984)، ص28.

(2) ابن عذاري، ابو العباس احمد بن محمد (ت695هـ)، البيان المغرب، تحقيق: ج.س كولان وليفي بروفنسال، (ليدن، 1948–1951)، ج2/ 135.

(3) ينظر: المقري، نفح الطيب، ج 1/ 609.

(4) ابن بشكوال، خلف بن عبد الملك، (ت 578هـ)، الصلة، تحقيق عزت العطار الحسيني، =

واذا اردنا استعراض جمهرة العلماء الاندلسيين الـذين وفـدوا الى المشـرق ولاسيما بغداد لدهشنا من عدد الوافدين وكثرة عددهم ونتاجهم الفكري في رفد الحركة الثقافية بالاندلس، فقد ذكرهم اصحاب المكتبة الاندلسية كـابن الفرضـي في كتابه تاريخ علماء الاندلس، وصاحب كتاب الصلة لابن بشكوال، والحميدي في كتابه جذوة المقتبس والمقري في نفحه، وغيرهم من مؤرخي الاندلس.

ثالثاً: اعلام اندلسية في بغداد

من الصعوبة بمكان الاحاطة بكل الوافـدين الاندلسـيين الى بغـداد لـذلك سنقتصر على فئة من البارزين مـنهم كـون بعضـهم بقـي في بغـداد ودفـن فيهـا كالحميدي صاحب كتاب جذوة المقتبس، ومنهم من عـاد لبلـده فـأثر في حركتـه العلمية والادبية والفكرية امثال ابـو الوليـد البـاجي، ومـنهم مـن قضـت عليـه همجية التتر فخر شـهيدا غريبـاً، امثـال ابـي عبـدالله محمـد بـن احمـد الزهـري الاشبيلي.

سليمان بن خلف بن سعد ابن أيوب بن وارث التجيبي الباجي

يكنى أبا الوليد[1]، ولد عام (403 هـ/ 1012م) حصـل عليـه مـن منزلـة

=

مكتب الثقافة الاسلامية، (1375هـ/ 1955م)، ج2/ 530؛ الضبي، احمد بن يحيى ابـن احمـد ابن عميرة (ت 599هـ)، بغيـة الملـتمس في رجـال اهـل الأنـدلس، دار الكاتـب العربـي، (1387هـ/ 1967م)، ص113؛ المقري، نفح الطيب، ج2/ 113.

(1) ابن بشكوال، الصلة، ج1/ 200-201؛ المقري، نفح الطيب، ج2/ 68؛ القنـوجي، صـديق بن حسن (ت 1307هـ)، ابجد العلوم والوشي المرقوم في بيان احوال العلوم، تحقيـق عبـد الجبار زكار، دار الكتب العلمية، بيروت (1398هـ/ 1978م)، ج3/ 145.

علمية في المشرق والمغرب وكان أبـو الوليـد مـن أهـل قرطبـة، وروى بهـا عـن القاضي يونـس بن عبد الله وأبي سعيد الجعفـري وغيرهـم ورحـل الى المشـرق سنة (426هـ/ 1035م)[1]، وأقام مع أبي ذر الهـروي ثلاثـة أعـوام في مكـة، ثـم رحل الى بغداد ولقي بها أبا الطيب الطبري، وأبا اسحاق الشيرازي، وروى عـن الخطيب البغدادي، وروى الخطيب عنه[2]، وهو من أئمة المسـلمين المعـروفين في المشرق والمغرب حيث بقى في المـشرق ثلاثة عشر عاما يطلب العلم وفي مقدمتـه الفقه، الذي درسه في بغداد والموصل[3]، وكان أبو الوليد في بداية حياتـه أديبـاً، شاعراً "فجعل الشعر بضاعته، فقال به من كلّ الرغائب"[4] ومن ثم مـال الى علـم الديانة، وكان أبو الوليد غزير الإنتاج ومن كتبـه (التسـديد الى معرفـة التوحيـد) وكتاب (سـنن المنـاهج وترتيـب الحجـاج) وكتـاب (الإيمـاء في الفقـه) في خمـس مجلدات وكتاب (الاستيفاء) وكتاب (أمام الفصول في أحكام الأصول)[5]. وقـد رجع أبو الوليد الى الأندلس بعلم كثير ودرايـة واسـعة وولـي القضـاء هنـاك[6]

---

(1) ابن بشكوال، الصلة، ج1/ 201؛ ابن خلكان، وفيات الاعيـان، ج2/ 409؛ المقـري، نفـح الطيب، ج2/ 69؛ خورشـيد، إبـراهيم زكـي، دائـرة المعـارف الإسـلامية، (القـاهرة، دون تاريخ)، المجلد الخامس، ص587

(2) ابن بشكوال، الصلة، ج1/ 201؛ ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج2/ 409؛القنوجي، ابجـد العلوم، ج3/ 145.

(3) ابن بشكوال، الصلة، ج1/ 201؛ خورشيد، دائرة المعارف الإسلامية، م5، ص587.

(4) المقري، نفح الطيب، ج2/ 68.

(5) مزيدا من التفاصيل حول مؤلفاته ينظر: المصدر نفسه، ج2/ 68-69.

(6) القنوجي، ابجد العلوم، ج3/ 145.

حتى صار اكثر العلماء يسمعون منه، ومنهم أبو عمر بن عبد البر وغيره[1] ومما يفتخر به انه روى عنه حافظا المغرب والمشرق أبو عمر بن عبد البر والخطيب البغدادي[2] وكان أبو الوليد من أبرز الذين دعوا الى وحدة الأندلس، وقد توفي بالمرية سنة (0474 هـ/ 1081م).

محمد بن عبدالسلام الخشني

وهو محمد بن عبدالسلام بن ثعلبة بن زيد بن الحسن بن كلب بن ابي ثقليه الخشني صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم من اهل قرطبة يكنى ابا عبدالله[3] رحل قبل الاربعين ومائتين فحج ودخل البصرة فوجد اهلها متوافدين فسمع فيها من محمد بن بشار بندار ومن ابي موسى الزمين، ونصر بن علي الجهصمي، وغيرهم من اصحاب الحديث. ولقي ابا حاتم سهل بن محمد السجستاني، والعباس بن الفرج الرياشي وابا اسحاق الزبادي فاخذ عنهم كثيراً من كتب اللغة ورواية الاصمعي وغيره.[4]

---

(1) ابن بشكوال، الصلة، ج1/ 202 ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج2/ 409. القنوجي، ابجد العلوم، ج3/ 145.

(2) ابن بشكوال، الصلة، ج1، ص202؛ المقري، نفح الطيب، ج2/ 69. واتفق القنوجي في مكان وفاته واختلف في السنة، حيث ذكر سنة (471هـ/ 1078م). انظر، ابجد العلوم، ج3/ 145.

(3) ابن الفرضي، تاريخ علماء الاندلس، ج2/ 16

(4) الذهبي، شمس الدين ابي عبد الله محمد بن احمد بن عثمان بن قايماز (ت748هـ)، سير اعلام النبلاء، تحقيق: بشار عواد معروف ومحي هلال السرمان، مؤسسة الرسالة (بيروت- 1985م)، ج 15/ 242

دخل بغداد فسمع بها من غير واحد وكتب بها كتب ابي عبيد القاسم بـن سلام عن محمد بن وهب المسعري وابي عمران موسى بـن خاقـان، وروى عنـه المشاهد وجماعة كثيرة من البصريين وغيرهم[1]، وادخل الى الانـدلس كـثيراً مـن حديث الائمة وكثيراً من اللغة والشعر الجاهلي رواية، وكان فصيح اللسان جزل المنطق، وكان صارماً وانوفاً منقبضاً عن السلطان واراده الامير محمد على القضاء فابى وسمع منه الكثير من طلاب العلم والحديث، توفى محمـد بـن عبدالسـلام الخشني رحمه الله يوم السبت لاربع بقين من شـهر رمضـان سـنة سـت وثمـانين ومائتين وهو ابن ثمان وستين سنة[2].

محمد بن أبي نصر فتوح الازدي الحميدي الأندلسي

يكنى أبا عبد الله[3]، الحافظ المشهور، وأصله من قرطبة[4]، ولد في بليـدة بالأندلس قبل سـنة (420هــ/ 1029م)[5]، وأول سماعـه كـان سـنة (425هــ/ 1033م) او نحوها من أصبغ بن راشد بن أصبغ اللخمي أبـو القاسـم مـن أهـل

---

(1) المصدر نفسه، ج15/ 242

(2) ابن الفرضي، تاريخ علماء الاندلس، ج2/ 16.

(3) ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج4/ 283؛الـذهبي، العـبر في خـبر مـن غـبر، تحقيـق فـؤاد، (1381هـ/ 1981م)، ج3/ 323؛ الحنبلي، ابو الفلاح عبد الحي بن عمـاد، (ت 1089هــ)، شذرات الذهب في اخبـار مـن ذهـب، مكتبـة القدسـي، القـاهرة، (1350هــ/ 1936م)، ج2/ 392.

(4) ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج2/ 282؛ الحنبلي، شذرات الذهب، ج2/ 392.

(5) المقري، نفح الطيب، ج2/ 113.

اشبيلية الفقيه المحدث[1] وكان أبو عبد الله دؤوباً على العلم، أخبارياً، متقناً، كثير التصانيف[2] مؤلف (الجمع بين الصحيحين)[3]، وصاحب كتاب (تاريخ الإسلام ومن ادعى الامان من أهل الايمان)، وكتاب (الذهب المسبوك في وعض الملوك)، وكتاب (تسهيل السبيل الى علم الترسيل)، وكتاب (مخاطبات الأصدقاء)، واشهر كتبه (جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس وأسماء رواة الحديث والأدب)[4] الذي ألفه في بغداد بناءً على طلب أهلها منه[5]، حيث يُعد يُعد هذا الكتاب من التراجم الأندلسية القديمة المهمة، سمع الحميدي بالأندلس من ابن عبد البر وابن حزم الظاهري، وصحب كلاً منهما[6] مدة بالأندلس وروى عنهما[7]، وبعد تجوال في عدد من المدن الإسلامية استقر في بغداد التي روى عن شيوخها ولاسيّما الخطيب البغدادي (ت 463هـ/ 1071م) حافظ المشرق[8]، وهذا يدل على ما وصل اليه الحميدي وان منزلته بلغت منزلة العلماء المشهورين حيث روى عن حافظا المغرب والمشرق. وقد توفي الحميدي

---

(1) الذهبي، العبر، ج3/ 325.

(2) الحميدي، جذوة المقتبس، ص173-174؛ ابن بشكوال، الصلة، ج1/ 109.

(3) ابن خير، الفهرسة، ص222. الحنبلي، شذرات الذهب، ج2/ 392.

(4) مزيداً من التفاصيل لمؤلفاته ينظر: المقري، نفح الطيب، ج2/ 113.

(5) الحميدي، جذوة المقتبس، ص3.

(6) الذهبي، العبر، ج3/ 325.

(7) ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج4/ 282. الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج18/ 155.

(8) ابن بشكوال، الصلة، ج2/ 530؛ الضبي، بغية الملتمس، ص113؛ المقري، نفح الطيب، ج2/ 113.

ببغداد سنة (488هـ/ 1094م) عن نحو سبعين سنةً، وكان أحد أوعية العلم[1]

أحمد بن قاسم بن عيسى بن فرج اللخمي الاقليشي.

يكنى أبا العباس المقري، سكن قرطبة، وكانت ولادته في سنة (363هـ/ 973م)، ورحل أبو العباس الى المشرق ودخل بغداد[2]، وسمع بها من ابن حبابة البزاز وإبراهيم الكتاني وغيرهما[3]، ألف أبو العباس كتباً في معاني القراءات أخذها الناس عنه، وكان ثقةً، فاضلاً، صالحاً، مجوداً للقرآن قائماً بالروايات فيه، وملتزماً في مسجد الغازي بقرطبة لاقراء الناس عن شيوخ المشرق[4]، وقد انتقل أبو العباس على اثر الفتنة من قرطبة الى طليطلة واقرأ الناس بها الى أن توفي في سنة (410هـ/ 1019م) [5].

أحمد بن الفضل بن العباس الدينوري[6]

يكنى أبا بكر المطوعي، ومن المشرق سمع من أكبر علمائها ومنهم جعفر بن محمد الفريأبي، وأبو جعفر محمد بن جرير الطبري فأخذ عنه كتابه المعروف

---

(1) ابن بشكوال، الصلة، ج2، ص531؛ الذهبي، تذكرة الحفاظ، مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية، الهند، حيدر اباد الدكن، ط3، (1375هـ/ 1955م)، ج4/ 1219؛ المقري، نفح الطيب، ج2/ 113.

(2) الحميدي، جذوة المقتبس، ص142. ابن بشكوال، الصلة، ج1/ 31.

(3) ابن بشكوال، الصلة، ج1/ 31.

(4) المصدر نفسه، ج1/ 31.

(5) ابن بشكوال، الصلة، ج1/ 32.

(6) الحميدي، جذوة المقتبس، ص140؛ الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج17/ 79.

(ذيل المذيل)[1] وكتابه (صريح السنة)[2] وكتابه (فضائل الجهاد)[3]، ودخل الأندلس وحدّث بها[4] وقد حدث عنه بالأندلس الكثير من العلماء المعروفين ومن المعهم أبو عمر ابن عبد البر النمري، وأبو الوليد بن الفرضي[5].

عبدالله بن محمد بن عبد المؤمن بن يحيى التجيبي

يعرف بابن الزيات، ويكنى أبا محمد، من أهل قرطبة[6]، ولد سنة (314هـ/ 926م)، ورحل الى المشرق رحلتين دخل فيهما الى العراق وسمع ببغداد من إسماعيل بن محمد الصفار ومن ابن السماك[7]، وغيرهم الكثير، وسمع بالبصرة من أبي بكر داسة التمار، وغيره[8]، ورجع وحدّث بالأندلس وكان تاجراً صدوقاً[9]، قال فيه ابن الفرضي: كان كثير الحديث، مسنداً،

---

(1) الحميدي، جذوة المقتبس، ص140

(2) المصدر نفسه، ص140

(3) الحميدي، جذوة المقتبس، ص140.

(4) المصدر نفسه، ص140.

(5) الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج17/ 79.

(6) ابن الفرضي، تاريخ العلماء، ج1، ص288؛ الحميدي، جذوة المقتبس، ص252؛ الذهبي، الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج15/ 538؛ ابن حجر، احمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت852هـ)، لسان الميزان، تحقيق: دائرة المعارف النظامية، الهند، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت، ط3، (1406هـ/ 1986م)، ج3/ 353.

(7) ابن الفرضي، تاريخ العلماء، ج1/ 288. الحميدي، جذوة المقتبس، ص252

(8) ابن الفرضي، تاريخ العلماء، ج1/ 288

(9) ابن حجر، لسان الميزان، ج3/ 353

صحيحاً للسماع، صدوقاً في روايته، الا ان ضبطه لم يكن جيداً..."[1]، وقد توفي ابن الزيات في سنة (390هـ/ 1000م)[2].

محمد بن عمروس بن العاص

يكنى أبا عبد الله[3]، من أهل قرطبة[4] ومن ابرز شيوخها[5]، روى في قرطبة عن أبي عبد الله بن مفرج وآخرين[6]. كانت له رحلة ودخل الى العراق بعد ان حجّ وروى في بغداد عن الفقيه أبي بكر الابهري والدارقطني وغيرهم[7]. وغيرهم[7]. وذهب الى البصرة والتقى بابي بكر أحمد بن محمد الاسفاطي[8]، ورجع الى الأندلس بعلمٍ جم[9]. توفي أبو عبدالله سنة (400هـ/ 1009م)[10]

عبد بن أحمد بن محمد الهروي:

يكنى أبا ذر والمعروف ببلده بابن السماك، الانصاري، الخرساني المالكي،

---

(1) ابن الفرضي، تاريخ العلماء، ج1/ 288

(2) المصدر نفسه، ج1/ 289

(3) ابن بشكوال، الصلة، ج2، ص487.المقري، نفح الطيب، ج2/ 61.

(4) المصدر نفسه، ج2/ 487.

(5) المقري، نفح الطيب، ج2/ 61.

(6) ابن بشكوال، الصلة، ج2/ 487.المقري، نفح الطيب، ج2/ 61.

(7) المقري، نفح الطيب، ج2/ 61.

(8) ابن بشكوال، الصلة، ج2/ 487.

(9) المصدر نفسه، ج2/ 487.

(10) المقري، نفح الطيب، ج2/ 61.

الإمـام، الحـافظ، المجـود، العلامـة، شـيخ الحـرم[1]. ولـد أبـو ذر سـنة (356هـ/ 966م)[2]، رحل الى العراق وسمع ببغداد من عبيد الله بن عبد الرحمن الرحمن الزهري، وأبي الحسن الدارقطني، وبالبصرة سمع مـن هـلال بـن محمـد، وشيبان بن محمد الضبعي[3].

وهذا يعطينا الانطباع لما وصل اليه هذا الإمام من درجة علميـة ومسـتوى رفيع حيث حدث بخراسان وبغداد والحرم[4] ويدلل على أنّ شيخا مثلـه لم يجيـز لتلميذ او لصاحب علم علمه، الا اذا كان يستحق هذه المكانة والأمانة العلميـة، وكان أبو ذر ثقة، ضابطا، فاضلا، وقيل انه كان يميـل الى مـذهب الاشـعري[5]، وقد ألف معجما لشيوخه[6]، وله تصانيف عـدة وراوي الصـحيح عـن الثلاثـة المستملي والحموي والكشميهني[7]، وألف أيضاً (مسـند الموطـأت) او (مسـانيد

---

(1) أبن بشكوال، الصلة، ج2/ 677؛ الـذهبي، سير اعـلام النـبلاء، ج17/ 554، ج18/ 157؛ ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجـوزي (ت 597هـ)، المنتظم في تـاريخ الملوك والامم، دار صادر، بيروت، (1358هـ/ 1938م)، ج8/ 116.

(2) الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج17/ 554.

(3) المصدر نفسه، ج17/ 554.

(4) المصدر نفسه، ج17/ 554.

(5) ابن الجوزي، المنتظم، ج8/ 116.

(6) الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج17/ 554.

(7) الطبري، احمد بن عبد الله بن محمـد (ت 694هـ)، الريـاض النظـرة في مناقـب العشـرة، تحقيق عيسى عبد الله محمد مانع الحميري، دار الغـرب الاسـلامي، بـيروت، (1416هـ/ 1996م)، ج2/ 223.

الموطأ)[1]، وهناك الكثير من تواليفه[2] ولم يعمر أبو ذر حيث توفي في سنة (434هـ/ 1043م) [3]

حسين بن محمد بن فيره بن حيون

ويعرف بابن سكرة الصدفي أو السرقسطي[4] وهو من أهل سرقسطة سكن مرسية، يكنى أبا علي. وكان أبو علي إمام عصره في علم الحديث وآخر أئمته في الأندلس، فقيهاً، فاضلاً، ديناً، متواضعاً، حليماً، وقوراً[5] تنقل بين أرجاء الأندلس وسمع من أكبر علمائها[6] ورحل الى المشرق وتنقل بها بعد أن حجّ وذهب الى البصرة ثم بغداد[7] ثم رجع الى الأندلس واستقر بمرسية واخذ يحدث الناس بجامعها[8] وكثر طلابه من الأندلس وخارجها، واستقضى بمرسية مدة[9] واستشهد أبو علي في وقعة قتندة بثغر الأندلس سنة (514هـ/ 1120م)

---

(1) ابن خير، الفهرسة، ص89؛ الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج8/ 85.

(2) للتفاصيل انظر، ابن خير، الفهرسة، ص286-287.

(3) ابن الجوزي، المنتظم، ج8/ 116.

(4) ابن بشكوال، الصلة، ج1، ص144؛ ابن فرحون، برهان الدين ابراهيم (ت 799هـ)، الديباج المذهب في معرفة اعيان المذهب، تحقيق: محمد الاحمدي، (القاهرة، بلا. ت)، ج1/ 331.

(5) ابن بشكوال، الصلة، ج1، ص144؛ ابن فرحون، الديباج المذهب، ج1/ 331.

(6) ابن فرحون، الديباج المذهب، ج1/ 331.

(7) ابن بشكوال، الصلة، ج1/ 144-145؛ ابن فرحون، الديباج المذهب، ج1/ 331.

(8) ابن بشكوال، الصلة، ج1/ 145.

(9) المصدر نفسه، ج1/ 145.

وهو من أبناء الستين[1].

الخاتمة

كان العراق موطن للعلم ومرتع للعلماء والباحثين سواء اكان القادمين اليه من مشرقه او من مغربه، اذ توفرت في العراق اكبر خزائن الكتب واشهرها واضخمها، حيث كانت بغداد الحضارة مركز الخلافة جمعت بين حسن الموقع واعتدال الطبيعة وتبياين المجتمع وعمارة الاسواق وتصارع الافكار وتصادم الاراء وتمازج العقول وتقبل الغرباء والترحيب بالاصدقاء ومحاربة الاعداء، وفي الطرف الغربي من العالم الاسلامي حيث قرطبة قاعدة الاندلس وعاصمتها ايام الامارة والخلافة الاموية، ومن خلال ماتوصلنا اليه من خلال ماتقدم نجد ان العراق وعاصمته بغداد هي صاحبة الفضل على الاندلس ومدنها فلقد كان العالم في الاندلس لايجد له منزلة مالم يكن قد زار بغداد واتصل بالمشرق عن طريق الرحلة والدراسة والتحصيل والزيارة فهذا ابن بسام يقول إلا أن أهل هذا الأفق، أبوا إلا متابعة أهل الشرق، يرجعون إلى أخبارهم المعتادة، رجوع إلى قتادة؛ حتى لو نعق بتلك الآفاق غراب، أوطن بأقصى الشام والعراق ذباب، لجثوا على هذا صنما، وتلوا ذلك كتاباً محكماً، وأخبارهم الباهرة، وأشعارهم السائرة، مرمى القصية"[2].

ومما تقدم من دراسة حول اثر بغداد الفكري والعلمي على الاندلس كشفت هذه الدراسة عن ان ميلاد التاليف بالاندلس بكافة العلوم والمعارف، لم

---

(1) المصدر نفسه، ج1/ 146؛ ابن فرحون، الديباج المذهب، ج1/ 333.

(2) ابن بسام، الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة، ق1/ مج1/ ص2.

يكن مستقلا عن كتابات المشارقة، إذ ان النتاج الفكري الأندلسي لم تكـن نشـأته وانتشاره بمعزل عـن مـا سـبقه مـن ازدهـار في المشـرق تمثـل ذلـك في التفاعـل الحضاري والسياسي الذي ساد بقاع العالم الاسلامي، متمثلاً بـرحلات التجـار، ورحلات الحج، ورحلات طلب العلم، واقرب مثال على ذلك رحلات الانتقال للاستقرار في بلدان العالم الاسلامي كرحلة الحميدي إلى بغداد وبقاءه هناك حتى وفاته، الأمر الذي أفاده في الاطلاع على كتب المشارقة. وأبرزت هـذه الدراسـة مكانة بغداد التاريخيـة ودورهـا الكـبير في نشـر الفكـر والعلـم والمعرفـة في كـل الأمصار العربية والإسلامية وخارج نطاق هذه الجغرافيـة بمعنـى انـه وصـل الى الاندلس ومنها الى اوربا.

المصادر والمراجع

1. ابن الابار، ابو عبد الله محمد بن عبدالله (ت658هـ)، التكملة لكتاب الصلة، نشر: عزت العطار الحسيني، (القاهرة، 1956).

2. ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي (ت 597هـ)، المنتظم في تاريخ الملوك والامم، دار صادر، بيروت، (1358هـ/ 1938م)

3. ابن الفرضي، ابو الوليد عبدالله بن محمد (ت403هـ)، تاريخ علماء الاندلس، (القاهرة، 1966).

4. ابن القوطية، محمد بن عمر بن عبدالعزيز (ت367هـ)، تاريخ افتتاح الاندلس، تحقيق: عبد الله انيس الطباع، (بيروت، 1958).

5. ابن النديم، ابو الفرج محمد بن ابي يعقوب اسحاق (ت358هـ)، الفهرست، دار الكتب العلمية، (بيروت، 1416هـ/ 1996م).

6. ابن بسام الشنتريني، ابي الحسن علي (ت542هـ)، الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة، تحقيق: احسان عباس، دار الثقافة، (بيروت، 1979).

7. ابن بشكوال، خلف بن عبد الملك، (ت 578هـ)، الصلة، تحقيق عزت العطار الحسيني، مكتب الثقافة الاسلامية، (1375هـ/ 1955م).

8. ابن جلجل، ابي داود سليمان بن حسان (ت384هـ)، طبقات الاطباء والحكماء، تحقيق: فؤاد السيد، (القاهرة، 1955).

9. ابن حجر، احمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت852هـ)، لسان الميزان، تحقيق دائرة المعارف النظامية، الهند، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت، ط3، (1406هـ/ 1986م).

10. ابن حزم الأندلسي، علي بن احمد (ت456هـ)، ابن حزم، رسالة في فضل الاندلس، نقلها المقري في نفح الطيب، تحقيق: محيي الدين عبد الحميد، (القاهرة، 1949).

11. ابن حيان، ابو مروان حيان بن خلف (ت469هـ)، المقتبس من علماء اهل الاندلس، تحقيق: محمود علي مكي، (بيروت، 1973).

12. ابن خلكان، ابو العباس شمس الدين احمد (ت681هـ)، وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان، تحقيق: احسان عباس، (بيروت، 1968-1972).

13. ابن خير، ابو بكر محمد الاشبيلي (ت575هـ)، فهرسة ماروواه عن شيوخه، تحقيق: قداره زيد بن وخلبان، (بيروت، 1979).

14. ابن سعيد المغربي، علي بن موسى، المغرب في حلى المغرب، تح: شوقي ضيف، دار المعارف بمصر، (القاهرة، 1953).

15. ابن عذاري، ابو العباس احمد بن محمد (ت695هـ)، البيان المغرب، تحقيق: ج. س كولان وليفي بروفنسال، (ليدن، 1948-1951).

16. ابن فرحون، برهان الدين ابراهيم (ت 799هـ)، الديباج المذهب في معرفة اعيان المذهب، تحقيق: محمد الاحمدي، (القاهرة، بلا. ت).

17. ابو العرب، محمد بن احمد بن تميم (ت333هـ)، طبقات علماء افريقية وتونس، تحقيق: علي الشابي ونعيم حسن البافي، (تونس، 1968).

18. الحميدي، محمد بن ابي نصر (ت488هـ)، جذوة المقتبس، (القاهرة، 1966).

19. حنبلي، ابو الفلاح عبد الحي بن عماد، (ت 1089هـ)، شذرات الذهب في اخبار من ذهب، مكتبة القدسي، القاهرة، (1350هـ/ 1936م).

20. الخشني، محمد بن حارث (ت361هـ)، قضاة قرطبة، (القاهرة، 1966).

21. الخطيب البغدادي، ابو بكر احمد بن علي (ت463هـ)، تاريخ بغداد، المكتبة السلفية، (المدينة المنورة، بلا. ت).

22. الذهبي، شمس الدين ابي عبد الله محمد بن احمد بن عثمان بن قايماز (ت748هـ).

a. تذكرة الحفاظ، مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية، الهند، حيدر اباد الدكن، ط3، (1375هـ/ 1955م).

b. سير اعلام النبلاء، تحقيق: بشار عواد معروف ومحي هلال السرمان، مؤسسة الرسالة (بيروت- 1985م).

c. العبر في خبر من غبر، تحقيق فؤاد، (1381هـ/ 1981م).

23. الزبيدي، محمد بن الحسن (ت379هـ)، طبقات النحويين واللغويين، تحقيق: محمد ابو الفضل ابراهيم، (القاهرة، 1973).

24. الضبي، احمد بن يحيى ابن احمد ابن عميرة (ت 599هـ)، بغية الملتمس في رجال اهل الأندلس، دار الكاتب العربي، (1387هـ/ 1967م).

25. الطبري، احمد بن عبد الله بن محمد (ت 694هـ)، الرياض النظرة في مناقب العشرة، تحقيق عيسى عبد الله محمد مانع الحميري، دار الغرب الاسلامي، بيروت، (1416هـ/ 1996م).

26. القنوجي، صديق بن حسن (ت 1307هـ)، ابجد العلوم والوشي المرقوم في بيان احوال العلوم، تحقيق عبد الجبار زكار، دار الكتب العلمية، بيروت (1398هـ/ 1978م).

27. المراكشي، أبو محمد عبد الواحد بن علي (ت647هـ/ 1250م) المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق: محمد سعيد العريان ومحمد العربي (القاهرة، مطبعة الاستقامة، 1368هـ).

28. المقري، شهاب الدين احمد بن محمد (ت1041هـ)، نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب، تحقيق: محي الدين عبدالحميد، (بيروت، 1949).

29. المراجع الثانوية

30. الافغاني، سعيد، هل في النحو مذهب اندلسي، صحيفة معهد الدراسات الاسلامية في مدريد، 1959، م7، 8.

31. بدر، احمد، تاريخ الاندلس في القرن الرابع الهجري، (عصر الخلافة)، (دمشق، 1974).

32. بروكلمان، كارل، دائرة المعارف الاسلامية، ترجمة: محمد ثابت الفندي وآخرون، (مصر، 1933).

33. خورشيد، إبراهيم زكي، دائرة المعارف الإسلامية، (القاهرة، دون تاريخ)، المجلد الخامس.

34. سالم، السيد عبد العزيز، في تاريخ وحضارة الاسلام في الاندلس، مؤسسة شباب الجامعة، (الاسكندرية، 1985).

35. السامرائي، كمال، مختصر تاريخ الطب العربي، دار الحرية لطباعة، (بغداد، 1985).

36. الصالح، صبحي، مباحث في علوم القرآن، (بيروت، 1977)، ص248

ومابعـدها؛ ماجـد، عبـد المـنعم، تـاريخ الحضـارة الاسـلامية، (القـاهرة، 1978).

37. العش، يوسف، تاريخ عصر الخلافة العباسيّة- راجعه ونقحه محمـد أبـو الفرج العش- دار الفكر، (دمشق 1402هـ/ 1983م).

38. العلي، صالح احمد وآخرون، تاريخ الحضارة العربية الاسـلامية، مطبعـة الاداب، (النجف الاشرف، 1395هـ/ 1975م).

39. العميد، طاهر مظفر، بغداد- مدينة المنصورة، منشورات المكتبة الاهليـة، (بغداد، 1967).

40. فننتدت، بيدال رامون، اسبانيا وادخال العلوم العربية الى الغرب، تعريب: احمد لطفـي عبدالبـديع، مجلـة المعهـد المصـري للدراسـات الاسـلامية في مدريد، مجلد 3، مدريد، 1955.

41. كراتشكوفسكي، تاريخ الادب الجغرافي، (بغداد، 1945).

42. لطفي، بركات احمد، المعجم التربوي، دار الوطن، (الرياض، 1984).

43. لوبون، غوستاف، حضارة العرب، ترجمة: عادل زعـيتر، (الهيئـة المصـرية العامة للكتاب، 1998م).

44. ليفي، بروفنسال، الشرق الاسـلامي والحضـارة العربيـة الاسـلامية، دار الطباعة المغربية، (تطوان، 1975).

45. الوزاد، محمـد، الاتجاهـات الفكريـة في الانـدلس خـلال القـرن الثالـث الهجري، مجلة كلية الاداب والعلوم الانسانية، فاس، 1980-1981، العدد 4 و5.

هجومات النورمانيين على الاندلس



هجومات النورمانيين على الاندلس

اكتسب اهل الاندلس خبرة متميزة في الحروب ومايرتبط بها من تنظيم وجهود مختلفة، يدل على ذلك تاريخهم العريق في خوض المعارك وتحقيق الانتصارات منها، اذ كانت الاندلس عرضة لاطماع الكثير ممن حولها من قوى، فقد نشبت على ارضها وسواحلها حروب عدة ومن هذه الحروب هجوم النورمان عليها لذلك سنتطرق في هذه الدراسة عن تلك الهجمات والدور الكبير الذي مارسه الاندلسيون في صد تلك الهجمات فضلاً عن جهودهم في بناء قوة بحرية قادرة على صد أي هجوم مستقبلي.

1. النورمان اصلهم وتسميتهم :

أصلهم جرماني وينقسم هذا الشعب الى ثلاث: السويديون والنرويجيون والدنماركيون[1]، وكان للظروف الجغرافية وغيرها اثر في الوجه التي قصدتها كل مجموعة من هذه الثلاثة في نشاطها الحربي أو التجاري[2] فالسويديون اتجهوا الى شرق اوربا للتجارة والغزو احيانا، والنرويجيون، اتجهوا الى غزو اسكلتندا وايرلندا، واتجه الدنماركيون الى غزو هولندا وبعض سواحل شرق انكلترا وسواحل الامبراطورية الفرنجية[3].

اما ماتسميه مصادرنا الاندلسية هؤلاء النورمان، بالمجوس او الاردمانيون[4] ويعرف باللغة الاسبانية wikingos أو Norman بل ذلك بالانكليزية Vikings أو Norsemen [4]، فقد ذكر انهم استخدموا النار من قبلهم للتدفئة ويبدو ان معتقدهم الديني يجعلهم يقدسون النار[6] وعبادتها بوصفها ظاهرة من الظواهر الطبيعية فضلاً عن استخدام النار في كل موضع

يحلون به بل كانوا يحرقون جثث الموتى من زعمائهم[7] ولعل الاندلسيين قصدوا من هذه التسمية انهم كانوا وثنيين في معتقداتهم[8] وقد جاءت تسمية المجوس على النورمان من قبل مؤرخينا الاوائل ولان هذه التسمية تطلق اصلا على الزرادشتيين عبدة النار، ولان النورمان حين غزو الاندلس كانوا يكثرون من اشعال النار[9] فظن المسلمون انهم يعبدون النار كالزرادشتية.

اشتهر هؤلاء النورمان المجوس (الاردمانيون) بنشاطهم البحري والتجاري او الحربي واتخذت اعتدائهم شكلا خطيرا على سواحل الدول الاوربية في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي[10] وانهم كانوا على خلاف الجرمان الاخرين حيث لم يتاثروا بالمؤثرات اللاتينية[11]. فالاردمانيون هم النورمانيون اي اهل الشمال وقلب النون الى همزة في اوائل اسماء الاعلام ليس غريبا في لسان اهل الاندلس، فهم يقولون مثلا "اربونه" "نربونه"[12]

اما المسيحية فقد دخلت اليهم بعد انتشار الكنيسة خارج حدود المملكة الرومانية عند الشعوب الاسكندنافية فقد دخلت في وقت واحد مع الشعوب الاسلافية[13].

2. غزو النورمان الاول 229هـ/844م

حددت مصادرنا العربية الاسلامية ولا سيما الاندلسية، شهر ذي الحجة سنة 229 هـ/ اب 844م تاريخ ابتداء اول هجوم للنورمانيين على السواحل الغربية للاندلس، قبالة مدينة اشبونة[14] وان ظهور مراكب النورمان ذات الاشرعة السود[15] مفاجئة لاهل الثغر الادنى، اذ كان كتاب عامل مدينة لشبونة وهب الله بن حزم الى الامير عبد الرحمن بن الحكم ايذانا ببدء هجومهم على سواحل الاندلس الغربية والذي ذكر فيه انه حل بالساحل للثغر الادنى أربع

وخمسون مركبا من مراكب المجوس معها أربع وخمسون قاربا اخر[16] فكتب الامير عبد الرحمن بن الحكم الى العمال للتحفظ والاحتراس.[17]

كما يدلل على ان عبد الرحمن بن الحكم وعماله كانوا على أهبة الاستعداد دائما حتى من هذه الناحية القريبة التي لم تهددهم منها اي خطر الى هذه الساعة، ففي الوقت الذي استنفر الثغور بالاستعداد واخذ الحيطة والحذر منذ اول حركة المجوس عند نزولهم سواحل غرب الاندلس واحتلالهم لشبونة[18] حيث تشير المصادر الاندلسية ان اهالي لشبونة لم ينتظروا أن تأتيهم قوات الامير عبد الرحمن بن الحكم بل نهضوا واستعدوا للقاء الغزاة بما لديهم من امكانيات وقوة فتصدوا للغزاة وكانت هنالك وقائع شديدة بين الطرفين استولى على اثرها النورمان على سهول المدينة وبقوا فيها ثلاثة عشر يوما [19] ثم عادوا الى مراكبهم نتيجة لما لاقوه من مقاومة اهالي لشبونة كذلك لعدم صلاحية الابحار في نهر تاجة والتوغل نحو الداخل حيث انحدروا نحو الجنوب بحثا عن مصبات صالحة للملاحة مما اضطروا الى النهوض الى جزيرة قادس ثم الى أشذونة وقد كانت بينهم وبين الاندلسيين معركة شديدة[20].

ويصف ابن عذارى ظهورهم في مياه اشبيلية وطرقهم اياها بقوله "فخرج المجوس في ثمانين مركبا كأنما ملئت البحر طيرا جوثا، كما ملئت القلوب شجوا وشجونا، فحلو بلشبونة ثم الى قادس والى أشذونة ثم قدموا الى اشبيلية ونازلوها الى ان دخلوها قسرا فستباحوا اهلها قتلا واسرا، فبقوا بها سبعة ايام يسقون اهلها كأس السقام"[21]

ثم مالبث النورمان بعد ان لاقوا مقاومة شديدة من اهالي الاندلس فتجمعوا باسطولهم في مدخل الوادي الكبير ليقوموا بغارة كبيرة على اشبيلية والمناطق المجاورة لها.

فاحتل النورمان مدخل الوادي الكبيرة جزيرة "القبطيل"* وقد استراح النورمان في هذا الوادي مدة ثلاثة ايام استعدوا خلالها لمواصلة الهجوم واتخذوا من هذه الجزيرة قاعدة لهم في غزواتهم الداخلية وجعلوها معسكرا لهم بالاندلس[22] ويصف ابن القوطية[23] ذعر السكان من هؤلاء النورمان بقوله "ففروا بين ايديهم، وأخلى أهل أشبيلية وفروا منها الى قرمونة والى جبال اشبيلية، ولم يتخلف احد من اهل المغرب مقاتلتهم، فاستنفر الناس بقرطبة ومن والاها، وخرج الوزراء بأهل قرطبة ومن جاورها الى النورمان وقد كان استنفار أهل الثغر من أول حركة المجوس عند احتلالهم سواحل غرب الاندلس، وأخذهم الى لشبونة، فحل الوزراء ومن معهم في قرمونة ولم يقدروا على مقارعة القوم لشدة شوكتهم حتى قدم عليهم أهل الثغر".

ففي 12 محرم من عام 230هـ/ 844م تقدم النورمان نحو قرية قورة*، تبعد 12ميلا عن اشبيلية فدارت بينهم وبين الاندلسيين الذين بادلوهم بمعركة عنيفة، انسحب الاندلسيون على أثرها بعد أن استشهد كثير منهم وأقاموا النورمان بقية يومهم فيها[24] وفي يوم 13 محرم هاجم النورمان حصن طلياطه[25] الذي يبعد ميلين عن اشبيلية، فقد هاجموا الحصن ليلا، وفي الصباح ظهروا في مدينة اشبيلية وتحصنوا في موضع الفخارين، فخرج اليهم أهلها وقاتلوهم قتالا شديدا، انسحب الاندلسيون على أثرها ومضى النورمان بمراكبهم حتى نزلوا من مدينة اشبيلية[26] ففر أهلها الى قرمونة ذعرا مما مكن النورمان من دخول هذا الجزء من المدينة [27] في الوقت الذي أبدت المدينة مقاومة عنيفة، وبعد أن أحرقت المراكب الاشبيلية التي ارسلت لتوقف تقدم النورمان، انتهت باستيلاء النورمان عليها، وحل النورمان في المدينة[28]

وفي اليوم الرابع عشر من محرم بعد معركة حامية، استشهد فيها الكثير من

الاندلسيين "ولم يرفعوا السيف عن كل ذي روح ظفروا به من الرجال والنساء والصبيان والدواب والانعام والطيور وكل ما تناولته سيوفهم وسهامهم"[29].

ودخلوا بذلك حاضرة اشبيلية، بعد أن انسحب الاندلسيون من اهلها الى مدينة قرمونة وجبال اشبيلية لتنظيم امورهم والاستعداد للجهاد، فأقام النورمان بها يوما وليلة ثم عادوا الى مراكبهم[30] بينما يذكر بن سعيد بأن المجوس "حلت على اشبيلية وهي عورة فدخلوها واستباحوها سبعة أيام"[31]، ثم غادروها وعسكروا في ضاحيتها طلياطة في الوقت الذي حملت فيه سفنهم الغنائم والاسرى، وأرسلوها الى جزيرة القبطيل، وعادوا ثانية الى اشبيلية[32] فلم يجدوا فيها أحدا باستثناء جماعة من أتقياء الشيوخ في المسجد فقتلوهم فسمي ذلك المسجد "مسجد الشهداء" منذ ذلك الحين.[33]

وقد وصف لنا ابن القوطية ما فعله المجوس بجامع اشبيلية وصفا اسطوريا بعض الشيء ولكنه يصور لنا أفعالهم في البلد والوضع الذي خلفوه في نفوس أهل الاندلس قال "وكان عبد الرحمن بن الحكم يرى في نومه عند تمام جامع اشبيلية أن يدخله فيجد النبي صلى الله عليه وسلم ميتا مسجى في قبلته، فأنتبه مغموما، فسأل أهل العبارة عن ذلك، فقالوا: هذا موضع يموت دينه، فحدث فيه اثر ذلك ما كان من غلبة المجوس على المدينة... وحدث غير واحد من شيوخ اشبيلة انهم كانوا يحمون سهامهم من النار، ويرمون بها سماء المسجد، فكان اذا احترق ماحوله السهام سقط، وأثار السهام في سمائه الى وقتنا هذا ظاهرة، فلما يئسوا من احراقه جمعوا الخشب من أحد البلاطات ليدخلوا النار وتتصل بالسقف"[34].

ان سرعة استيلاء النورمان على اشبيلية يرجع الى عدة اسباب:

1- عندما هاجم النورمان مدينة اشبيلية لم يكن بها حصون ولم تكن مسورة وهذا ما جعل ابن سعيد يصفها بانها "عورة"[35] ولعدم وجود تلك التحصينات لم يتمكن أهلها من المقاومة.

2- ان الذعر الذي اصاب أهل أشبيلية والذعر الذي دخل قلوبهم جعلهم يفرون منها الى قرمونة والى جبال اشبيلية[36] ولعدم وجود الاستعداد التام للدفاع عن المدينة كما يتطلب وظنوا بان النورمان لن يتوجهوا نحو الداخل، الامر الذي أتاح للنورمان الدخول والاستيلاء عليها ولعل الاضطراب الذي حل بأهالي أشبيلية جعل ابن عذاري يقول بأن أخبارهم "ملأت القلوب شجوا وشجونا"[37]

3- السرعة التي وصل بها النورمان للغزو كانت شبه مفاجأة اذ لم تستغرق المدة سوى ثلاثة أيام من جزيرة القبطيل من مدخل الوادي الكبير حتى مدينة أشبيلة، علما بأن النورمان خاضوا معركتين الاولى عند قرية قورة والثانية في موقع الفخارين.[38]

4- ان النورمان كانوا ذو قوة لايمكن الاستهانة بها فهذا ابن القوطية يقول "فحل الوزراء ومن معهم بقرمونه ولم يقدروا على مقارعة القوم لشدة شوكتهم"[39] كما وقد وصفوا بأن "لهم شدة وبأس وقوة وجلد في ركوب البحر"[40] مما جعل أهل المدينة يفرون الى الجبال والوديان المجاورة لها لحين وصول الامدادات من مناطق الاندلس الاخرى.

5- استخدام النورمان فرقا من الخيالة استخدموها في عملية احتلال اشبيلة مما سهل عليهم السيطرة عليها[41].

اما هزيمة النورمان ودور الاندلسيين من أهالي الثغر الادنى فقد استنفر الامير عبد الرحمن بن الحكم الثغور الاندلسية، من بداية نزول النورمان سواحل الثغر الادنى واحتلالهم أشبونة (لشبونة)، كما استنفر أهل قرطبة وبقية المدن الاندلسية الاخرى لمقاومة هذا الغزو المفاجيء، فأرسل أول الامر على الفور جيشا بقيادة الحاجب عيسى بن شهيد الذي كان يقود فرقة الخيالة من جيش قرطبة[42] وأردفها الامير بجيوش أخرى، تقدمت الجيوش نحو قرمونة والتي تؤلف من فرقة الخيالة جيشا واحدا واتخذوا من موضع قريب من اشبيلية مقرا لقواتهم يعرف "الشرف"[43]

ولما عرف النورمان بقدوم الاندلسيين بدأوا بقتالهم، وثبت الاندلسيون في مواضعهم حتى هزموا النورمان وقتلوا منهم نحو سبعين رجلا وطاردوهم حتى دخلوا مراكبهم، ولكن توقف الاندلسيين عن قتالهم قد فوت فرصة ثمينة من النصر[44] وأعطوا لهم الفرصة لتجميع فلولهم والاستعداد لجولة ثانية وهذا التهاون أغضب الامير عبد الرحمن بن الحكم مما جعل على قيادة الجيش محمد بن سعيد بن رستم[45] الذي مضى فيمن ضم اليه من الجيش فورا، حتى نزل مدينة أشبيلية[46].

تجمعت الجيوش الاندلسية في قرمونة "فحل الوزراء ومن معهم بقرمونة ولم يقدروا على مقارعة القوم لشدة شوكتهم، حتى قدم عليهم أهل الثغر، وقدم من أهل الثغر موسى بن قسي استلطاف عبد الرحمن بن الحكم له وتذكيره له بولائه للخليفة الاموي الوليد بن عبد الملك (86-96هـ/ 705-715م) واسلام جده على يديه، فلان بعض اللين وقدم في عدد كثيف، فلما قابل قرمونة، انعزل عن سائر أهل الثغر وعن عسكر الوزراء"[47].

وعلى الرغم من وصول قوات الثغر بقيادة موسى بن قسي الى مشارف اشبيلية، الا انه لم يشترك مباشرة مع القوات الاندلسية بقيادة محمد بن سعيد بن رستم، وانما آثر الانفراد والقيام بأعمال حربية أخرى، لكن هذا الانعزال لقوات موسى عن القوات الاندلسية التي يقودها بن رستم لايعني انه ليس هنالك تعاون، ربما كان هذا مخطط له من قبلهم لاضعاف قوة الغزاة وقطع الاتصال للغزاة وسراياها الخارجية.

اجتمع موسى بن قسي فور وصوله بالوزراء، ووضع خطة عسكرية لمهاجمة النورمان، كما وانه قام بعملية استطلاع لأماكن تواجد العدو وقد اتخذت عملياته الطابع السري لصعوبة الملاحة في مجرى الوادي الكبير بين اشبيلية وقرطبة، وقد غنم خيول كثيرة أثناء حملاته نحو المناطق البرية المجاورة والى جهة قرطبة ومورور[48]

بدأ الجيش عملياته الحربية ضد النورمان وفق الخطط الموضوعة تجاه ذلك وقد اتخذ الجيش من كنيسة قديمة في الجهة الجنوبية من اشبيلية مرصدا لرصد تحركات العدو، وفي الصباح خرجت طائفة من النورمان تقدر بحوالي ستة عشر ألفا، يريدون التقدم نحو مورور، فلما وصلوا القرية، اشار الراصد بعدم مهاجمتهم حتى يبعدوا عن القرية فلما كان الامر كذلك، نهضت اليهم الكمائن وحملوا السيف في رقاب النورمان وتم قتل الكثير ففروا الى مراكبهم[49].

وان الهجوم على اشبيلية من جهة وتدمير القوة التي ذهبت الى مورور من جهة اخرى، اضعفت معنويات النورمان فقد تخلخلت صفوفهم فقرروا الانسحاب من اشبيلية الى مراكبهم الا ان ابن رستم لم يكتف بخروجهم من اشبيلية بل قرر متابعتهم وكله تصميم على الحاق الهزيمة المرة بقواتهم وفي هذا

يقول العذري[50]" فاتبعهم ابن رستم ونزل عليهم يوم الثلاثاء لليلتين خلتا من ربيع الاول ونصب عليهم المجانيق، وقد عمم عليهم في ذلك اليوم نصر الفتى بالمدد من قرطبة، وأنهض الناس لمحاربة المجوس من كل جهة، فناشبوهم القتال وكادت هزيمة المسلمين تستحق فترجل محمد بن رستم وترجل الناس معه وادخل الرجال بين العدو والنهر الاعظم فحالوا بينهم وبين المراكب، فانهزم المجوس وقتل منهم نحو خمسمائة علج واصيبت لهم أربعة مراكب بمن فيها، فأمر ابن رستم باحراقها وبيع مافيها من الفيء وأقام من معسكره ذلك".

ان رواية ابن عذاري بجعل تاريخ المعركة يوم 25 صفر بدلا من 2 ربيع الاول، ويضيف ان المجوس خسروا في هذه المعركة ثلاثين مركبا[51].

من يلاحظ ان تصميم القوات العربية الاسلامية كانت مصممة على قتال الغزاة وملاحقتهم، كما وقد نجح العرب المسلمين من جر الغزاة الى البر بعد ان حال بينهم وجودهم في مراكبهم، الامر الذي أربك الغزاة فخسروا أعدادا كبيرة من رجالهم برا واعدادا كبيرة من مراكبهم.

وبعد معركة طلياطه لجأ النورمانيون الى مراكبهم وبقيت القوات العربية الاسلامية "أياما لايصلون الى المجوس لانهم في مراكبهم"[52] وهذا ما يدلل على ضعف القوات العربية الاسلامية في البحر وعدم امتلاكها لأسطول وهذا ما تلافته الدولة فيما بعد.

وقد استمر المجوس يجوبون الوادي الكبير بين طلياطة وقبطيل، ثم خرجوا من جهة النهر الذي يلي لبله وامعنوا في الشرق فتعرض لهم المسلمون بقيادة امير الجيش في تلك الناحية عبد الله بن كليب بن ثعلبه فآثر المجوس النورمان الى الانسحاب الا أنهم أصابوا في هذه الناحية سبيا وغنائما[53].

فاتجهوا الى شذونه فدخلوها وأقاموا فيها يومين[54] وفي هذا الاثناء واصل الامير عبد الرحمن بن الحكم الامدادات فأرسل خمسة عشر مركبا محملة بالمقاتلة والعدة، فنزلوا اشبيلية فلما أحسوا بها المجوس تراجعوا الى لبله ثم مضوا الى ان وصلوا باجه ومنها الى المدن ثم انتقلوا الى اشبونه فأقلعوا منها وانقطع خبرهم.[55]، وهكذا تخلصت الاندلس في جهاتها الغربية من خطر داهم ترك بصماته وآثاره الواضحة في الاندلس.

مما تقدم يمكننا تسجيل الملاحظات والنتائج التي أفرزها غزو النورمان الاول:

1. لم يكن النورمان كما صورتهم المصادر التاريخية مجوس وانما كانوا وثنيين عبدوا الظواهر الطبيعية كالنار والنجوم وغيرها [56].

2. كان غزو النورمان للسواحل الاندلسية مفاجأة لم تكن في حسابات الاندلسيين وبنفس الوقت فلقد أثبت الامير عبد الرحمن بن الحكم حسن ادارته للامور وقدرته على مجابهة الشدائد وهو أهلا للمسؤولية وقد بينا كيف تابع مجريات الامور وذلك من خلال ارسال فتاه "نصر" لمقارعة الاعداء ومن ثم الاستعانة بموسى بن قسي رغم خروج الاخير عن الطاعة وذكره باسلامهم على يد الخليفة الاموي الوليد بن عبد الملك ومن ثم استجابة موسى للامير عبد الرحمن بن الحكم، فحق له أن يستبشر باندحارهم وقد أرسل الى الآفاق يخبرهم بذلك، حتى انه ارسل "الى من بطنجه من منهاج يعلمهم بما كان من صنع الله في المجوس وبما أنزل فيهم من النقمة والتهلكة وبعث اليهم برأس أميرهم وبمائتي رأس من أنجادهم"[57].

3. رأينا كيف كانت منطقة الثغر الادنى الساحلية قبل هجوم النورمان وعدم تفكير الاندلسيين بأنه يوجد خطر يهددهم من هذه الجبهة لكن بدخول النورمان هذه المنطقة أصبحت جبهة ساحلية قريبة لمقاومة هجمات النورمان فأنشأ عبد الرحمن بن الحكم التحصينات الحربية وأكثف حاميتها[58].

4. نتيجة لتعرض اشبيليه لهذا الهجوم أولى الامير عبد الرحمن بن الحكم اهتماما وعناية خاصة بمدينة اشبيليه كبرى المدن الاندلسية، وأدرك الامير أن عدم وجود حصن أو سور للمدينة كان سببا في سرعة اقتحام الغزاة لمدينة اشبيليه لهذا أمر بتسويرها ويذكر ابن القوطية أن الوزراء أشاروا على الامير عبد الرحمن بن الحكم "بنيان سور اشبيليه"[59]، ويبدو أن فكرة بناء السور قد وصلت الى أسماع عبد الملك بن حبيب الفقيه الاندلسي المعروف لدى الامير عبد الملك بن الحكم فأيد الفكرة وأفتى بأولوية بناء السور على اتمام الزيادة في المسجد الجامع بقرطبة يقول ابن حيان "كتب عبد الملك بن حبيب الى الامير عبد الرحمن بن الحكم اثر محنة اهل اشبيليه وتحصينها ورافق ذلك ايام شروع الامير الامير عبد الرحمن في بنيان زيادة بالجامع بقرطبة المشهور بها، وذكر له في كتابه أن بنيان سور مدينة اشبيلية وتحصينها اوكد عليه من بنيان الزيادة في المسجد الجامع، فعمل برأيه من بنيان سور مدينة اشبيليه"[60] وقد اوكل الامير مهمة البناء الى عبد الله بن سنان احد المقربين اليه، فانجز عبد الله بناء السور وكتب اسمه على ابوابه[61] وقد وصف هذا السور بانه كان محكما ومبنيا بالحجر[62].

5. كما وقد أنشا الامير عبد الرحمن بن الحكم الرباطات على السواحل الغربية للثغر الادنى وجعلها مراكز للجهاد[63] يقيم فيها المرابطون والحراس وقد زودت بالمنائر والتي عرفت "بالطوالع"[64].

6. ان الثغر الادنى منطقة ساحلية ولغرض حماية منطقته لابد من اقامة اسطول بحري قوي لحمايتها، وقد أشار ابن القوطية الى هذه النتيجة في سياق كلامه عن أعمال الامير عبد الرحمن بن الحكم واستعداداته حيث قال "واستعد الامير عبد الرحمن بن الحكم فأمر باقامة دار صناعة في اشبيلية، وأنشأ المراكب واستعد برجال البحر من سواحل الاندلس فألحقهم ووسع عليهم بآلات النفط"[65]. وقد عد حسين مؤنس هذه المبادرة على جانب عظيم من الاهمية اذ ان ميلاد البحرية الاندلسية الحربية تمت من خلالها[66] وهذا الامر لم يكن كذلك لأن صناعة السفن وبناء المراكب في الاندلس بدأت منذ أيام الامير الحكم الربضي (180-206هـ).[67]، وبفضل ذلك اصبح الاسطول الاندلسي الكبير يمتلك مئات المراكب[68] وأصبح عصر القوة الحقيقية للاندلسيين في البر والبحر[69] وهذا كان له الاثر الايجابي في هزيمة النورمان بفعل قوة الاسطول الاندلسي والسرعة الفائقة والجدية في بناء البحرية الاندلسية كما سنرى حين عاد النورمان مرة ثانية الى غزو السواحل الاندلسية.

7. ومن النتائج المترتبة على غزو النورمانيين للاندلس وأثره فيهم فيما بعد، تبادل الوفود وهنالك رواية واحدة تشير الى تبادل السفارة بين الامير عبد الرحمن بن الحكم والملك هوريك ملك النورمانيين بالدنمارك، حيث أورد الرواية ابن دحيه[70]، أن ملك الدنمارك هو الذي أرسل الى الامير عبد الرحمن بن الحكم وفدا لطلب الصلح على أثر فشلهم وهزيمتهم في الاندلس، فاستقبل الامير عبد الرحمن بن الحكم وفدهم ورحب بعقد الصلح معهم وقرر ارسال سفارة الى بلاد النورمان ردا على سفارتهم لتسوية العلاقات بينهما برئاسة يحيى بن حكم البكري الجياني المعروف

"بالغزال"[71]، وقد انفرد بذكرها ابـن دحيـه[72] ووصـفها وصـفا مضـطربا، تشبه في تفاصـيلها رحلـة الغـزال الى النسـيم وهـذا التشـابه أثـار الشـك والالتباس لدى المؤرخين عن مدى صحة سفارة الغزال الى النورمـان[73]، وقد تناول سفارة الغزال هذه الى ملك الدنمارك عدد من الباحثين المحـدثين من أبرزهم حسين مؤنس، ومحمد صالح، حيـث أوردا روايـة ابـن دحيـه وناقشاها باسلوب علمي وردا على بروفنسال الذي عدها اسطورة وانكـر قيامها، فأكدا قيامها وكونها حقيقة تاريخية ثابتة[74].

8. ان غزو النورمان وكما قلنا في السابق مفاجئاً لكنـه بـنفس الوقـت ايقـظ المسلمين الاندلسيين وجعلهم مهيئون لدرء الاخطار القادمة مستقبلاً فقـد استفادوا من تجربتهم السابقة مما جعل البحر محروسـا ومراكـب المسـلمين معدة تجري وتجوب البحر وهذا مالاقه النورمان اثناء الحملة الثانية.

9. ومن النتائج التي لابد الاشارة اليها في احـداث الانـدلس، هنالـك امـران الاول استغلال موسى بـن قسـي لتوسـيع نفـوذه في الثغـر الاعلـى رغـم اسهامه في طرد النورمان، والثاني ظهور القائدان بن رسـتم ونصـر الفتـى كمنقذين للاندلس.

3. غزو النورمان الثاني

غزا النورمان للمرة الثانية السواحل الاندلسية الغربية في عهد الامير محمد بن عبد الرحمن (238-273هـ- 852-886م) في سنة 245هـ/ 859م[75] في حـين جعلها بعض المؤرخين الاندلسيين انه تم غزو سنة 244هـ[76] اي بعـد مـدة مـن الهـدوء والأمـن الـتي سـادت السـواحل الاندلسـية بعـد هـزيمهم الاولى سـنة 230هـ/ 844م والتي تم بموجبها توقيع معاهدة الصلح والسلام بـين الامـير عبـد

الرحمن بن الحكم مع ملك النورمان ونتيجة لتحولات الامور الكثيرة من كلتا الجهتين حالت دون استمرار معاهدة السلام. ففي الاندلس توفي الامير عبد الرحمن بن الحكم في سنة 238هـ/ 852م وفي سنة 239هـ/ 853م توفي ملك النورمان، وسادت الفوضي وعدم الاستقرار داخلهم واخذت اساطيلهم على معاودة ممارستها الاولية القرصنة والغزو في المناطق التي كانت تقع تحت نفوذهم[77] ونتيجة هذه الفوضى أن تحرر قرصان النورمان من كل قيد.

واستنادا الى اقدم الروايات التي تذكر غزوهم الثاني وماترتب عليه من نتائج رواية ابي حيان بقوله "وفيها خرج المجوس- لعنهم الله تعالى- الى ساحل الغرب من ارض الاندلس، وهو خروجهم الثاني، خرجوا في اثنين وستين مركبا، فألفو البحر محروسا ومراكب الامير محمد فيه جارية ما بين حائط افرنجة من الشرق الى اقصى حائط غليسية من الغرب، وتقدم من مراكبهم مركبان تلقتها المراكب المنصوبة الجارية من حائط جليقية من بعض مراسي كورة باجه فغنمتها بما كان فيها من مال ومتاع وعدة وسبي"[78].

اما رواية ابن عذاري فهي وافية ايضا في هذا المقام فهي تقول "خرج المجوس ايضا الى سواحل البحر بالغرب من اثنين وستين مركبا، فوجدوا البحر محروساً ومراكب المسلمين معدة تجري من حائط افرنجة الى حائط جليقية في الغرب الاقصى، فتقدم مركبان من مراكب المجوس فتلاقت بهم المراكب المعدة، فوافوا هذين المركبين من بعض كور باجه فأخذوها بما كان فيها من الذهب والفضة والسبي والعدة"[79].

وتهمنا تلك الروايتان من ان شدة التحسب والحراسة الدقيقة الشاملة التي كانت لدى الاندلسيين في بحارهم الشمالية وبالرغم من معاهدة الصلح والسلام

التي تمت مع النورمان في عهد الامير عبد الرحمن بن الحكم والتي نقضها النورمان لكن الاندلسيين كانوا يتوقعون عودتهم ودرسوا هذه المشكلة النورمانية فاحاطوا طلائع من سفنهم لتراقب حركاتهم، فعندما تقدم مركبان من مراكب الغزاة باتجاه السواحل الاندلسية بقصد الاستطلاع كما يبدو كان الاسطول الاندلسي بالمرصاد لهم فاوقعهما في كمين ومع هذا فقد نجح النورمانيون من التقدم باتجاه الساحل الغربي للاندلس وهم يحملون معهم الرعب والفزع لسكان هذه المنطقة الا ان هذه المرة لم تكن عناصر المباغته متوفرة لديهم بدليل ان الجيش الاندلسي خرج لملاقاتهم وقد قام الامير محمد بن عبد الرحمن اطلاق سراح لب بن موسى بن قسي الذي كان رهينة في قرطبة وعينه قائداً لاحد الجيوش وأرسله الى اشبيلية[80].

ويبدو ان الطابع العام لغزوات النورمان هو النهب والتخريب مع تحين الفرص للاستيطان في الاماكن التي يغزونها، فقد كان ظهور النورمان في بادي الامر عند سواحل اشتوريش، وجليقيه[81] ولم ينجحوا في غاراتهم هذه ولم يحصلوا الا على اليسير من الغنائم والسبي، الامر الذى ادى بهم الى ترك اشتوريش والتوجه نحو سواحل الاندلس الغربية، كما بينا ان قدوم النورمان والتوجه الى الثغر الادنى وجدوا الثغر بخلاف عهده في ممارستهم الاولى أيام الامير عبد الرحمن بن الحكم، فقد ذكر ان الامير محمد بن عبد الرحمن انشأ في البحر سبعمائة غراب[82] وان جيش الاندلسيين بلغ ايام الامير محمد الى مائة الف فارس، منهم عشرون الفا بدروع الفضة[83] ويواصل ابن حيان، روايته فيقول "وفضت مراكب المجوس في الريف حتي أنتهت الى مصب نهر أشبيلية وما يليها، وذهب الرعب لهم كل مذهب، وبادر الامير محمد باخراج الجيش الى الغرب واستنفار الناس الى العدو الطارق، فنفروا من كل أوب، وكان القائد

لجيش السلطان نحوهم عيسى بن ابي عبيدة الحاجب، وتقدمت مراكب الكفرة عن اشبيلية[84].

ولم يذكر ابن حيان مادار وما حدث عن الاستعداد الشعبي لملاقاة النورمان سوى انه ذكر خروجهم من اشبيلية، لكن ابن القوطية يروي لنا ماحدث حيث يقول "فلما قدموا القدمة الثانية سنة اربع واربعين ومائتين من ايام الامير محمد تلقوا من حوض نهر اشبيلية من البحر، فهزموا فحرقت لهم مراكب فانصرفوا"[85]. وهذا مايؤكد ويدلل على ان اولى معاركهم مع الاسطول الاندلسي باءت بالفشل والخسران فقرروا الانسحاب من امام اشبيلية.

وقبل ان نواصل عرض الرواية التي اوردها ابن حيان لابد ان نذكر ان النورمان هاجموا سواحل وادي تاجة والمنطقة الواقعة الى الجنوب منه فتصدى لهم سعدون بن الفتح الذي كان متمردا مابين وادي تاجه ومدينة قلمرية فكانت له معارك حاسمة وخطوب عظيمة في جهاد النورمان الذين استطاعوا في نهاية المطاف اسره، ثم اطلق سراحه لقاء مبلغ في المال[86]، ثم ذكر ابن حيان تكملة لهجومهم الى اشبيلية فيقول بروايته "وتقدمت مراكب الكفرة من اشبيلية فاحتلت الجزيرة الخضراء، وتغلبت على الحاضرة فاستباحتها واحرقت المسجد الجامع"[87]، وهذا ما يدلل على ان النورمان قد وطئوا الارض هذه المرة ايضا واستباحوا حاضرة الجزيرة الخضراء وحرقوا مسجدها ويقول الحميري "انهم قاموا بغرس راياتهم في مسجد اخر بالجزيرة الخضراء بقصد اذلال وايذاء الناس والتاثير على مشاعرهم وان هذا المسجد سمي الرايات وان له بابا من خشب سفن المجوس"[88]. وقد نستبعد هذه التسمية فقد عرف مسجد الرايات بالتاريخ الاندلسي من اول الفتح الذي تم بقيادة الوالي موسى بن نصير وقد وقع خلط

لدى الحميري فاطلق هذه التسمية لكن من الممكن ان يكون له باب من خشب سفن المجوس.

المهم من كل هذا ان النورمان انسحبوا من الجزيرة الخضراء بسرعة بفعل مقاومة السكان[89]، وبعد هذا يقول ابن حيان "ثم اقلعت مراكبهم عن بر الاندلس تطلب العودة واحتلتها واستباحت اريافها، ثم عادت الى ريف الاندلس الشرقي"[90] حتى انصرفوا الى ريف بحر الاندلس، وقد ذهبت من مراكبهم اكثر من اربعين مركباً، ولاقتهم مراكب الامير محمد فأصابوا مركبين من مراكبهم[91]، وبعد هذه المعركة عاد النورمانديون الى بلادهم سالكين الطريق نفسه التي جاءوا منها وقد اورد بن حيان عودتهم فقال "ثم مضت مراكب المجوس مصمدة حتى انتهت الى حائط بنبلونة، فاستغارت عن البشكنس واصابوا منهم واسروا غرسية بن دفقة اميرهم فافتدى منهم بسبعين الفاً، ارتهنوا في بعضها اولاده وخلوا عنه وقد كانوا اسروا من اول ظهورهم بناحية باجة عبد الملك وعبد الله بن محمد بن سلمة، فاطلقوا عبد الله ومضوا بعبد الملك اخيه معهم[92].

وفي مقام حديثنا عن هجوم النورمان الثاني على السواحل الاندلسية يتبين لنا:

1. ان مدى الاستعداد والتهيوء لمقاومة المخاطر كانت على درجة من الدقة والتحسب من سواحل الاندلس الغربية حيث كانت السفن تجوب المياه خارج سواحلها، بغية القيام بحركة الاستطلاع والتذكير والحذر لقدوم الاعداء.

2. كانت حركة الاستطلاع هذه الاثر الكبير في اسر مركبين من مراكب النورمان[93]، اذ ان الاسطول الاندلسي، علم بقدومها مما حدا به الى

نصب الكمائن لاسرهما "وتقدم من مراكبهم مركبان تلقتهما المراكب المنصوبة"[94].

3. ان عملية الاستعداد والتهيوء هذه افقدت النورمان عنصر المباغته من الهجوم مما جعل هجماتهم على السواحل الاندلس الغربية محدودة وقليلة التاثير [95].

4. عدم تمكن النورمان في اجتياز مجموع النهر الكبير كما فعلوا في غزوتهم الاولى في سنة 229هـ/ 843م في الوقت الذي وصلت فيه مراكبهم الى مصب النهر المذكور، وهذا يدل على قوة الاسطول في حماية سواحل الاندلس الغربية.

5. ان القوات البرية التي ارسلت من قرطبة الى اشبيلية كان لها الاثر الفعال في هزيمة النورمان، اضافة الى جهود الاسطول الاندلسي. وبعد هذه الغارات التي شنوها اثناء رحلة العودة الى بلادهم لم تروي لهم عن غارات اخرى اذا اثروا الاندلس الى بلادهم.

ولابد من الاشارة الى ان الاندلسيين قد استفادوا واعتبروا من الغزو الأول واحتاطوا لكل طارىء جديد.

4. غزو النورمان الثالث (247هـ/861م)

لم يمض سوى سنتين على غزو الثاني، حتى عادوا الكرة من جديد بالاغارة على السواحل الاندلسية الغربية، والنورمان كما بينا يغلب عليهم روح المغامرة والنهب والسلب، وهذا هو المألوف والغالب في جميع غزواتهم، اذ ان الطابع العام هو النهب والتخريب مع تحين الفرص لهم والاستقرار في بعض

الاجزاء من اوربا، فأن الاندلس كانت ابعد من ان ينالوا منها شيء، لانها كانت اقوى منهم وتصميم اهلها على مقارعة الغزاة والتصدي لهم كان كبيرا فكان الشعب وكانت الارادة، فكان النصر حليف الاندلس.[96] ويبدو ان الاندلس بنعمها وخيراتها هي التي اجبرتهم من العودة مرة اخرى... ويذكر العذري[97] "وفي سنة سبع واربعين ومئتين ظهرت مراكب المجوس من البحر، فكتب الى عمال الساحل بالاحتراس والتحفظ، فعطب بعضها من ناحية البحيرة من الجزيرة، وكتب بذلك العامل على الجزيرة مطرف بن نصير الى الامام محمد، ونجا باقي المراكب الى جهة افرنجة".

ويذكر ابن حيان "كان خروج المجوس الى الاندلس، فلم يكن لهم في هذه الكرة من الانبساط من البحر والاضرار باهل السواحل ماجرت به عادتهم، ولم يجدوا من السواحل مطمعا لشدة ضبطها، ولاقو مع ذلك من البحر هولا عطبت له من مراكبهم اربعة عشر مركبا بناحية البحيرة من الجزيرة فنكبوا عن حائط الاندلس واعتلوا الى جهة الافرنجة، فلم يلقوا ظفراً، واسرعوا الانصراف الى بلدهم بالخيبة، فلم يكن لهم بعد الى الاندلس الى اليوم عودة"[98].

ظهر النورمان امام سواحل الاندلس الغربية من عهد الامير محمد من اسطول يتكون من ستين مركباً[99] يبتغون فرصة سانحة للنزول الى السواحل الاندلسية ولكن الامر لم يكن كذلك " فلم يكن لهم في هذه الكرة من الانبساط في البحر والاضرار باهل السواحل ماجرت به عادتهم، ولم يجدوا في السواحل مطمعا لشدة ضبطها"[100] فقد اتخذ اهل الاندلس الاحتياطات اللازمة لحماية سواحل الاندلس بعد الغارتين المذكورتين انفا فاسرع الامير محمد بن عبد الرحمن الى تحرير "الجيوش نحوهم واستنفر الناس اليهم، وقدم كليب بن محمد بن ثعلب في كثيف من الرجال الى الجزيرة واخرج اثيره الحاجب عيسى بن الحسن بن ابي

عبيدة الى اشبيلية، واخرج عبد السلام بن عبد الله بن ثعلبة الى السرية، واكثف بهم العدو"[101]. ان مثل هذا الاحتراس والاستعداد على اكثر من جبهة، لملاقاة الغزاة قد وفرت عليهم الفرصة التي كانوا يتحينونها، فعندما تقدم اسطولهم الى جبهة اشبيلية وانتهى الى مصب نهرها في البحر تصدى لهم القائد عيسى بن الحسن بن ابي عبيدة ومن معه في الاسطول واجبرهم على الفرار[102] ثم ابحروا بعدها جنوبا بمحاذاة الساحل وباتجاه الجزيرة الخضراء بغية البحث عن ثغرة ينفذون منها الى الساحل الاندلسي، الا انهم وجدوه محروسا ولم ينجحوا من الحاق اي ضرر باهل الاندلس وفي هذا يقول ابن حيان " فلم يكن لهم في هذه الكرة من الانبساط في البحر والاضرار باهل السواحل ماجرت به عادتهم ولم يجدوا من السواحل مطمعا لشدة ضبطها"[103] وحين اقتربت مراكب المجوس النورمان في الجزيرة الخضراء، وبالتحديد من ناحية البحيرة[104] تعرضت الى عاصفة اعطبت اربعة عشر مركبا من مراكبهم[105] مما اضعفهم وحد من اندفاعهم وكتب عامل الجزيرة مطرف بن نصير الى الامير محمد بن عبد الرحمن بما حدث لهم[106] ولم يحققوا اي شيء من مهاجمة الجزيرة الخضراء او اي منطقة اخرى من السواحل الاندلسية، وعلى حد تعبير ابن حيان "نكبوا عن حائط الاندلس"[107]. الامر الذي ادى الى فشل الحملة الثالثة من تحقيق اهدافها في السلب والاستيطان وهذا ما اكدته رواية معاوية بن هشام التي اوردها ابن حيان " فالفوا البحر محروسا والمراكب تجري مابين حائط افرنجة من الشرق وحائط جليقة من الغرب"[108].

وقد عد الامير محمد بن عبد الرحمن العدة اللازمة لحماية سواحل الاندلس، بارسال الجيوش الثلاثة بغية تامينها من خطر مهاجمة النورمان. حاول النورمان النزول من السواحل عند مصب النهر الكبير لاجل القوافل نحو

اشبيلية، ولكنهم وجدوا البحر محروسا بالاسطول الاندلسي، ومدعوم من قوات برية، التي حالت دون وصولهم وادي النهر الكبير، واجبرتهم على الفرار حسب مايذكر عن معاوية بن هشام: "فزادهم عنها الحاجب عيسى بن الحسن بمن معه من الاسطول خشخاش وابن مثكوم عن اشبيلية"[109]. ويبدو هنا ان رواية معاوية بن هشام لم تكن دقيقة، اذ ان خشخاش صاحب الاسطول الاندلسي، قد استشهد من جهاد النورمان من غزوهم الثاني على الاندلس سنة(245هـ، 859م) الى قبل سنتين حسب ماذكر بن حيان "وحمو المجوس عند ذلك على خشخاش فاحرقوا به، وحاربهم في صدر مركبة داركا حتى استشهد رحمه الله"[110]. فقد اختلطت رواية بن حيان بين اخبار هذا الغزو والغزو الذي سبقه[111]. هزم النورمان من سواحل الاندلس الغربية ولم يحصلوا على شيء لمتانة جبهتها وحصانة حراستها، فانحدروا صوب الجنوب حيث الجزيرة الخضراء، وما ان اقتربوا منها عند ناحية البحيرة[112] حتى تعرضت مراكبهم لعاصفة كما ذكرنا سالفاً.

لم يحقق النورمان اي شيء من اهدافهم تجاه الجزيرة الخضراء وسواحل الاندلس الاخرى. كما حققوه في غزواتهم السابقة بدليل قول بن حيان "فنكبوا عن حائط الاندلس واعتلوا الى جبهة الافرنجة، فلم يلقوا ظفرا واسرعوا الانصراف الى بلدهم بالخيبة"[113]. وبعد هذه الغزوة لم نسمع عن غزو اخر لهم خلال عصر الامارة الا انهم عادوا الى مهاجمة السواحل الاندلسية في عصر الخلافة.

5. هجوم النورمان الرابع (247هـ/861م)

وبعد مضي خمس سنوات عاود النورمان هجومهم على الأندلس في حين

يذكر ابن خلدون ان ظهور المجوس سنة 354هـ بقوله "وظهرت في هذه السنة مراكب المجوس من البحر الكبير، وافسدوا لبسائط أشبونة وناشبهم الناس القتال، فرجعوا الى مراكبهم واخرج الحاكم القواد لاحتراس السواحل، وامر قائد البحر عبد الرحمن بن رماحس بتعجيل حركة الاسطول، ثم وردت الاخبار بان العساكر نالت منهم من كل جبهة من السواحل"[114].

ويلاحظ ان هناك اختلاف في ظهور النورمان في عهد الخلافة مابين 353-355هـ فربما ظهروا لعدة مرات خلال هذه السنوات. وعلى كل حال فان الخليفة الحكم ورجال اسطوله الاشداء كانوا على اتم الحذر واليقظة واهبة الاستعداد لمواجهة مراكب النورمان حيث خرج اليهم المسلمون وكانوا لهم بالمرصاد فالحقوا بهم هزيمة ساحقة، بعدها عاد الاسطول الاندلسي الى قاعدته باشبيلية وانصرف النورمان المجوس خائبين.

6. هجوم النورمان الخامس سنة (360هـ/970م)

في بداية رمضان من سنة 360هـ/ 970م ظهرت مراكب النورمان مرة اخرى على سواحل الأندلس الغربية وعهد الخليفة الحكم الى قائد البحر عبد الرحمن بن محمد بن رماحس بالخروج والتاهب لملاقاتهم ورد هؤلاء المجوس ومن هذا يقول ابن حيان "وفي صدر رمضان منها وقع الارجاف لتحرك المجوس الاردمانيين- لعنهم الله- وظهورهم في البحر الشمالي ورد لهم سواحل الأندلس الغربية على عادتهم، فانزعج السلطان لما سيق له خبرهم، وعهد الى عبد الرحمن ابن رماحس قائد البحر وهو صاخر بقرطبة بالخروج الى المرية والتاهب للركوب الى ناحية الغرب، فنفذ بامره يوم الاثنين لست خلون من شهر رمضان المؤرخ"[115].

وكان المجوس قد هاجموا الساحل الشمالي الغربي للاندلس ونزلوا ساحل جليقة من الركن الشمالي للجزيرة الاندلسية وغاروا على سنت برية لكنهم انصرفوا خائبين ومن هذا يقول ابن حيان: "ومن يوم السبت لخمس بقين منه دخل قرطبة سلس رسول القديس عند شلب بن مسرة بكتابه من مدينة لسترة من أدنى جليقة بتاريخ يوم الاحد لاثنتي عشر خلف من شهر رمضان يذكر دخول المجوس- اهلكهم الله- يوم السبت قبله وادي دويره، وذلك شطر النهار، وانهم خرجوا في الغارة الى شنتبرية وبسيطها، وانهم انصرفوا خائبين"[116]. فقد قتل النورمان هنا من ساحل جليقة وقد خدم هذا الفشل الاندلسيين انفسهم حيث ادى الى اتعاب وارهاق النورمان واقتص قوتهم وسهل على الاندلسيين مهمتهم من التصدي لهم فضلاً عن استعدادهم لهم وخدرهم وحيطتهم منهم.

لذلك انفذ الخليفة المستنصر بالله من العشر الاخيرة من شهر رمضان مباركا ومبشرا الى كورة شذونة الاطعمة منها وارسالها الى الاسطول من ساحل الغرب[117]. سار القائد عبد الرحمن بن محمد بن رماحس باسطوله من مدينة اشبيلية عائدا الى قاعدة المرية بعد ان وردت انباء تفيد بعودة سفن النورمان الى مناطقهم بعد ان عرفوا استعداد المسلمين لحربهم وبهذا الصدد يقول ابن حيان[118]: "وفي يوم الاثنين لاربع بقين من ذي القعدة منها وافى الخبر باقلاع صاحب الشرفة العليا قائد البحر عبد الرحمن بن محمد بن رماحس من مدينة اشبيلية بالاسطول منصرفا الى المرية عاقا عن اجرائه الى جهة المجوس الظاهرين من البحر الشمالي اذ وردت الانباء وتوالت بهزيمتهم وهربهم بعد اقدامهم من البحر الشمالي لايلوون على شيء... فولوا على اعقابهم ناكصين... خائبين".

ويبدو انه لم تحدث اية معارك بين الطرفين لانهم بمجرد معرفتهم بتأهب واستعداد المسلمين لهم هربوا خائبين، فقد ادركوا صمود الخليفة الحكم المستنصر

بحربهم. وحسن تدبيره عليهم بحيث جرد لهم القائد غالب بن عبد الرحمن مدير حروبه وتحريكه للاساطيل الثقيلة والذي لم يجرؤا على ملاقاتها.

7. هجوم النورمان السادس سنة(361هـ/971م)

بعد مضي عام على هجومهم الفاشل على سواحل الاندلس الغربية عاود النورمان هجومهم على هذه السواحل لتحقيق مالم يتم تحقيقه في المرة السابقة، ولما كان مصيرهم فيها الخيبة والفشل ففي "ليلة الجمعة لليلتين من صفر احتل الوزير القائد غالب بن عبدالرحمن بجملة فحص السرادق قافلاً من غزات الى سد الغرب التي تجول فيها، واشرف على الاردمانيين الجائشين في هذه السنة فاستركب اليه الجيوش يوم السبت بعدة من قصر قربة من التعبئة المنتظمة بالعدد الفخمة فيها الشرنج والالوية فتقدم وبين يديه المراكب على اجل هيئة واتم أهبة الى ان وصل قرطبة والخليفة يومئذ مقيم فيه فتوصل اليه وقعد بين يديه ملياً مفاوضاً له وسائلاً عن حركاته وتقلبه في غزاته التي كفى الله فيها المسلمين القتال وكان الله قوياً عزيزاً فخلع عليه وانلق الى داره محموداً سعيه"[119]

وعلى الرغم من انصراف اسطول النورمان عن متابعة غاراته على سواحل الأندلس وزوال خطرهم عنها فقد كان الخليفة مايزال يخشى عودتهم من جديد بأسطول لغزو هذه السواحل فلم يطمئن لعودتهم المبكرة الى بلادهم وظل يتوقع قدر مهم[120] وفي هذا يقول ابن حيان[121] "وفي يوم الخميس لخمس خلون من شهر رمضان منها استدعى الخليفة المستنصر بالله الى مجلسه الخارجي مع الوزراء اصحاب الخيل زياد بن أفلح مولاه وصاحب الشرطة هشام بن محمد بن عثمان فأمرهما بالتأهب للخروج هذا العام المجردة الى الغرب لما لايزال يتوقع من عادية المجوس الاردمانيين الطارقين له "عادا قائدا هذه من غزاتها الى

ساحل الغرب لتتبع اخبار المجوس الاردومانيين الذين عن مواجهة المسلمين عند سماعهم بخبر الاستعداد لهم براً وبحراً فأنقلبوا على وجوههم وجدوا في فتوحهم.[122]

ومن استعدادات الخليفة انه طلب احضار كل من القائد قيصر وسعد الجزري ورشيقا من وجوه موالي ابيه الناصر لدين الله، واسماعيل بن عبد الرحمن بن الشيخ وعبد الرحمن بن يوسف بن ارمطيل وعبد الرحمن بن ابي جوشن من اكابر الاحرار فامرهم بالتاهب للغزاة من الاسطولين المجهزين اسطول اشبيلية واسطول المرية وخلع على جميعهم ودفعت اليهم الصلات الوافرة فخرجوا من مدينة الزهراء الى مدينة اشبيلية [123]. فكان لحسن اعداد الحكم المستنصر من رسم الخطط لمعرفة اخبار الرومان واتخاذ كافة التدابير اللازمة لاحتياط الموقف اكبر الاثر من نكوص هؤلاء الانورمان وردهم على اعقابهم ومن عودة جيش الاسلام بعد ان كفى الله المؤمنين القتال

ان هجمات النورمان على سواحل الأندلس الغربية في عهد الخليفة الحكم المستنصر حفزته على بذل المزيد من الاهتمام والعناية بالاسطول فقد وزع وحدات جيشه على ثغور الأندلس حتى اذا ما اغار المورمان على ساحل من سواحلها تصدى له اقرب الاساطيل الى الساحل المذكور ريثما يتم تجميع بقية الاساطيل[124] وهذا ان دل على شيء فانما يدل عى سياسته الحكيمة وحسن تدبيره واستخدامه لافضل الاساليب التعبوية الهجومية[125]. وقد تعددت هذه الصوائف بحيث كانت تخرج كل عام كما تعدد الغرض منها[126].

وهكذا انتهت غارات النورمان على عهد الخليفة الحكم بعد ان اعد للامر عدته وكبح جماح عدوه، فصار يحسب له ألف حساب، وهذا بلا شك دليل على مكانة وعظمة دولة الاسلام من الأندلس ومدى ما وصلت اليه في عهده.

8. هجوم النورمان في عهد دول الطوائف (مأساة بربشتر 456هـ/1064م)

تذكر المصادر العربية[127]، ان النورمان والفرنسيين من اهل غالـة تقـدموا بجيش كبير قدر باربعين الف مقاتل او يزيديون وتوجهوا نحو مدينة وشـقة، الـتي تمثل قاعدة من قواعد مدينة سرقسطة المهمة وقد حاول النورمـان احـتلال تلـك المدينة، لكن بسالة اهلها استعصت عليهم دخولها، مما اخطروا للتوجه شرقا نحـو بربشتر وهذه المدينة لاتقل صمود ومنعة عن مدينة وشقه، وبربشتر تبعد حـوالي 60كم شمال شرق سرقسطة، وكانت حين ذاك احـدى المـدن التابعـة الى المظفـر يوسف بن هود والذي كان من تلك العقبة منتقلا في نزاع مع اخيه احمد المقتـدر حول ولاية العهد مما ادى هـذا الخـلاف الى فسـح المجـال امـام النورمـان ليقـوم بمحاصرة المدينة وقد دام ذلك الحصـار مـدة اربعـين يومـا عـانى خلالهـا اهـالي بربشتر القلق والخوف حيث ادى هذا الحصار الى قلـة الطعـام والمـاء ممـا وصـل الامر بهم الى ان يئسوا الحياة رغم ماجرت معارك عديدة خارج المدينـة لكنهـا لم تثمر عن شيء.

وقد ذكرت كتابات المؤرخين او ما نقل عن الاخـرين حـول هـذه المأسـاة يقول الحميري "وقد غزاهـا علـى غـرة وقلـة عـدد اهلـها وعـده، اهـل غـاليش والروذمانيون وكان عليهم رئيس يسمى البيطبين وكان من عسـكره نحـو اربعـين الف فارس، محضرها اربعين يوما حتى افتتحها وذلك سنة ست وخمسـين وأربـع مئة، فقتلوا عامة رجالها وسبو فيها مـن ذرارى المسـلمين ونسـائهم مـالا يحـص كثرة"[128]، فيما ينقل ابن بسام مـن ذخيرتـه فيقـول "أن جـيش الاردمـانين طلبـوا عليها ووالوا حصرها وجدوا قتالها طامعين فيها وقد اسلمهم اميرهم يوسف بن سليمان بن هود لخطبهم ووكلهم الى انفسهم وقعد عن النفير نحوهم، فاقام عليها

العدو منازلاً لاربعين يوما، ووقع بين اهلها تنازع على القوت لقلته ولما علم العدو بذلك جد من القتال فدخل الكفرة المدينة البرانية في الحملة باربعين الفا او يزيدون، واستمر الحصار اربعين يوما وجرت معارك عديدة خارج المدينة لما قلت الاقوات واشتد الصيف بالمدينة واستطاع النورمانديون بعد قتال عنيف اقتحام المدينة الخارجية وجرت معارك اخرى وتحصن المسلمون بالقصبة والمدينة الداخلية مصممين على الثبات حتى اخر رمق لكن حدث ان تعرض المهاجمون الى مكان مجرى الماء الارضي واشتد بالمدافعين العطش فعرضوا على النورمانديون التسليم بشروط فرفضوا ثم دخلوا المدينة ربما من شهر شعبان من العام عنوة واستباحوا المدينة الباسلة بكل مافيها ومن فيها وقدر عدد القتلى والاسرى بين اربعين ومئة الف ثم اعطى قائد الحملة الامان لكنه حين راى كثرة اهل المدينة امر جنده ان تقلل أعدادهم، حصاداً بالسيف، فأذبح ارضاً بستة الاف من الرؤوس، ثم انهم انتهبوا المدينة واحتلوا دورها لانفسهم وارتكبوا ابشع الجرائم فضلاً وهتكاً للاعراض، وكان الخطب اعظم من ان يوصف او ينقض"[129]. ويذكر ابن بسام[130] "ان النساء كن يصعدن الى اعالي سور المدينة، وينادين من يدنو منهن من جنود الاعداء، وقد علقن انية بحبال مدلاة نحوهم ويتوسلن بهم في سبيل جرعة ماء لهن ولاطفالهن، وكان جنود العدو يقايضون اناء الماء بما لديهن من مال اوحلية او كسوة" ويبدو ان شحة الماء كانت بسبب اغلاق العدو لمصدره.

وعندما لم يتقدم اي من الاخوين الحاكمين، احمد المقتدر ويوسف المظفر بأية مساعدة تذكر لانقاذ هذا الوضع المأساوي، بسبب انشغالهم بنزاع داخلي، ادت هذه الحالة الخلافية الى نتيجة تسليم المدينة من قبل اهاليها، على ان يعطوا الامان على حياتهم، مع تجريد كامل لما يملكونه، ويغادرو المدينة، فوافق النورمان

والفرنج على هذه الشروط وتم الاتفاق لكن العدو نقض عهده، اذ ان اهالي بربشتر لم ينج احدا منهم من الموت او التعذيب، حتى بعد ان اذن العدو لهم بالابتعاد عن المدينة، حيث كان الكثير منهم، لاسيما الشيوخ والاطفال وذلك بسبب الازدحام الشديد التي ضاقت به ابواب سور المدينة يتدلون بالحبال من اعالي السور فرارا من الازدحام على الابواب وتسابقا على شرب الماء وبعدها نودي فيهم مرة اخرى بالرجوع الى ديارهم ونال منهم الازدحام ماناله في اثناء خروجهم ولما استقروا قسم العدو ديارهم بما فيها من نساء واولاد وغنائم[131].

وتشير المصادر العربية[132] الى ان هذه الحملة خرجت من فرنسا الا انها كانت صليبية ويؤيد ذلك معظم المراجع الحديثة[133] ويرى المؤرخ هـ. و. ديفز[134] ان الخوف من تقدم المسلمين كان الحوافز الاساسية لنشوب الحرب الصليبية وتؤيد هذه الرواية التي ذكرها مع رواية رنسيمان التي تقول:ان مصرع راميرو الأول ملك اراغون في معركة حرادوس من احدى حملات الامير المسلم، احمد المقتدر بن هود، عام 455هـ/ 1063م قد اثار خيال اوربة فبادر البابا الاسكندر الثاني الى اصدار وعوده ببذل الغفران لكل من قاتل المسلمين من اسبانية، وشرع بتاليف جيش من اجل مواصلة عمل راميرو فكان وليم مونترا قائد جيش شمال ايطالية وابلس كونت روسي قائد جيش شمال فرنسة على ان اضخم جيش كان الذي جمعه جفري كونت اكيتانيا قائد الحملة[135]، واذا كانت حادثة سقوط طليطلة عام 478هـ/ 1085م قد اثارت مورخنا ابن الاثير[136]، وجعلته يضعها في مقدمة الحملات الصليبية فاننا نستطيع القول فان مأساة بربشير كانت اسبق وابعد عنها لصورة الفعل الصليبي من ابعاده العدوانية الحاقدة، وقد حصل الصليبين من الغنائم من حملتهم هذه على الشيء الكثير حيث قدرت حصة قائد الحملة نحو الف وخمسمائة فتاة عربية مسلمة ونحو

خمسمائة حمل من اوقار الامتعة من الحلي والكسوة وغيرها[137]، واختار العدو هدية الى امبراطور القسطنطينية، هي عبارة عن خمسة الاف فتاة عربية مسلمة[138]، واستغل اليهود هذه المأساة حيث عملوا وسطاء بين العدو وبعض اغنياء المسلمين، لاجل فدية بناتهم مقابل اموال معينة[139].

لقد أثارت هذه المأساة أهل الأندلس وثبت منهم القلق والخوف من المستقبل المجهول ولقد أوبائهم الوضع السياسي، فنرى ابن حيان يصب غضبه على حكام دويلات الطوائف، ووضعهم بانهم 'احتوى عليهم الجهل، واقتطعهم الزيف... واركستهم الذنوب... يعللون نفوسهم بالباطل'[140]. ورثا بربشتر الفقيه الزاهد، ابو محمد عبد الله بن العسال (ت487هـ، 1094م) بقصيدة نقل خلالها الوضع السياسي والاجتماعي المتدهور في الأندلس[141]، وكتب الاديب ابو محمد عبد الله بن عبد النميري (ت 458هـ/ 1065م)، رساله طويلة على لسان اهل بربشتر يشكون منها حالهم الى أخوانهم الأندلسيين[142].

وينقل لنا الحجي[143] استرجاع بربشتر بقوله: 'كان لهذه النكبة اثر كبير ومدى عميق في انحاء الأندلس كافة. قام تيار الدعوة الى الجهاد في انحاء البلاد الاندلسية واهتز لها الامراء والمقتدر بن هود- الذي يمثل الكثير من وزرها- في مقدمتهم ولبى الدعوة كثير، وسار المتطوعون من الجهات الى الثغر، جهاداً في سبيل الله، فاشرقت النفوس بمعاني الاسلام حين استشيرت، او علت الهمم حين تنادت بدعوة الاسلام، فاستجابت لندائه الخالد: ((لااله الاالله محمد رسول الله)) وهتافة الماجد ((الله اكبر))، قامت الامة المسلمة في وحدتها الايمانية تسير برسالتها السماوية، تستظل معاني الاسلام تستمدها من كتاب الله تعالى: القران الكريم، ومن سنة رسوله الامين صلى الله عليه وسلم، قائدها وامامها ابد الابدين متجهين الى الله وحده'.

ولقد اصاب أحمد المقتدر ما أصاب أهل الأندلس من الحزن والقلق على مستقبل البلاد، فشرع من القيام برد فعل مناسب يوقف به الزحف الصليبي على سرقسطة وبقيه بلاد الأندلس، كما ان انتقاد الاهالي له في تقصيره لنصرة بربشتر قد أثر سلبيا على سمعته السياسية والعسكرية، لذلك صمم على استرجاع المدينة، فكتب الى حاكم اشبيلة المعتضد بن عباد ان يمده بالمساعدة "فبعث اليه قائدا سمي معاذ بن ابي مرة بعسكر انتخبه واعده"[144]، قدر عدده بخمسمائة فارس[145]، كما اعلن دعوة الجهاد في عموم الأندلس " فحميت نفوس اهل الاسلام وجاء منهم خلق عظيم لايحصى عددهم ذكر انه وصل من سائر بلاد الأندلس[146]، وهو عدد لايستهان به في ظل ظروف ذلك العصر فحملوا على العدو حملة رجل واحد واستطاعوا ان يثاروا وينتزعوا المدينة من الصليبين[147]، وكان ذلك بعد سنة من احتلالها عام (457هـ/ 1065م)[148]، وكانت الغنائم التي حصل عليها المسلمون كثيرة قدرت بنحو خمسة الاف اسير والف فرس والف درع وغير ذلك من الاموال والثياب ويذكر البكري[149] "أن احمد بن هود لقب ب (المقتدر بالله) اثر هذا الانتصار الكبير".

ولقد كان استرجاع بربشتر على يد احمد المقتدر تاثيره على الفكر السياسي والعسكري لبني هود حيث بدأوا يطمحون في التوسع نحو البحر المتوسط محاولين ابتلاع الدويلات المطلة عليه وذلك من اجل تقوية نفوذهم والوقوف بامكانات اكبر امام اية محاولة صليبية اخرى.

الخلاصة

لقد توصلت الدراسة الى ان دور الاندلسيين في الانشطة الحربية البحرية كان دوراً كبيراً، كما هو دورهم في قتال أي عدو خارجي على الارض، وقد تتبعنا في دراستنا هذه عن تلك الحملات الهجومية من قبل النورمان ابتداءاً من هجومهم الاول سنة 299هـ/ 844م الى اخر هجوم لهم في عام 456هـ/ 1064م. وقد اعطينا نتائج كل حملة من حملاتهم على الاندلس في ثنايا دراستنا هذه، وبينا مجال تنظيماتهم الحربيية ومدى العناية بالسواحل الاندلسية، اما اهم ماتوصلنا اليه فهو التأكيد على ان الماضي هو درسنا البليغ للحاضر والمستقبل وتاريخ الاندلس احد اهم عناوين الدروس الرائعة في التاريخ العربي الاسلامي. اذ لازالت الغايات والاهداف واحدة في نفوس اعدائنا اذ يمكن اعادة صنع تاريخي عربي اسلامي مجيد من قبل العرب ممكن ومتاح رغم كل التحديات التي تبدو فمن يستطيع ان يكذب التاريخ؟

الهوامش

1) عنان، محمد عبدالله، دولة الاسلام في الاندلس، (القاهرة، 1969)، ص227، عاشور، سعيد عبد الفتاح، تاريخ اوربا في العصور الوسطى، دار النهضة العربية، (بيروت، 1972)، ص175.

2) ابن حيان، ابو مروان حيان بن خلف المقتبس في اخبار الاندلس، تحقيق:عبدالرحمن علي الحجي، دار الثقافة، (بيروت، 1965)، ص250، الحجي، الحضارة الاسلامية في الاندلس، (بيروت، 1969)، ص46.

3) الحجى، عبدالرحمن علي، اندلسيات، المجموعة الثانية، (بيروت، 1969)، ص67.

4) ابن الابار، ابو عبدالله محمد بن عبدالله، الحلة السيراء، تح :حسين مؤنس، مطبعة لجنة التأليف والترجمة النشر، (القاهرة، 1963)، ج2، ص372، العذري ابن الدلائي، احمد بن عمر بن انس، ترصيع الأخبار وتنويع الاثار والبستان في غرائب البلدان والمسالك الى جميع الممالك (نشر بعنوان عن نصوص عن الأندلس)، تح: عبدالعزيز الاهواني، منشورات معهد الدراسات الإسلامية في مدريد (مدريد، 1969)، ص31، ابن سعيد المغربي، علي بن موسى، المغرب في حلى المغرب، تح: شوقي ضيف، دار المعارف بمصر، (القاهرة، 1953)، ج1، ص49، ابن عذاري المراكشي، ابو العباس احمد بن محمد، البيان المغرب اخبار الاندلس والمغرب، تح: ج. س. كولان، وأ. ليفي بروفنسال، دار الثقافة، (بيروت، 1980)، ص138، المقري، شهاب الدين احمد بن محمد التلمساني، نفخ الطيب من غصن الاندلس الرطيب، تح: د. احسان عباس،، دار صادر (بيروت 1388هـ-1968)، ج1، ص167، ج2، ص257

5) عاشور، تاريخ اوروبا، ص135

6) الكبيسي، خليل ابراهيم، غزوات النورمانيين في عصر الامارة، مجلة المؤرخ العربي، العدد 40، لسنة 1989، ص150.

7) الشيخ، محمد مرسي، دولة الفرنجة وعلاقتها بالامويين في الاندلس- اواخر القرن العاشر الميلادي، مؤسسة دار الثقافة الجامعية، (بلامكان طبع، 1981)، ص12.

8) الشعراوي، احمد ابراهيم، الامويون امراء الاندلس الاول، دار النهضة العربية، (القاهرة، 1969)، ص318.

9) ينظر: ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد، كتاب العبر وديوان المبتدا والخبر في ايام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر، المعروف بتاريخ ابن خلدون، مؤسسة جمال

للطباعة والنشر، (بيروت، 1979)، ج4، ص248؛ ابن الاثير، عز الدين ابي الحسن علي بن ابي كرم، الكامل في التاريخ، دار صادر، (بيروت، 1965)، ج7، ص58.

10) للتفاصيل راجع عاشور، اوروبا العصور الوسطى، ج1، ص210.

11) فشر، أ. ل، تاريخ اوروبا (العصور الوسطى)، ترجمة الدكتور محمد مصطفى زيادة والدكتور السيد الباز العريني، (القاهرة، 1969)، ص113.

12) ابن القوطية، ابو بكر محمد بن عمر القرطبي، تاريخ افتتاح الاندلس، تح: عبد الله انيس الطباع، دار النشر للجامعيين، (بيروت، 1957)، ص66.

13) نوف، سمير، تاريخ الكنيسة المسيحية، (بيروت، 1989)، ص210؛ عمران، محمد سعيد، معالم تاريخ اوربا في العصور الوسطى، دار النهضة العربية، (بيروت، 1986)، ص231.

14) العذري، نصوص عن الاندلس، ص98؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج2، ص130.

15) العبادي، احمد مختار، تعليقات على كتاب نفاضة الجراب في علالة الاغتراب لابن الخطيب الغرناطي، ص16، هامش (6).

16) العذري، نصوص عن الاندلس، ص98..

17) ابن عذاري، البيان المغرب، ج2، ص130.

18) ابن القوطية، افتتاح، ص84

19) ابن خلدون، العبر، ج2، ص129.

20) المصدر نفسه، ج4، ص129.

21) ابن عذاري، البيان المغرب، ج2، ص89.

*القبطيل: جزيرة كبيرة مشهورة في مدخل اشبيلية وهي قريبة من البحر المحيط ينظر ابن سعيد، المغرب، ج1، ص292 وجاء في الروض المعطار تحت مادة قبطيل بالاندلس، مفرغ وادي اشبيلية في البحر ويعرف أيضا بالعسكر، لانه موضع عسكر فيه المجوس واحتفروا حوله خندق أثره باقي الى الان، ينظر: الحميري، ابو عبدالله محمد بن عبدالله بن عبدالمنعم، الروض المعطار في خبر الاقطار، جزء منتخب منه نشر نشر بعنوان (صفة جزيرة الاندلس)، نشره: ليفي بروفنسال، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، (القاهرة، 1937)، ص150.

22) مؤنس، حسين، غارات النورمانيين على الاندلس بين سنتي 229-245هـ، العدد الاول من المجلد الثاني من مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، ص33.

23) ابن القوطية، افتاح ص63.

• قورة: وهي قرية صغيرة تقع على ضفة الوادي الكبير جنوب اشبيلة ينظرالعذري، نصوص عن الاندلس، ص174.

24) ابن الاثير الكامل، ج7، ص16.

25) سالم، السيد عبدالعزيز، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس من الفتح العربي حتى سقوط الخلافة بقرطبة، دار المعارف، (لبنان، 1962)، ص235، الصوفي، خالد، تاريخ العرب في اسبانيا، تاريخ العرب في اسبانيا، نهاية الخلافة الاموية في الاندلس، منشورات مكتبة دار الشرق، (حلب، 1963)، ص31.

26) العذري، نصوص عن الاندلس، ص99، ابن عذارى، البيان المغرب، ج2، ص131.

27) الكبيسي، غزوات النورمان، ص150.

28) مؤنس، غارات، ص33.

29) العذري، نصوص عن الاندلس، ص99، قارن: أبن الاثير، الكامل، ج7، ص16، ابن عذارى، البيان المغرب، ج2، 130.

30) النويري، شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب، نهاية الارب في فنون الادب،، تح: محمد رفعت فتح الله، المكتبة العربية، (القاهرة، 1975)، ج22، ص48.

31) المغرب، ج1، ص49

32) العذري، نصوص عن الاندلس، ص100، سالم، عبد العزيز، تاريخ المسلمين، ص236.

33) مؤنس، غارات، ص34.

34) افتتاح، ص66.

35) المغرب، ج1، ص49.

36) ابن عذاري، البيان المغرب، ج1، ص82.

37) العذري، نصوص عن الاندلس، ص99؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج2، ص131.

38) افتتاح ص84.

39) الحجي، االتاريخ الاندلسي، ص228.

40) مؤنس، غارات، ص34.

41) انظر ابن القوطية، افتتاح، ص95، ابن حيان، المقتبس، تحقيق مكى، ص26، ويسميه ابن عذارى عيسى بن سعيد، البيان، ج2، ص130.

42) ابن عذارى، البيان، ج2، ص130.

43) الكبيسي، غزوات، ص151.

44) العذري، نصوص عن الاندلس، ص99، ابن الاثير، الكامل، ج7، ص17، ابن عـذاري، البيـان المغرب، ج2، ص130، النويري، نهاية الارب، ج22، ص49.

45) العذري، نصوص عن الاندلس، ص99.

46) ابن القوطية، افتتاح، ص85.

47) المصدر نفسه، ص86.

48) نصوص عن الاندلس، ص99–100. ثم انظر ابن الاثير، الكامل، ج7، ص17.

49) البيان المغرب، ج2، ص88.

50) ابن الاثير، الكامل، ج7، ص17.

51) العذري، نصوص عن الاندلس، ص100.

52) المصدر نفسه، ص100.

53) ابن الاثير، الكامل/ج7، ص17، المقري، نفح الطيب، ج1، ص246.

54) الحميري، الروض المعطار ص 449، الشعراوي، الامويون، ص318.

55) ابن عذاري، البيان، ج2، ص88.

56) ابن خلدون، العبر، ج4، ص129.

57) افتتاح، ص86.

58) المقتبس، تحقيق الحجى، ص244.

59) ابن القوطية، افتتاح، ص86–87.

60) البكري، جغرافية الاندلس واوربا، ص112.

61) مؤنس، غارات، ص41

62) العبادي، المغرب والاندلس، ص150.

63) افتتاح، ص88.

64) مؤنس، غارات، ص151.

65) سالم والعبادي، تاريخ البحرية، ص160، العبادي، عبد الحميد، مجمل، ص110.

66) المقتبس، تحقيق مكي، ص2، ابن عذاري، البيان، 2/ 89.

67) باربر، فيفل، أثر القوة البحرية، صحيفة معهد الدراسات، مج 14، ص317.

68) ابن دحية الكلبي البلنسي، المطرب من اشعار المغرب، تح: الابياري وآخرون، المطبعة الاميرية، (القاهرة، 1955)، ص138– 146.

69) الضبي، احمد بن يحيى، بغية الملتمس في تاريخ رجال اهل الأندلس، مطبعة روخس، (مدريد، 1884)، ص485؛ الحميدي، ابي عبدالله محمد بن ابي نصر فتوح بن عبدالله، جذوة المقتبس في ذكر ولاة الاندلس، (الدار المصرية للتأليف والترجمة، 1966)، ص374.

70) المطرب في اسفار اهل المغرب، ص138 ومايليها.

71) بروفنسال، ليفي، الاسلام في المغرب والاندلس، ترجمة السيد عبدالعزيز سالم ومحمد صلاح الدين حامي، (القاهرة، 1956)، ص112.

72) للتفاصيل تنظر: مؤنس، غارات، ص42–62، البنداق، محمد صالح، يحيى بن الحكم الغزال، (بيروت، 1979)، ص93–161. ثم انظر: عنان، دولة الاسلام، 28؛ الحجي، التاريخ الاندلسي، ص233.

73) ابن عذاري، البيان المغرب، ج2، ص145؛ الحجي، الحضارة الاسلامية، ص49.

74) بروفنسال، الاسلام، ص112.

75) العذرى، نصوص عن الاندلس، ص118؛ ابن خلدون، العبر، ج4، ص130، ا؛ المقري، نفح الطيب، ج1، ص328.

76) ابن القوطية، افتتاح، ص88، سبيل، اخبار امم المجوس، ص4.

77) مؤنس، غارات، ص64–65، العبادي، احمد مختار وسالم، السيد عبدالعزيز، تاريخ البحرية الاسلامية في البحر الابيض المتوسط، دار النهضة العربية، (مصر د. ت)، ص162.

78) المقتبس، تحقيق مكي، ص307–308.

79) البيان، ج2، ص99.

80) العذري، نصوص عن الاندلس، ص31.

81) عنان، دولة الاسلام، ج1، ص242، الشيخ، دولة الافرنجة، ص102.

82) الغراب: سفينة من سفن البحر القوية، ينظر: ش م، تعليقات على كتاب ابن ابي الدينار، ابو عبدالله محمد بن ابي القاسم الرعيني، المؤنس في اخبار افريقية وتونس، تح وتعليق: محمد شمام، مطبعة 20 مارس، (تونس، 1387هـ-1967م)، ص100 هامش (1).

83) ابن ابي الدينار، المؤنس، ص99.

84) المقتبس، تحقيق مكي، ص 307-308.

85) تاريخ افتتاح، ص88.

86) المصدر نفسه، ص88.

87) المقتبس، تحقيق مكي، ص308.

88) الحميري، الروض المعطار، ص63.

89) مؤنس، غارات، ص69، سالم والعبادي، تاريخ البحرية، ص164.

90) المقتبس، تحقيق مكي، ص308.

91) المقتبس، تحقيق مكي، ص309، العذرى، نصوص عن الاندلس، ص119.

92) المصدر نفسه، ص309، المصدر نفسه، ص119.

93) الكبيسي، غزوات، ص151.

94) ابن حيان، المقتبس، تحقيق، مكي، ص308.

95) نصوص عن الاندلس، ص109.

96) المقتبس، تحقيق مكي، ج2، ص311-312.

97) العذرى، نصوص عن الاندلس، ص119.

98) ابن حيان، المقتبس، تحقيق مكي، ص310. قارن: ابن القوطية، افتتاح، ص88، ابن عذاري البيان المغرب، ج2، ص145.

99) ابن حيان، المقتبس، تحقيق مكى، ص311-312.

100) المصدر نفسه، ص311.

101) العذرى، نصوص عن الاندلس، ص119.

102) ابن حيان، المقتبس، تحقيق مكي، ص310. قارن:ابـن القوطيـة، افتتـاح، ص88، ابـن عـذاري البيان المغرب، ج2، ص145.

103) العذري، نصوص عن الاندلس، ص119.

104) ابن حيان، المقتبس، تحقيق مكى، ص311-312.

105) ابن عذاري، البيان المغرب، ج2، ص145..

106) ابن حيان، المقبس، تحقيق مكي ، ص312.

107) العذري، نصوص عن الاندلس، ص119.

108) ابن حيان، المقبس، تحقيق مكى، ص311، العذرى، نصوص عن الاندلس، ص119

109) مكي، تعليقات على كتاب المقتبس لابن حيان، ص63، الكبيسي، غزوات، ص153.

110) وهي البحيرة الصغيرة الواقعة غرب الجزيـرة الخضـراء. انظـر: مكـي، تعليقـات علـى كتـاب المقتبس لابن حيان، ص63.

111) المقتبس: تحقيق مكي، ص311.

112) البيان الغرب، ج2، 238-239.

113) ابن الخطيب الغرناطي، لسان الدين محمد، اعمال الاعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الاسلام، نشر أ. ليفي بروفنسال، دار المكشوف، (بيروت، 1965)، ص41-42.

114) ابن الخطيب الغرناطي، الاحاطة في اخبار غرناطـة، تـح: محمـد عبـدالله عنـان، دار المعـارف، (القاهرة، 1973)، ج1، ص478-479.

115) البيان المغرب، ج2، ص236.

116) ابن خلدون، العبر، مج4، ص314، قارن مع المقري، نفح الطيب، ج1، ص383-384.

117) المقتبس، تحقيق الحجي، ص23-24.

118) المصدر نفسه، ص27.

119) المصدر نفسه، ص28.

120) عنان، دولة الاسلام في الأندلس، ج2، ص687.

ابن حيان، المقتبس، تحقيق الحجي، ص58.

122) المصدر نفسه، ص78.

123) المصدر نفسه، ص91-93.

124) المصدر نفسه، ص81.

125) سالم والعبادي، تاريخ البحرية، ص47.

126) طه، عبد الواحد ذنون، دراسات اندلسية، مطابع جامعة الموصل، (الموصل، 1986)، ص71.

127) ابن حيان، المقتبس، تحقيق الحجي، ص219.

128) البكري، ابو عبدالله عبدالعزيز، جغرافية الأندلس واوربا من كتاب المسالك والممالك، تح: عبدالرحمن علي الحجي، دار الارشاد، (بيروت، 1968)، ص92-94؛ ابن بسام الشنتريني، الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة، تحقيق: احسان عباس، (بيروت، 1979)، والقسم الثاني، المجلد الاول، تح: الدكتور لطفي عبدالبديع، (القاهرة) 1975)، مج1، ج5، ص181، ابن الكردبوس، عبدالملك، قطعة من كتاب الاكتفاء في اخبار الخلفاء (تاريخ الأندلس لابن الكردبوس ووصفه لابن الشباط) تح: احمد مختار العبادي، معهد الدراسات الإسلامية (مدريد، 1971)، ص71-73.

129) الحميري، الروض المعطار، ص40

130) الذخيرة، ق3، مج1، ج5، ص181.

131) المصدر نفسه، ق3، مج1، ج5، ص181..

132) عنان، محمد عبدالله، دول الطوائف، (القاهرة، 12969)، ص264، بروفسنال، ليفي، حضارة العرب في الاندلس، ترجمة ذاوقان قرقوط، (بيروت، بلا. ت)، ص124.

133) البكري، المسالك والممالك، ص93، وهامش رقم (1)، ابن بسام الذخيرة، ق3، مج1، ج5، ص181، ابن عذاري، البيان المغرب، ج3، ص225.

134) دوزي، رينهارت، ملوك الطوائف، ترجمة كامل كيلاني، (القاهرة، 12933)، ص177.

135) اسمه البيطين من الرواية العربية، انظر: البكري، المسالك والممالك، ص93، ابن عذاري، البيان المغرب، ج3، ص225، الحميري، الروض المعطار، ص90، واختلفت الرواية الاوربية حول اسمه. انظر حول ذلك هامش رقم (2) من كتاب ابن الكردبوس، تاريخ الاندلس، ص69-70.

136) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج10ص142.

137) ابن بسام، الذخيرة، ق3، مج1، ج5، ص182.

138) البكري، المسالك والممالك، ص94؛ الحميري، الروض المعطار، ص90-91.

139) ابن بسام، الذخيرة، ق3، مج1، ج5، ص186.

140) المصدر نفسه، ص188.

141) انظر ترجمته وقصيدته: ابن سعيد المغربي، علي بن موسى، المغرب في حلى المغرب، تح: شوقي ضيف، دار المعارف بمصر، (القاهرة، 1953)، ج2، ص21.

142) انظر ترجمته الحميدي، جذوة المقتبس، ص268، ابن بشكوال، الصلة، ق1، ص279؛ ابن سعيد، المغرب، ج2، ص402، ابن بسام، الذخيرة، ق1، مج1، ج5، ص173-175.

143) الحجي، التاريخ الاندلسي، ص361.

144) ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، ص73.

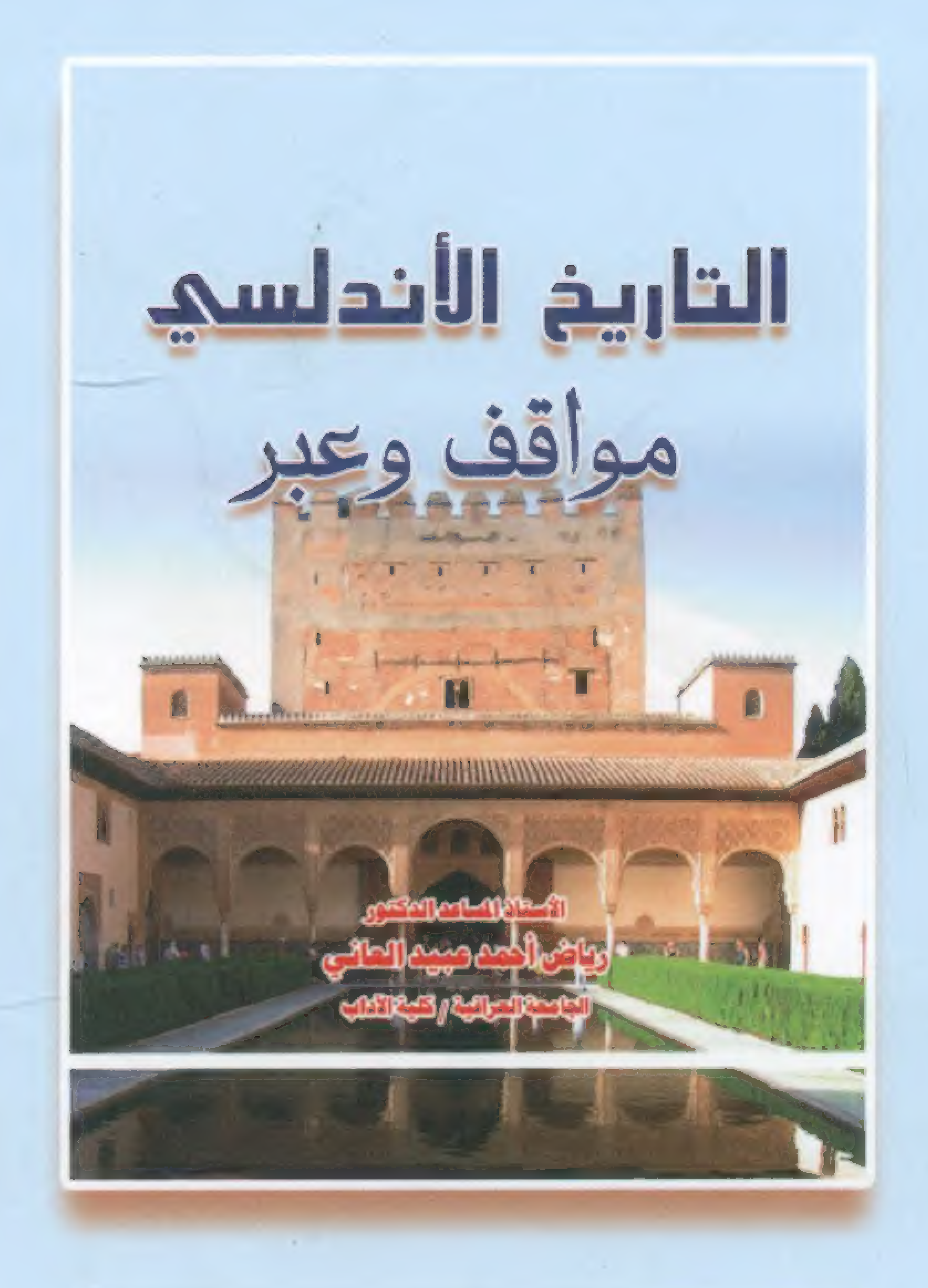
145) ابن بسام، الذخيرة، ق3، مج1، ج5، ص190.

146) ابن عذاري، البيان المغرب، ج3، ص2127.

147) حاول المستشرق دوزي ان يقلل من اهمية الانتصار الذي حققه المسلمون من استرجاعهم لبربشتر حين وصف الحامية الصليبية التي بقيت بالمدينة ضعيفة، بينما ذكر ابن عذاري ان قوة الحامية بلغت الف فارس واربعة الاف رجل وذكر ابن بسام ان قائد الحملة الصليبية ترك في بربشتر من رابطة ضئيلة الف وخمسمائة ومن الرحالة الفين:انظر: ص226، الذخيرة، ق3، مج1، ج5، ص186.

148) قارن ياقوت الحموي الذي يشير واهما الى ان سيطرة العدو على بربشتر دامت خمس سنوات، معجم البلدان، (بيروت، 1956-1957)، مج1، ص370.

149) البكري، المسالك والممالك، ص95، الحميري، الروض المعطار، ص91، بنيما يذكر ابن الخطيب انه نال هذا اللقب بعد انتصاره على اخيه يوسف المظفر. اعمال الاعلام، ص171.







عمان - شارع الملك حسين - مجمع الفحيص التجاري

تلفاكس: 96264647550+ خلوي: 962795265767+

ص ب: 712773 عمان 11171 الأردن

E-mail: dardjlah@yahoo.com

www.dardjlah.com

designed by
M. Khudair